

بمَجْمَعَةِ مُنْتَزَعَاتِ النَّسْرِ
التَّجَدُّدِ الْأَشْرَفِ

مُنْتَزَعَاتُ الْقُرْآنِ وَالْمُخْتَلَفَاتُ فِيهِ

الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ شَهْرَاشُوبٍ
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٨٨ هـ

الجزء الأول

التَّوْحِيدَ

تَحْقِيقٌ وَتَلْقِيقٌ
حَافِظُ الْمُؤْمِنِ

الْجَدِّ وَالْإِسْلَامِ

مُتَّبَعَاتُ الْقُرْآنِ
وَالْمُخْلِفُ فِيهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

ساهم في تكاليف طباعة هذا الكتاب
السيد عبد الإله محمد عمران الحبوبي

جَمْعِيَّةُ مُنْتَدَى الْإِسْلَامِ
السَّجَفُ الْأَشْرَفُ

مُنْتَهَى ابْنِ الْقُرْتَبِي وَالْمُخْتَلَفُ فِيهِ

الامام الحافظ ابى جعفر محمد بن على بن شهر آشوب
المتوفى سنة ٥٨٨ هـ

الجزء الاول

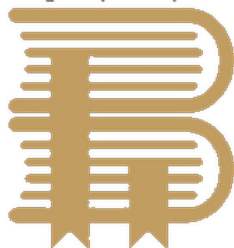
التَّوْحِيدُ

تصنيف و تاليف

حامد المؤمن

العارف بالطبوع

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابطہ پیدل < nktba.net

هوية الكتاب

اسم الكتاب: متشابه القرآن والمختلف فيه

الجزء الأول

المؤلف: أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب

تحقيق: حامد جابر حبيب المؤمن الموسوي

تنضيد وإخراج فني: نصير علي موسى شكر

القياس: ٢٤ × ١٧ (فني)

عدد الصفحات: ٤٥٦ صفحة

الطبعة الاولى المنقحة

1429 هـ - 2008 م

جميع حقوق النشر محفوظة ومسجلة

لِلناشر والمؤلف ولا يحق لأي شخص أو

مؤسسة أو جهة إعادة طبع أو ترجمة أو نسخ

الكتاب أو أي جزء منه إلا بترخيص خطي من

المؤلف والناشر تحت طائلة الشرع والملاحقة

القانونية ...

الناشر

جَمْعِيَّةُ مُنْتَدَى النِّشْر
النَّجَفُ الْأَشْرَفُ



مؤسسة العارف للطبوعات

بيروت - لبنان

TLF:00961 1 452077

العراق - النجف الاشرف / الميدان

TEL: 00964 33 370636

MOB: 00964 7801327828

Url:www.alaref.net

Email:arefli@hotmail.com

كلمة
جمعية منتدى النشر
حول الكتاب

بقلم
الدكتور محمود المظفر
رئيس الجمعية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

استهلّت جمعية منتدى النشر التي أنشئت في مدينة النجف الأشرف عام ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م: مسارها ومساقها العلمي: بالمبادرة إلى عملية تحقيق ونشر كتب التراث، وهو مسار علمي يتجانس، في الأصل، مع مسمى هذه الجمعية - منتدى النشر - ومع عنوانها ومنطلقها الرسمي.

ويبدو - فيما تشير مذكرات بعض أعضائها - أن الجمعية إنما بادرت إلى القيام بعملية تحقيق وإحياء كتب التراث... فمن باب التغطية مؤقتاً على هدف الجمعية الأساس، وهو إنشاء المدارس الدينية النظامية بقصد تطوير الدراسة في حوزة النجف، التي كان لبعض رموزها تحفظاتها حول فكرة التطوير هذه، كما كان لبعض أجهزة الدولة الإدارية يومذاك تحفظاتها، هي الأخرى، ولكن حول أصل إنشاء المدارس التربوية على أساس ديني أو عقدي.

* * *

وكان أول كتاب تراثي يأخذ سبيله في الجمعية إلى التحقيق والنشر

هو كتاب «حقائق التأويل في مثالبه التنزيل» للسيد الشريف الرضي المتوفى مطلع القرن الخامس الهجري عام ١٤٠٤.

وقد عززت هذه الخطوة الهادفة والهادفة من مركز الجمعية وموقعها العلمي.. خاصة وأن عملية التحقيق لم تكن سهلة في ذاتها، وإنما كانت محاطة بكثير من المعوقات الفنية والإجرائية.. فضلاً عن المعوقات التمويلية.

لذلك توقفت الجمعية مبكراً عن المضي في مشروعها العلمي المذكور المتمثل في تحقيق كتب التراث ونشرها.

(٢)

لكن الجمعية - وبعد أكثر من عام على تأسيسها - لما وجدت أن الفرصة أصبحت مهيأة للعمل على تحقيق هدفها الأساس - وهو إنشاء المدارس الدينية على أساس منهجي - فقد بادرت إلى تأسيس أول كلية نظامية عالية.. أطلق عليها مسمى (كلية الاجتهاد).. وذلك لغرض المساعدة على تطوير وتحديث الدراسة في نطاق (حوزة النجف).. وبخاصة من حيث الآلية والمنهج والأسلوب.

غير أن هذه الكلية التي يمكن أن تُعدّ فتحاً مبيناً في مسيرة الدراسات الإسلامية ما لبثت أن استبدلت سنة ١٣٥٧ - ١٣٥٨ هـ بكلية نظامية أخرى مبسطة لغرض استيعاب أكبر عدد ممكن من طلبة العلوم الدينية المهيئين لدراسة ما يسمى بالمقدمات فالسطوح.. المتمثلة بالفقه وأصوله، والتفسير وعلومه، ويعلمي المنطق والكلام، وعلوم الشريعة الأخرى، وما سواها من علوم اللغة العربية وآدابها.. وبشكل منهجي ونظامي.

ثم تلتها كلية الثالثة أخرى حملت - هذه المرة - مسمى «كلية متتدى النشر» واستوعبت طلابها على مدى خمس سنوات دراسية منتظمة بما فيها السنة التحضيرية. . وظلت الدراسة مستقرة ومستقرة فيها زهاء عشر سنوات دراسية بدءاً من سنة ١٣٦٤هـ، والتي تم إثرها العزم على إنشاء كلية متطورة أخرى، سُميت بـ(كلية الفقه). . أريد لها مواكبة ما جد وما استجد من تطورات تعليمية حديثة بحيث يمكن لها أن تجمع بين مقررات الدراسة التقليدية في الحوزة وبين بعض المقررات الأكاديمية الحديثة التي من شأنها أن تساعد على توسيع أفق الطالب وتنمية ملكاته ومداركه العلمية .

ولتأكيد أهمية هذه الكلية ولربطها بالحياة العملية الحديثة فقد بذلت الجمعية وسعها لتحقيق الاعتراف الرسمي ببرنامجه وبشهادتها، ومنع خريجها درجة (الليسانس) أو ما يعادلها من العناوين الأكاديمية التي من شأنها أن تؤهل حاملها حق التدريس في نطاق المدارس الثانوية للدولة .

والواقع أن الحصول على الاعتراف الرسمي بالكلية، والذي تم حينذاك بأمر من قائد ثورة تموز الراحل عبد الكريم قاسم: كان له ثمراته وآثاره ومردوداته الإيجابية. . حيث عهد - ولأول مرة في تاريخ التعليم الرسمي المعاصر في العراق - إلى خريجي كلية دينية مثل كلية الفقه قائمة على أساس من مذهب أهل البيت: أن يقوموا بتدريس مواد التربية الدينية والعقيدة والسيرة والتاريخ في نطاق مدارس الدولة الرسمية. . بعد أن كان ذلك مقصوراً على خريجي الكليات الدينية المحسوبة على أهل السنة والجماعة. . علماً بأن هذا النهج التفريقي لم يكن يرتضي في حينه حتى بعض المسؤولين المنصفين من رجالات الطائفة السنية .

ولعلّ هذا المدى من النجاح الذي حققته الجمعية في الحصول على الاعتراف الرسمي بالكلية، والموافقة بالتالي على تعيين خريجيها كمدرّسين نظاميين طبقاً لمذهب أهل البيت في المدارس الرسمية: هو الذي دفع بحكومة البعث أواسط السبعينات من القرن الميلادي الفائت إلى انتزاع الكلية من سيطرة الجمعية وإشرافها، تمّ العمل على تجريدها من استقلاليتها وطابعها التعليمي الخاص، وذلك عن طريق دمجها بالجامعة المستنصرية ببغداد، ثم بجامعة الكوفة الرسمية، من أجل شمولها بقرار تبعية التعليم العام وتلويثه بالأفكار العلمانية. . حتى تمّ للدولة في نهاية المطاف غلق الكلية وإذابتها تماماً بحجة مشاركة الكلية وطلابها في الانتفاضة الشعبانية التي يحلو لي أن أسميها أيضاً بالانتفاضة الشعبية التي انبثقت عام ١٩٩١.

(٤)

ولغرض أن تظل الجمعية شاخصة ومؤدية، ولو لبعض مهامها^(١) وأهدافها العلمية. . فقد بادرت - هذه الجمعية - بعد تجريدها أواسط

(١) أتبع لجمعية منتدى النشر عبر تاريخها العديد أن تنجز بالإضافة إلى:

- تأسيس المدارس والكليات الدينية النظامية.

- وتحقيق الكتب التراثية. . .

عدة منجزات أخرى أهمها ما يلي:

١ - إنشاء مجمع علمي متخصص سُمّي بـ(المجمع الثقافي). . . عُهد إليه أساساً إصدار سلسلة مبسطة ومركّزة من الدراسات والبحوث العقلانية والتاريخية، وقد صدر بالفعل عدد وافر من هذه الكتب المتسلسلة، وغيرها من الكتب الواسعة المحدثّة. كما عُهد أيضاً إلى هذا المجمع إقامة الندوات واللقاءات العلمية القائمة على المحاورّة والنقاش بين بعض رجال الفكر والمعرفة. . . وبشكل دوري ومستوعب.

٢ - إنشاء وإدارة بعض المستوصفات والمراكز الصحية الخيرية وذلك لمعالجة المرضى المحتاجين من سكان بعض المناطق الشعبية، وقد ظلّ قسم من هذه المراكز يؤدي خدماته الصحية حتى صدور القرار الجائر بخلق الجمعية ذاتها.

السبعينات من مهمتها الأساسية، وهي إنشاء المدارس الدينية النظامية: إلى إعادة العمل بفكرة تحقيق الكتب التراثية. . حيث تم تشكيل عدة لجان علمية لهذا الغرض.

كما تم الاتفاق، من جهة أخرى، مع بعض دور النشر للقيام بطباعة ما تم إنجازه من هذه الكتب المحققة، وبشكل سريع خشية من لجوء الدولة آنذاك إلى تجريد الجمعية مما تبقى لها من مهام وأهداف، وخشية من أن تتعرض أموال الجمعية وممتلكاتها الوفيرة إلى المصادرة، كإجراء متوقع من سياسة الدولة التي دأبت حينذاك على الوقوف في وجه أي مشروع معرفي له صلة بالدين والأصالة والتراث.

(5)

ومما لا يغيب عن البال في غضون تلك الفترة العصيبة التي عشناها في أجواء العراق: ما تعرضت له شخصياً، وما تعرضت له الجمعية ذاتها من ضغوط حول مشروعها الخاص بتحقيق الكتب التراثية. . حيث فرض علينا سحب بعض هذه الكتب التي تم دفعها إلى المطبعة، وذلك لأنها كانت تحمل أسماء بعض المحققين الذين عرفوا بميولهم وتوجهاتهم الإسلامية. . الأمر الذي استوجب نوعاً من الخوف والاضطراب لدى البعض مثلاً.

٣ - إقامة بعض الدورات المهنية لخدمة الناشئة الراغبين إليها، كدورة مسك الدفاتر التجارية، ودورة بعض العلوم الرياضية.

٤ - إقامة بعض الدورات التربوية لتعليم اليافعين، والأمين الذين فاتتهم فرص التعليم الأولية.

٥ - إقامة بعض المعارض الفنية كمعرض (الكتاب النجفي) الذي أقيم في مبنى الجمعية السابق المجاور إلى الصحن الشريف، وقد أولى المعرض اهتمامه بشكل خاص بعرض الكتب المطبوعة على الحجر في النجف، والتي صُنّت بأشكال هندسية وفنية رائعة.

وكان لهذا الهاجس من الخوف والاضطراب مبرراته ومؤثراته الواضحة . . حيث تمّ - وبشكل سريع - القضاء على هذا التوجّه العلمي، ونقصد به تحقيق التراث، وذلك بالقضاء على الجمعية (الأم) ذاتها . . إثر صدور قرار جائر يقضي بغلق سائر الجمعيات الأدبية الأهلية، ودمجها تحت مظلة ما كان يُعرف بـ (اتحاد الأدباء) . . علماً بأن الجمعية لم تكن تزاوّل يوماً أي نشاط أدبي بمعناه المهني الدقيق .

وظلّ الأمر على هذا الحال . . حتى تمّ بمشيئة الله تعالى إسقاط النظام الجائر عام ٢٠٠٣ للميلاد، وتلاشي ما أصدره من قرارات، وما قام به من إجراءات مجحفة بحق الجمعيات الدينية الأهلية .

(٦)

وهكذا تسنّى للجمعية إثر ذلك وإثر صدور الترخيص الرسمي: أن تعود إلى ممارسة أعمالها وأنشطتها المعتادة . . حيث بادرت - أولاً - إلى فتح بعض مدارسها الأولية الخاصة بالبنين والبنات . . تمهيداً لإعادة فتح مدارسها الثانوية والإعدادية السابقة، ثم تمهيداً لإعادة فتح (كلية الفقه) إلى حاضنتها ومظلتها الأولى - جمعية منتدى النشر - كمؤسسة أهلية لا رسمية، وإزالة ما قد بدا من التباس بشأن عاندتها .

كما تسنّى للجمعية - ثانياً - أن تبادر إلى إعادة العمل بتحقيق كتب التراث الذي كان أحد المهام الأساسية للجمعية .

ورأينا - ونحن بصدد اختيار الكتاب المناسب - أن خير ما نستفتح به مشروعنا الجديد الخاص بتحقيق التراث - هو القيام بتحقيق كتاب تراثي يدور حول واحدٍ من موضوعات القرآن الكريم . . وقد وقع الاختيار فعلاً بعد دراسة متأنية على كتاب (متشابه القرآن) للعالم المفسر

ابن شهر آشوب.. على أن يتولى تحقيقه الأستاذ السيد حامد المؤمن
عضو الجمعية العامل، والمحقق الباحث المعروف.

ويتمتع المؤلف المذكور رشيد الدين بن محمد المازندراني
المعروف بابن شهر آشوب والمتوفى سنة ٥٥٨ للهجرة: بشهرة علمية
واسعة.. حيث وصفه البعض بإمام زمانه ووحيد عصره، وأنه كان
متضلعا بعلوم القرآن والحديث ومهتماً بقراءة القرآن وحفظه في سن
مبكرة لا تتجاوز الثامنة من عمره، بموجب ما رواه صاحب (الوافي
بالوفيات).. الأمر الذي أقله وساعده على تأليف العديد من الكتب التي
تعنى بعلوم القرآن وتفسيره، وفي مقدمتها هذا الكتاب القيم الذي نقدمه
للقرء محققاً ومعلقاً عليه بجهود الأستاذ السيد حامد المؤمن.

علماً بأن الأستاذ المؤمن هو باحث متخصص ومتمرس في فني
التحقيق والتوثيق، وقد عرفناه وعرفته الجمعية كعضو عامل من أعضائها
ومدير عام لمكتباتها على مدى سنوات عديدة، كما عرفته الأوساط
العلمية في النجف من خلال إنجازاته ومشاركاته العديدة في هذا الحقل
من حقول المعرفة - وهو التحقيق - مضافاً إلى كونه ظلّ راسخاً في
عقيدته و(مؤمناً) بقضيته ومسلكه رغم الضغوطات التي واجهته عبر
سنوات الطغيان والمحنة.

(٧)

هذا ومن الجدير بالذكر - ونحن نستذكر - بصفة خاصة منجزات
الجمعية وتطلعاتها في مجال إحياء وتحقيق كتب التراث: أن نشير إلى
أن عملية التحقيق هذه - وقد مارستها الجمعية في فترات متفرقة من
عمرها - هي عملية مضيئة وبالغة التعقيد.. بحيث يمكن أن ندعي بأن
الجدد المبذول بشأنها ربما يوازي أو يجاوز عملية التأليف نفسها.

ومن هنا اعتُبرت عملية تحقيق كتب التراث عملية علمية وفنية، يمكن أن تؤهل صاحبها للحصول على مستوى من التقدير الأكاديمي، لا يختلف عن مستوى التقدير بشأن إعداد بحث أو كتاب، وبخاصة في مجال الترقيات العلمية، بل وفي مجال منح الرتب، والدرجات والشهادات الأكاديمية.

ويقال: إن التحقيق الذي مارسه الباحثة المصرية المعروفة (ب) بنت الشاطيء) لكتاب (رسالة الغفران) من تأليف أبي العلاء المعري المتوفى سنة (٩٧٣م) قد أتاح للجنة العلمية التي شاركت في مناقشة صاحبة التحقيق أن تمنحها درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى، بحيث صار هذا الجهد المبذول في تحقيق الكتاب مقياساً لأي مجهود فني وعلمي مماثل.

كما تأيد أن التحقيق العلمي الذي مارسه الراحل الشيخ محمد رضا المظفر - مؤسس هذه الجمعية - بالاشتراك مع الشهيد السعيد السيد مرتضى الخليلي لكتاب (تذكرة الفقهاء) بجزئه الخاص بالبيع المنسوب إلى العلامة الحلي المتوفى سنة (٧٢٦هـ) كان جهداً غير عادي... حتى ورد أن المحققين العلميين قد أثروا الإنسحاب من تحقيق باقي أجزاء الكتاب، بعد أن لاحظوا أن الجهد المبذول في تأليف الكتاب لا يوازي الجهد الذي بذلاه في تحقيقه... حتى صرح المظفر بأنه لو اتجه وزميله الخليلي إلى التأليف في موضوع الكتاب وفي حدود حجمه لكان أكثر سهولة وأوفى ثمرات.

(أ)

ولعل من باب التأكيد أو التأييد لما قد يبذله المحقق من جهد ومعاناة في عملية التحقيق لكتب التراث: أن نشير إلى بعض هذه الجهود التي يمكن عرضها على شكل خطوات كالتالي:

١ - مرحلة المقابلة . . ونقصد بها مقابلة ومقاربة ما حصل عليه المحقق من النسخ المخطوطة بعضها مع البعض الآخر . . من أجل ضبط النص وصولاً إلى نسخته وعبارته الأصلية .

٢ - مرحلة تقويم النص . . أي تحديد مدى قدرة هذا النص على الأداء ، وتحديد مراميهِ التي أرادها صاحب النص .

٣ - مرحلة التخريج للآيات والأحاديث المستشهد بها أو المستدلّ عليها ، وللأقوال والآراء المعتمد بها الواردة في الكتاب ونسبتها إلى أصحابها ، ثم للشواهد التي قبلت من شعر أو مثل أو أثر . . حتى صرح بعض المحققين لكتاب سيبويه في النحو أنه استطاع أن يعثر أثناء تحقيق الكتاب على حدود ألف شاهد أو بيت من الشعر وحده (انظر كتاب سيبويه ١/٣٣) .

٤ - مرحلة بيان وضبط أسماء الأشخاص الواردة في ثنايا الكتاب ، مع بيان ما قد يحتاج من هؤلاء الأشخاص إلى تحديد سيرته الذاتية .

٥ - توضيح ما عسى أن يرد في الكتاب من رموز أو مفردات أو عبارات ملتبسة .

٦ - تصحيح ما يمكن تصحيحه من الألفاظ أو العبارات الواردة في الكتاب والثابت خطأها . . على أن ذلك لا يتنافى أو يتجافى مع أصل الالتزام باحترام النص .

٧ - إيراد كشف مفضل بالمصادر أو المراجع التي تمّ الرجوع إليها .

٨ - إعداد فهرس مفضل بموضوعات الكتاب على نحوٍ يسهل على القارئ الرجوع إلى مختلف موضوعات الكتاب .

٩ - مرحلة مراجعة الكتاب وإعادة قراءته ومقابلته وصولاً إلى النص الأصيل .

إلى غير ذلك من المراحل والجوانب الأساسية التي تفيد عملية التحقيق والتوثيق^(١).



وبعد هذا كله يجدر بنا أن نشير بأن عملية التحقيق بنهجها ومضمونها المعروف هي عملية جديدة نسبياً، ومرتبطة كل الارتباط بتزايد الحاجة إلى نشر وإحياء كتب التراث.

وفي تقديري أن هذه العملية الفنية لم تبدأ في الانتشار إلا في ظل القرن التاسع عشر، وذلك بعد أن تطورت صناعة الطباعة، وما يتصل بها من فنون النشر والإعلام.. خلافاً لمن ظنّها متقدمة المنشأ.

على أن ما جاء أو تزايد من أخطاء في نطاق تناقل الأصول والنصوص - وبخاصة في نطاق رواية الأحكام الشرعية ورواية الأحداث التاريخية - وأن ما ورد من انتحال أو تجاوز لحقوق المؤلف: أصبحت جميعاً تدعونا إلى الاهتمام بقضية التحقيق وضبط النصوص كقضية فنية، وكعلم وتخصص قائم في ذاته.

محمود الشيخ محمد حسن المظفر

١/ رمضان المبارك/ ١٤٢٩هـ

النجف الأشرف

(١) لاحظ ما ورد على لسان بعض المحققين والمؤلفين من خطوات تسهّل عملية التحقيق، وبخاصة، الإفصاح عن أحوال رواة الصحاح، للمظفر، ج ١، ص ٣٥ - ٣٨. والإيضاح في علل النحو للزجاجي، مقدمة الدكتور مازن المبارك، ص ٢٤ - ٢٥. واللمع في العربية لابن جني، مقدمة المحقق حامد المؤمن، ص ٣٥ - ٣٩. وسواها من الكتب المحققة.

مَنْ تَبَيَّنَ بَيْنَهُ الْقِرَاءَةُ
وَالْجَمْعُ فِيهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ
وَالْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ
وَالْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ

جَمِيعَةُ مُتَدَيِّ النَّسْرِ
النَّهْجُ الْأَشْرَفُ

مُتَشَابِهَاتُ الْقُرْآنِ وَالْمُخْتَلَفُ فِيهِ

الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ شِهْرِشُؤْبٍ
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٨٨ هـ

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

التَّوْحِيدُ

تَحْقِيقُ وَتَعْلِيلُ

حَامِدُ الْمُؤْمِنِ

الْعَارِفُ بِالْمَنْطِقِ وَالْعَمَلِ

هوية الكتاب

اسم الكتاب: متشابه القرآن والمختلف فيه

الجزء الأول

المؤلف: أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب

تحقيق: حامد جابر حبيب المؤمن الموسوي

تنضيد وإخراج فني: نصير علي موسى شكر

القياس: ٢٤ × ١٧ (فني)

عدد الصفحات: ٤٥٦ صفحة

الطبعة الاولى المنقحة

1429 هـ - 2008 م

جميع حقوق النشر محفوظة ومسجلة

لِلناشر والمؤلف ولا يحق لأي شخص أو

مؤسسة أو جهة إعادة طبع أو ترجمة أو نسخ

الكتاب أو أي جزء منه إلا بترخيص خطي من

المؤلف والناشر تحت طائلة الشرع والملاحقة

القانونية ...

الناشر

جَمْعِيَّةُ مُنْتَدَى الشَّرِّ
النَّجَفُ الْأَشْرَفُ



مؤسسة العارف للطبوعات

بيروت - لبنان

TLF:00961 1 452077

العراق - النجف الاشرف / الميدان

TEL: 00964 33 370636

MOB: 00964 7801327828

Url:www.alaref.net

Email:arefli@hotmail.com

❦ الإهداء ❦

الله أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ لله كَثِيرًا وَسُبْحَانَ الله بُكْرَةً وَأَصِيلًا..

الْحَمْدُ لله الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا، وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ، لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ..

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَاتِمَ النَّبِيِّينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حَبِيبَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَشْهَدُ أَنَّكَ جِئْتَ بِالْحَقِّ، وَصَدَقْتَ الْمُرْسَلِينَ..

يَا سَيِّدِي! يَا رَسُولَ اللهِ!..

وهذا جُهدُ القَلْبِ المُقْصِرِ - وَهُوَ قَبَسٌ مِنْ نُورِكَ، وَشُعَاعٌ مِنْ هَدْيِكَ، وَدَفْقَةٌ مِنْ نَبْعِكَ الشَّرِّ النَّاصِرِ - أَرْفَعُهُ إِلَيْكَ رَاجِيًا بِهِ شِفَاعَتَكَ، يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ... فَتَقَبَّلْهُ مِنِّي - يَا حَبِيبِي يَا رَسُولَ اللهِ! - بِقَبُولِ حَسَنٍ... جَزَاكَ اللهُ عَنْ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ خَيْرَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ، وَصَلَّى عَلَيْكَ صَلَاةَ دَائِمَةٍ لَا تَنْقَطِعُ أَبَدًا...

المؤمن بك والمفتسب إليك:



مقدمة^(١) في المؤلف والكتاب

١ - المؤلف:

هو الحافظ أبو جعفر - وأبو عبدالله - محمد بن علي بن شهر آشوب ابن أبي نصر بن أبي الجيش السروي المازندراني الملقب برشيد الدين، وعزّ الدين.

(١) مصادر المقدمة: مفردات ألفاظ القرآن (الراغب الاصفهاني) / الكشف (جار الله الزعشمري) / مجمع البيان (أبو علي الطبرسي) / الوافي بالوفيات (الصفدي) / البلغة في تاريخ أئمة اللغة (الفيروز آبادي) / لسان الميزان (ابن حجر العسقلاني) . الإتيان في علوم القرآن (السيوطي) / طبقات المفسرين (الداودي) / أمل الأمل (الحر العاملي) / نقد الرجال (التفريشي) / كشف الظنون (حاجي خليفة) / إيضاح المكنون (إسماعيل باشا البغدادي) / الذريعة إلى تصانيف الشيعة (أغا بزرك) / الأعلام (خير الدين الزركلي) / مباحث في علوم القرآن (صبحي الصالح) / مقدمة معالم العلماء (محمد صادق بحر العلوم) / الميزان في تفسير القرآن (محمد حسين الطباطبائي) / التفسير والمفسرون (محمد هادي معرفة) / علوم القرآن (محمد باقر الحكيم) / معجم المفسرين من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر (عادل زعير) / قضايا إسلامية (مجلة مقال علي الكمي: ٧، ١٤٢٠ هـ).

الإمام الفقيه المحدث، والمفسر، المحقق، والأديب البارع، الجامع لفنون الفضائل، وحسبك أنه اشتهر بلقب «شيخ الطائفة» وهذا اللقب العالي، لم يُقَرَّبَ به غيره بعد شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ.

وُلِدَ - على ما صرَّح به أصحاب التراجم - سنة ٤٨٩ هـ. ونشأ في بيت عُرف بالتقوى والفضيلة والعلم. فقد تلقى العلم عن جدّه شهر آشوب - وقد كان فاضلاً محدثاً - وعن أبيه عليّ - وكان فاضلاً، عالماً، فقيهاً محدثاً.

حفظ ابن شهر آشوب القرآن، وله ثماني سنوات - ولهذا لقب بالحافظ - واشتغل بالحديث، ولقي الرجال، ثُمَّ تَفَقَّه، وبلغ النهاية في فقه أهل البيت (عليهم السلام)، ونبغ في علم الأصول، ثُمَّ تقدَّم في علوم القرآن، والقراءات، والغريب، والتفسير، والنحو، وركب المنبر للوعظ.

ولم يَدُمَ المقام بابن شهر آشوب في سارية مازندران - التي وُلِدَ فيها ونشأ وتلقَى علومه - طويلاً، حتَّى خَشِيَهُ واليها، فأخرجهُ منها عنوةً، فصار إلى بغداد في أيام المقتضي العباسي (٥٣٠ هـ - ٥٥٥ هـ) ووعظ، وعظمت منزلتُهُ، وخُلع عليه. وناظر، فاستظهر على خصومه، ولُقِّبَ برشيد الدين - وكان يلقَّبُ بعزّ الدين - ثُمَّ خرج إلى الموصل، ثم قَدِمَ حَلَبَ، وكانت وفاته فيها في شعبان سنة ٥٨٨ هـ. ودُفِنَ في سفح جبل هناك، يقال له: جوشن. وهي مقبرة لدفن كبار علماء الشيعة في حلب.

ويرى شيعة حلب: أنّ هذا المحلّ، هو مشهد (محسن) السقط ابن الإمام أبي عبدالله الحسين بن الإمام عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام).

وكان ابن شهر آشوب بهيَّ المنظر، حسن الوجه والشيبة، صدوق اللهجة، مستعذب الألفاظ، ملبح المحاوراة، واسع العلم، كثير الفنون، حسن الغوص على المعاني، كثير الخشوع والعبادة والتهجد، لا يجلس إلا على وضوء.



٢ - شيوخه:

تلمذ ابن شهر آشوب على جماعة من الأساتيد الكبار - بعد تلمذته لجده (شهر آشوب) وأبيه (عليّ).

وأشهر شيوخه:

١ - جابر الله الزمخشريّ المعتزلي - صاحب (الكشاف) - المتوفى سنة

٥٣٨هـ.

٢ - أبو عبدالله محمد بن أحمد النطنزي - صاحب كتاب (الخصائص العلوية) - من علماء القرنين الخامس والسادس الهجريين.

٣ - ناصح الدين أبو الفتح عبدالواحد التميمي الأمدي - صاحب (غرر الحكم ودرر الكلم) - المولود سنة ٥١٠هـ.

٤ - أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي - صاحب (الاحتجاج) - وهو من أهل المائة الخامسة الذين أدركوها المائة السادسة.

٥ - أبو الحسين سعيد بن هبة الله المعروف بالقطب الراوندي - صاحب (فقه القرآن) - المتوفى سنة ٥٧٣هـ.

٦ - أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي - صاحب (مجمع البيان) - المتوفى سنة ٥٤٨ هـ.

٧ - علي بن أبي القاسم البيهقي - صاحب (تاريخ بيهق) - المتوفى سنة ٥٦٥ هـ.

٨ - جمال الدين أبو الفتوح الحسين بن علي الرازي - صاحب تفسير (روض الجنان وروح الجنان).

٩ - أبو علي محمد بن الحسن القتال الواعظ النيسابوري - صاحب كتاب (روضة الواعظين) - الشهيد سنة ٥٠٨ هـ.

١٠ - أبو الحسن فريد خراسان علي بن أبي القاسم زيد بن الحاكم الإمام أميرك محمد، المتوفى سنة ٥٦٥ هـ.

١١ - السيد الإمام ضياء الدين أبو الرضا فضل الله بن علي بن عبيد الله الحسيني الراوندي القاشاني صاحب (النوادر) - المتوفى سنة ٥٧١ هـ.

١٢ - وروى عن كثير، وأجازه كثيرون.



٣ - مؤلفاته:

كان ابن شهر آشوب (رحمه الله) عالماً موسوعياً جامعاً، ذا جوانب علمية متعددة متنوعة. لذا جاءت تصنيفاته العلمية انعكاساً طبيعياً لشخصيته العلمية.

وفيماء يلي جردٌ لأهمِّ مؤلفاته - التي وصلت إلينا والتي فُقدت فلم تصل إلينا - كما أوردتها المصادر^(١):

- ١ - مناقب آل أبي طالب.
- ٢ - مثالب النواصب.
- ٣ - المخزون المكنون في عيون الفنون.
- ٤ - مائدة الفائدة.
- ٥ - المثال في الأمثال.
- ٦ - معالم العلماء.
- ٧ - أسباب النزول على مذهب آل الرسول.
- ٨ - الحاوي.
- ٩ - متشابه القرآن (وهو كتابنا).
- ١٠ - الأوصاف.
- ١١ - المنهاج.
- ١٢ - كتاب الأربعين في مناقب سيدة النساء فاطمة الزهراء (عليها السلام).
- ١٣ - الفصول في النحو.



(١) اعتمدنا في إعداد قائمة مؤلفاته على كتاب: الذريعة إلى مصنفات الشيعة. وعلى مقدمة (معالم

العلماء) للسيد محمد صادق بحر العلوم. وعلى كتاب: البلغة في تاريخ أئمة اللغة.

٤ - شعره:

كان ابن شهر آشوب (رحمه الله) شاعراً لما يكتنزه من معرفة باللغة والأدب والتاريخ وعلوم القرآن وغير ذلك مما يرفد ملكة قول الشعر، لكن شعره لم يكن من الطبقة العليا، شأنه في ذلك شأن العلماء الذين لا يتخذون الشعر ديدناً لهم، يتخصصون فيه، ويمجدون فيه كل الإجادة، وقد أورد في كتابيه: (مناقب آل أبي طالب) و(متشابه القرآن) طائفة من شعره، تؤيد ما ذهبنا إليه، ويحمل الصبغة العلمية، والعقائدية.



٥ - أقوال العلماء فيه:

كان ابن شهر آشوب شخصية علمية ضخمة، فرضت وجودها في عصرها، وتركت أثراً واضحاً لمن بعدها. لهذا لم تغفل المراجع العلمية ذكره، وذكر تصانيفه. بل إن العلماء من مختلف المدارس والمذاهب والاتجاهات ذكروه، وأطروه، وحددوا أبعاد شخصيته العلمية الضخمة، وما انتجت من تأليف جلية وخاصة في علوم القرآن.

فقد ذكره صلاح الدين الصفدي قائلاً: «محمد بن علي بن شهر آشوب أبو جعفر السروي المازندراني رشيد الدين الشيعي، أحد شيوخ الشيعة، حفظ القرآن وله ثمانين سنين، وبلغ النهاية في أصول الشيعة. كان يرحل إليه من البلاد،

ثم تقدّم في علم القرآن والغريب والنحو، ووعظ على المنبر أيام المقتضي ببغداد، فأعجبه وخلع عليه، وأثنى عليه كثيراً^(١).

وقال شمس الدين محمد بن عليّ الداودي المالكي في طبقات المفسرين^(٢):
 «محمد بن علي بن شهر آشوب بن أبي نصر، أبو جعفر السروي المازندراني رشيد الدين، أحد شيوخ الشيعة، اشتغل بالحديث ولقي الرجال، ثم تفقّه، وبلغ النهاية في فقه أهل مذهبه، ونبغ في الأصول، حتّى صار رحلة، ثم تقدّم في علم القرآن، والقراءات والتفسير والنحو. وكان إمام عصره، وواحد دهره، أحسن الجمع والتأليف، وغلب عليه علم القرآن والحديث. وهو - عند الشيعة - كالحطّيب البغدادي لأهل السنّة في تصانيفه... واسع العلم، كثير الفنون».

وقال عنه ابن حجر العسقلاني الشافعي: «اشتغل بالحديث، ولقي الرجال، ثمّ تفقّه، وبلغ النهاية في فقه أهل البيت، ونبغ في الأصول، ثمّ تقدّم في القراءات والقرآن، والتفسير والعريّة، وكان مقبول الصورة، مليح العرض على المعاني... وكان كثير الخشوع مات في شعبان سنة ٥٨٨هـ^(٣).

وذكره السيد مصطفى التفرّيشي في (نقد الرجال)^(٤) فقال: «محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني، رشيد الدين، شيخ هذه الطائفة وفقهها، وكان شاعراً، بليغاً، منشئاً».

(١) الروافي بالوفيات: ٤: ١٦٤.

(٢) طبقات المفسرين: ٢: ٢٠١.

(٣) لسان الميزان: ٥: ٣١٠.

(٤) نقد الرجال: ٤: ٢٧٦.

وذكره الشيخ الحرّ العاملي في (أمل الآمل)^(١) قائلاً: «رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني السّروي. كان عالماً، فاضلاً، ثقةً، محدّثاً، محقّقاً، عارفاً بالرجال، والأخبار، أديباً شاعراً، جامعاً للمحاسن».

وقال عنه محمد بن يعقوب الفيروزآبادي - صاحب القاموس المحيط - في كتابه «البلغة في تاريخ أئمة اللغة»^(٢): «محمد بن عليّ بن شهر آشوب، أبو جعفر المازندراني الشيعي، بلغ النهاية في أصول الشيعة. تقدّم في علم القرآن، واللغة، والنحو... وكان واسع العلم، كثير العبادة، دائم الوضوء، له كتاب الفصول في النحو... و...».



٦ - في معنى المحكم والمتشابه:

اختلف العلماء والمفسّرون في معنى المحكم والمتشابه:

قال الطبرسيّ في مجمع البيان^(٣):

«قيل في المحكم والمتشابه أقوال:

أحدهما: إنّ المحكم، ما علّم المراد بظاهره، من غير قرينة، تقرن إليه، ولا دلالة، تدلّ على المراد به، لوضوحه...

(١) أمل الآمل: ٢: ٢٨٥.

(٢) البلغة في تاريخ أئمة اللغة: ٢٤٠ - ٢٤١.

(٣) مجمع البيان: ٢: ٢٣٩.

والمتشابه: ما لا يُعْلَم المرادُ بظاهره حتى يقترن به ما يدلُّ على المراد منه لالتباسه... وهو قول مجاهد.

وثانيها: إنَّ المحكم، الناسخ، والمتشابه، المنسوخ. عن ابن عباس.

وثالثها: إنَّ المحكم، ما لا يحتمل من التأويل إلّا وجهاً واحداً، والمتشابه ما يحتمل وجهين فصاعداً... عن أبي عليّ الجبائي.

ورابعها: إنَّ المحكم، ما لم تتكرّر ألفاظه، والمتشابه، ما تتكرّر ألفاظه، كقصة موسى (عليه السلام) وغير ذلك عن ابن زيد.

وخامسها: إنَّ المحكم ما يعلم تعيين تأويله، والمتشابه، ما لا يعلم تعيين تأويله، كقيام الساعة. عن جابر بن عبد الله.

وقال ابن شهر آشوب^(١): «والمتشابه ما لا يعلم المراد بظاهره، حتى يقترن به ما يدلُّ على المراد منه لالتباسه...»

ومنها ما هو محكم فيه غرضه، مثل قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

وقال الراغب الاصفهاني في «مفردات ألفاظ القرآن»^(٢): «فالمحكم: ما لا يعرض فيه شبهة من حيث اللفظ، ولا من حيث المعنى...».

«والمتشابه من القرآن: ما أشكل تفسيره لمشايبته بغيره، إمّا من حيث اللفظ، أو من حيث المعنى...».

(١) متشابه القرآن والمختلف فيه: ١ - ٣.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن: ٢٥١، ٤٤٣.

وأورد السيوطي في كتابه «الإتقان في علوم القرآن»^(١) جملة من الأقوال في تفسير المحكم والمتشابه. قال:

«وقد اختلف في تعيين المحكم من المتشابه على أقوال:

ف قيل: المحكم ما عرف المراد: إمّا بالظهور، وإمّا بالتأويل، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه...

وقيل: المحكم ما وضع معناه، والمتشابه، نقيضه.

وقيل: المحكم، ما لا يحتمل التأويل إلّا وجهاً واحداً، والمتشابه ما احتمل أوجهاً.

وقيل: المحكم ما كان معقول المعنى، والمتشابه بخلافه.

وقيل: المحكم ما استقلّ بنفسه، والمتشابه، لا يستقلّ بنفسه، إلّا برده إلى غيره.

وقيل: المحكم، ما تأويله، تنزيله، والمتشابه، ما لا يُدرى إلّا بالتأويل.

وقيل: المحكم، ما لم تتكرّر ألفاظه، ومقابلته، المتشابه.

وقال الدكتور صبحي الصالح في كتابه «مباحث في علوم القرآن»^(٢):

«إنّ المحكم، هو الذي يدلّ على معناه، بوضوح، لا خفاء فيه، والمتشابه هو الذي يخلو من الدلالة الراجحة على معناه، فيدخل في المحكم: النص، والظاهر... ويدخل في المتشابه: المجمل، والمؤول، والمشكل».

(١) الإتقان في علوم القرآن: ٣-٥.

(٢) مباحث في علوم القرآن: ٢٨٢.

وفي كتاب «علوم القرآن»^(١) للسيد محمد باقر الحكيم:
 «المحكم من الآيات: ما يدلُّ على مفهوم معيَّن، لا نجد صعوبةً، أو تردُّداً
 في تجسيد صورته، أو تشخيصه في مصداق معيَّن.
 والمتشابه: ما يدلُّ على مفهوم معيَّن، تختلط علينا صورته الواقعيَّة،
 ومصداقه الخارجيّ». وقد نقل السيد محمد حسين الطباطبائي في «الميزان في تفسير القرآن»^(٢)
 ستة عشر قولاً في معنى «المحكم والمتشابه» واستدرك عليها محاججاً.



٧- الحكمة في اشتغال القرآن على المتشابه:

ما هو السبب في اشتغال الكتاب على المتشابه ؟
 قال الزمخشري في «الكشاف»^(٣):

«فَإِنْ قُلْتَ: فَهَلَا كَانَ الْقُرْآنُ كُلُّهُ مُحْكَمًا ؟

قُلْتُ: لو كان كُلُّهُ مُحْكَمًا، لتعلَّق الناس به، لسهولة مأخذه، ولأعرضوا عما
 يحتاجون فيه إلى الفحص، والتأمل من النظر، والاستدلال. ولو فعلوا ذلك،
 لعطلوا الطريق، الذي لا يتوصَّل إلى معرفة الله، وتوحيده إلّا به، ولما في المتشابه

(١) علوم القرآن: ١٧١.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ٣: ٣٨ - ٤٥.

(٣) الكشاف: ١: ٣٦٦.

من الابتلاء، والتّمييز بين الثّابت على الحقّ، والمنزلزل فيه، ولما في تقادح العلماء، وإتباعهم القرائح في استخراج معانيه، وردّو إلى المحكم من الفوائد الجليّة، والعلوم الجمّة، ونيل الدرجات عند الله، ولأنّ المؤمن المعتقد أنّ لا مناقضة في كلام الله، ولا اختلاف، إذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره. وأهمّه طلب ما يوفّق بينه، ويجريه على سنن واحد، ففكّر، وراجع نفسه، وغيره، ففتح الله عليه، وتبيّن مطابقة المتشابه المحكم، ازداد طمأنينة إلى معتقده، وقوّة في إيقانه.

وقال ابن شهر آشوب^(١):

«والحكمة في إنزال المتشابه: الحثّ على النظر الذي يوجب العِلْمَ، دون الاتكال على الخبر من غير نظر... ثُمَّ إِنَّ بِهِ يَتَمَيَّزُ الْعَالَمُ مِنَ الْجَاهِلِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾.

وقد بسط السيّد الطباطبائي في تفسيره «الميزان»^(٢) الحكمة في اشتغال القرآن على المتشابه بقوله:

«والذي يستحقّ الإيراد والبحث من الأجوبة، وجوه ثلاثة:

الأوّل: إنّ اشتغال القرآن الكريم على المتشابهات لتمحيص القلوب في التصديق به، فإنّه لو كان كلّ ما ورد في الكتاب معقولاً، واضحاً، لا شبهة فيه عند أحد، لما كان في الإيمان شيء من معنى الخضوع لأمر الله - تعالى - والتّسليم لرسوله.

(١) متشابه القرآن والمختلف فيه: ١: ٣.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ٣: ٦٥ - ٦٦.

الثاني: إنَّ اشتغاله على المتشابه، إنما هو لبعثِ العقلِ على البحث، والتنقير، لتلايموتِ بَاهِمَالِهِ بِالْقَاءِ الواضحات التي لا يعمل فيها عامل الفكر، فلنَّ العقلَ، أعزُّ القوى الإنسانية التي يجب تربيتها بتربية الإنسان.

الثالث: إنَّ الأنبياء بُعثوا إلى الناس، وفيهم العامة، والخاصة، والذكى والبليد، والعالم، والجاهل، وكان من المعاني ما لا يمكن التعبير عنه بعبارة، تكشف عن حقيقته، وتشرح كنهه، بحيث يفهمه الجميع على السواء. فالحرى في أمثال هذه المعاني أن تُلقى بحيث يفهمه الخاصة، ولو بطريق الكناية، والتعريض، ويؤمر العامة فيها بالتسليم، وتفويض الأمر إلى الله - تعالى -.

وقد قرَن السيد الطباطبائي بين معنى التأويل والمتشابه، فقال^(١): «فَسَّرَ قومٌ من المفسرين (التأويل) بـ (التفسير). وإذا كان المراد من بعض الآيات معلوماً بالضرورة، كان المراد بالتأويل - على هذا - من قوله - تعالى -: ﴿وَإِنِّي أَنفَعُ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ هو المعنى المراد بالآية المتشابهة، فلا طريق إلى العلم بالآيات المتشابهة - على هذا القول - لغير الله سبحانه، أو: لغيره، وغير الراسخين في العلم.

وقالت طائفة أخرى: إنَّ المراد بالتأويل: هو المعنى المخالف لظاهر اللفظ. وقد شاع هذا المعنى بحيث عاد اللفظ حقيقةً ثانية فيه، ما كان - بحسب اللفظ - لمعنى مطلق الإجماع أو المرجع».



٨ - أَهْمُ كُتُبِ «متشابه القرآن»:

اهتمّ علماء المسلمين بكتاب الله اهتماماً كبيراً، حتّى أنّنا نستطيع القول: أنّ ليس هناك كتاب لَقِيَ من العناية والاهتمام والدّرس ما لَقِيَهُ القرآن الكريم. فقد اهتمّوا بجوانبه جميعاً: بقراءاته، ونحوه، ولغته، وصرفه، وبلاغته، وناسخه، ومنسوخه، وأسباب نزوله، وفقهه وأحكامه، وإعجازه... وكان من جملة ما اهتمّوا به: محكمه، ومتشابهه. وآلف العلماء في هذا الجانب مؤلفات كثيرة أهمّها^(١):

- ١ - متشابه القرآن لأبي عمارة حمزة بن حبيب الزيات، من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) والمتوفى أيام المنصور.
- ٢ - المتشابه في القرآن، لعليّ بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩ هـ).
- ٣ - متشابه القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩ هـ).
- ٤ - متشابه القرآن، لبشر بن المعتمر (ت ٢١٠ هـ).
- ٥ - متشابه القرآن، لمحمد بن الهذيل العلاف (ت ٢٥٣ هـ).
- ٦ - متشابه القرآن، لجعفر بن حرب (ت ٢٣٦ هـ).
- ٧ - متشابه القرآن، لأحمد بن جعفر (ابن المنادي) (ت ٢٥٦ هـ).
- ٨ - متشابه القرآن، لمحمد بن عبد الوهاب الجبائي (ت ٣٠٣ هـ).
- ٩ - المتشابه في القرآن، للشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين الموسوي (ت ٤٠٦ هـ).

(١) أنظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون.

الدّريعة إلى تصانيف الشيعة. معجم المفسرين من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر.

- ١٠ - متشابه القرآن، للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ت ٤١٥هـ).
- ١١ - متشابه القرآن، لأبي سعيد محمد بن أحمد بن محمد العميري (ت ٤٣٣هـ).
- ١٢ - متشابه القرآن والمختلف فيه، لرشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ).
- ١٣ - متشابهات القرآن، لعلم الدين بن علي بن محمد السخاوي (ت ٦٤٣هـ).
- ١٤ - متشابه القرآن، لمحمد بن محمد (ابن الإمام) (ت ٧٤٥هـ).
- ١٥ - رد التشابه إلى المحكم، للشيخ محمد بن أحمد بن اللبان الأشعري المصري (ت ٧٤٩هـ).
- ١٦ - متشابه القرآن، للشيخ أبي عبدالله محمد بن هارون المعروف والده بالسكال (الكال).
- ١٧ - متشابه القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ).
- ١٨ - متشابه القرآن، لصدر المتألهين محمد إبراهيم الشيرازي (الملا صدرا) (ت ١٠٥٠هـ).
- ١٩ - متشابهات القرآن، لأحمد بن محمد الدردير (ت ١٢٠١هـ).
- ٢٠ - إلى غيرها من مؤلفات حديثة نسبياً، أو معاصرة.



٩ - متشابه القرآن والمختلف فيه - لابن شهر آشوب :-

لابن شهر آشوب باعٌ طويلٌ في العناية بالقرآن الكريم. ينبتنا بذلك كتابه هذا في (المتشابه) وكتابه المفقود (أسباب النزول).

وكتابه (متشابه القرآن) - الذي نحن بصدد الحديث عنه - «يعدُّ من كتب التفسير المهمة، التي لا يستغني عنها مَنْ يريد أن يفهم كلام الله، ويقف على معانيه، وأسرار بلاغته. وقد جمع فيه المؤلف بين التفسير والتأويل في ضوء الحديث وأقوال المفسرين، وأدلة الشرع، ومقتضى العقل، وقانون اللغة العربية»^(١).

وهو يميّز - كما يقول السيد هبة الدين الشهرستاني^(٢) - : «بحسن أسلوبه وتبويه، وبداعة تربيته، إذ صاغ المصنّف مصنّفه العلامة المتفنّن على دوائر العلوم الإسلامية، فوزّع التشابهات على ذاك النسق مبتدئاً من أبواب التوحيد، وصفات الله، فأبواب العدل والتنزيه، إلى أبواب النبوة، والإمامة، فالمعاد يوم القيامة، ثم أبواب الفقه والتشريع... ثم الفنون الأدبية والعربية. وهذا الوضع البديع، نادرٌ، غير مسبوق، يعين الطالب في تسهيل المطالب... مع حسن أسلوبه، وسبكه البديع في انتقاء المعاني المهمة، وانتخاب المطالب الفذّة... بفصاحة لفظ تعانق بلاغة المعنى بإيجاز واختصار جعلتا هذا السّفَر النّقيس جديراً للمصاحبة والتدريس».

(١) قضايا إسلامية: ٣٠٩. من دراسة للأستاذ علي الكعبي.

(٢) متشابه القرآن: ٢: ٢٨٧.

ويقول الأستاذ محمد هادي معرفة^(١) عنه: «فهو من خير ما كُتب في متشابهات القرآن بأجمعها، وأشملها، وأتقنها إحكاماً، وبياناً، وتفصيلاً، وَضَعَهُ على أسلوبٍ طريفٍ... وما إلى ذلك ترتيباً طبعياً، منسجماً، سهلاً التناول، قريب المنال في عباراتٍ سهلة، جزلة».

نهج ابن شهر آشوب طريقةً مثلى في تبويب كتابه، تستوعب جميع أنواع التشابه، وأسبابه ولا تخرج منه آية من الآيات المتشابهات، إذ وُزَّع هذه الآيات حسب موضوعها على عشرة أبواب هي:

١ - باب ما يتعلق بأبواب التوحيد.

٢ - باب ما يدخل في أبواب العدل.

٣ - باب ما جاء في النبوات.

٤ - باب ما يتعلق بالإمامة.

٥ - باب المفردات.

٦ - باب ما يتعلق بأصول الفقه.

٧ - باب فيما يحكم عليه الفقهاء.

٨ - باب الناسخ والمنسوخ.

٩ - باب مما جاء من طريق النحو.

١٠ - باب النوادر.

(١) التفسير والمفسرون: ٢: ٩٣١.

ثم قسّم المؤلف كلّ باب من الأبواب العشرة المتقدّمة إلى عدّة فصول. إلّا أنّه لم يلتزم بعنوانة الفصول المتفرّعة مكتفياً بالإشارة إلى بداية كلّ فصلٍ جديد بكلمة (فصل).

وقد تابع المؤلف التزامه النسق الموضوعي، الذي تبنّاه في هذه الفصول أيضاً، فجمع في كلّ فصلٍ الآيات المتشابهات التي تجتمع بالدلالة، أو القرينة، أو الوجه، أو سبب التشابه، أو نوعه...^(١).

أمّا الموارد التي استقى منها في تفسيره، فقد قال في مقدّمته: إنّهُ إمّا أن يكون محرّراً لما قاله المفسّرون، والمتكلّمون، أو محقّقاً لأقوالهم، أو مبتدئاً القول في التفسير.

وقد وجدنا ابن شهر آشوب أميناً فيما ينقله، فهو يعزو النصوص إلى قائلها، وقد ينتقدها، أو يردّها. وقد وظّف عدّة مناهج في تأليف كتابه: فقد اعتمد منهج تفسير القرآن بالقرآن بحمل التشابه على المحكم. فالقرآن يفسّر بعضه بعضاً.

كما اعتمد منهج التفسير بالأثر، فاستند إلى روايات أهل البيت (عليهم السلام) لتعزيد ما يذهب إليه، كما عوّل على روايات الصحابة لاسيّما في مقام الاحتجاج.

كما عوّل ابن شهر آشوب - في بعض موارد تفسيره - على إجماع الأئمة، وعنده: أنّ الإجماع لا بدّ من أن يكون قول الإمام المعصوم داخلياً فيه.

كما حرص ابن شهر آشوب على التوفيق بين تأويل النصوص وما دار على

(١) قضايا إسلامية: ٣١٢-٣١٣، من دراسة للأستاذ علي الكمي.

السنة العرب من استعمال لغوية ونصوص فصيح، والاحتكام إلى ما هو معروف من لغة العرب، وأشعارهم، إلى جانب النقول الماثورة الأخرى، وقد أعانه على ذلك وفرة محفوظه من الشعر واللغة ومأثور الكلام.

وقد وظف كثيراً من الشواهد الشعرية الاعتقادية لأغراضه في تأويل المتشابه، مؤيداً رأيه، أو ناقضاً قول مخالفه. كما أورد ابن شهر آشوب أقوال المفسرين والمتكلمين والفقهاء واللغويين - بعلمية وحيادية - ومن مختلف المذاهب والمدارس، والاتجاهات. وهو فيما ينقله من المتقدمين عليه نجده بين موقفين:

أن يكتفي بعرض الآراء دون أن يبدي نظراً أو رأياً.

أو أن يعرض الآراء، ويبدي موقفاً في الترجيح والرد والمفاضلة. وجملة ترجيحاته، وردوده تقوم على نظرات علمية، وأدبية، ولغوية، دقيقة.

ثم إن ابن شهر آشوب اعتمد منهج إيراد المناظرات الكلامية والاحتجاجات الاعتقادية في جملة من المسائل التي دار حولها الجدل، واختلفت فيها الآراء. وقد أكسبت هذه المناظرات تفسيره أهمية خاصة ونفخت فيه روحاً حية متجددة.

وهو في مجمل مسائل الاعتقاد والتشريع ينتصر لمذهب الإمامية الاثنى عشرية المتمسكين بولاية أهل بيت النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله) وعترته الميامين من دون غش أو تجريح لمخالفهم، أو طعن وتشهير^(١).

(١) استفاد هذا المطلب من الدراسة القيمة للأستاذ علي الكمي المنشورة في مجلة قضايا إسلامية:

بقي أن نقول: إن ابن شهر آشوب لم يقتصر في كتابه هذا على المتشابه من القرآن الكريم، بل تجاوزه إلى ما اختلف فيه العلماء، والفقهاء في مسائل: الفقه، وأصوله، والناسخ والمنسوخ، وما جاء من طريق النحو والبلاغة. لذلك وسم كتابه بـ (متشابه القرآن والمختلف فيه) ليكون محيطاً بمضامينه.

إن كتاب (متشابه القرآن والمختلف فيه) لابن شهر آشوب سلك منهجاً متميزاً في التأليف. لم يسبق إليه، فهو أخذ بالتفسير الموضوعي للقرآن الكريم، انفرد به عن سابقيه ولاحقه، فقد دأبت كتب المتشابه على إيراد الآيات المتشابهة في سياقها من السور القرآنية بحسب ترتيبها في القرآن الكريم.

أما ابن شهر آشوب، فقد ابتكر منهجاً فريداً جمع فيه الآيات ذات الموضوع الواحد في موضع واحد، مفسراً بعضها ببعض، وهذا دليل تفرده، وأصالته، وقوة شخصيته العلمية في إنجاز كتاب في (المتشابه) ندعي - واثقين - بأنه أفضل ما ألف، وأشمل ما كتب، وأعمق ما صنف في موضوع (المتشابه) عند المسلمين جميعاً، على اختلاف مذاهبهم، وأعصارهم، وأمصارهم. فله درّه!



١٠ - توثيق نسبة الكتاب إلى ابن شهر آشوب:

أجمعت مصادر العامة والخاصة، وكتب الرجال، وفهارس الكتب على نسبة كتاب (متشابه القرآن) إلى محمد بن علي بن شهر آشوب المتوفى (٥٨٨هـ). كما أنه ذكره هو في كتابه (معالم العلماء) الذي هو تكملة لفهرست الشيخ

أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى (٤٦٠هـ).

وقد ذكر فيها - جميعاً - باسم: (متشابه القرآن). وقد نصَّ المؤلف في خاتمة كتابه على عنوانه كاملاً، فقال: «هذا آخر كتاب متشابه القرآن والمختلف فيه».

وقد طُبِعَ بعناية السيد هبة الدين الشهرستاني سنة ١٣٦٩هـ في إيران بعنوان: «متشابه القرآن ومختلفه»، ونورد على هذا العنوان ملاحظتين:

الأولى: مخالفته لما نصَّ عليه المؤلف في عنوانه كتابه.

والثانية: مخالفته لقواعد العربية، فالفعل (اختلف) فعل لازم، فلا يكون مرفوعه - عند بنائه للمفعول - إلا ظرفاً، أو جازاً ومجروراً، أو مصدرأً مقيّداً.

فالصواب أن يقال (والمختلف فيه)، كما أثبتهُ المصنّفُ العلامةُ التحرير.

كما نوذُ أن نشر إلى أن ابن شهر آشوب حين ألّف كتابه كان قد بلغ مرحلة النضج العلمي، والرصانة الفكرية، والتمرُّس في الدرس، والكتابة والتأليف والحياة، فقد ذكر في خاتمة كتابه: «نجز الكتاب في سنة سبعين وخمسمائة»، فهو - إذن - قد ألّفه وقد بلغ من العمر إحدى وثمانين سنة، وقد ألّف - قبله - مجموعة من الكتب، ذكر بعضها في كتابه (المتشابه) ككتاب: أسباب النزول، وكتاب: مناقب آل أبي طالب. ونقل عن ثانيهما.



١١ - النسخ التي اعتمدنا عليها في التحقيق:

اعتمدنا في تحقيق كتاب (متشابه القرآن والمختلف فيه) على خمس نُسخٍ

خطية وهي:

١ - نسخة المكتبة الحسينية الشوشترية العامة في النجف الأشرف (وهي اليوم من المكتبات الدائرة وانتقلت مخطوطاتها إلى مكتبة المتحف العراقي سنة ١٩٨١م).

وهي نسخة تامة، دقيقة الخط، مقروءة، تقع في جزأين:
الجزء الأول: في ١٣٤ صفحة. تم نسخه سنة ١١٠٣هـ.
والجزء الثاني: في ١٤٦ صفحة. تم نسخه سنة ١٠٧٩هـ.
مقاس صفحاتها: ٢٥ سم × ١٥ سم.
عدد أسطر الصفحة: ٢٩ سطراً.
بالتسلسل: ٧٦٤ وبالرقم ١٣/١٢٣.

٢ - نسخة المكتبة الحسينية ببغداد (هبة الدين الشهرستاني) - مكتبة الجوادين - فيما بعد - في الكاظمية.
وهي نسخة كُتبت بخط واضح قديم، وسقطت منها أوراق متفرقة، أُعيدت كتابتها، بخط حديث من قبل أحمد القمي النجفي سنة ١٣٤٢هـ لخزانة السيد محمد علي هبة الدين.

مسجلة بالرقم (١٧٧خ). وتقع في جزأين:
الجزء الأول: في ٢٠٩ صفحة.
والجزء الثاني: في ٢٢٠ صفحة.
عدد أسطر الصفحة: ٢٣ سطراً.
مقاس صفحاتها: ٣٠ سم × ١٥ سم.
رمزنا إليها بالحرف: (ه).

٣ - نسخة مكتبة كاشف الغطاء العامة.

وهي نسخة تامة مقروءة، واضحة الخط، مغفلة من اسم الناسخ، وتاريخ النسخ.

وتقع في جزأين:

الجزء الأول: في ٢٥٥ صفحة.

والجزء الثاني: في ٢٥٧ صفحة.

مقاس صفحاتها: ٢٥ سم × ١٥ سم.

عدد أسطر الصفحة: ٢١ سطراً.

ورمزنا إليها بالحرف: (ك).

٤ - نسخة مكتبة آية الله الحكيم العامة:

نسخة تامة، واضحة الخط، استنسخها لنفسه الشيخ محمد بن طاهر بن حبيب السماوي. وفرغ من نسخها في منتصف ربيع الثاني سنة ١٣٣٦ هـ. ثم فرغ من مقابلتها مع نسخة صحيحة قديمة - كما يقول - في شهر رمضان سنة ١٣٤٦ هـ. مسجلة بالرقم (٢٧٤٦٠) وتقع في جزأين:

الجزء الأول: في ١٧٥ صفحة.

والجزء الثاني: في ١٨٠ صفحة.

مقاس صفحاتها: ٢٥ سم × ١٥ سم.

عدد أسطر الصفحة: ٢٥ سطراً.

ورمزنا إليها بالحرف: (ح).

٥ - نسخة مكتبة أمير المؤمنين (عليه السلام) العامة.

وهي نسخة قديمة. كُتبت بخط رديء، كثير الخطأ والتحريف، والتصحيح، والسَّقْط. وهي بالتسلسل العام بالرقم (٢٥١٧) والتسلسل المخزني (٨١/٣/١) علوم قرآن وتقع في جزأين:

الجزء الأول في: ١٦١ ورقة.

والجزء الثاني في: ٢٠٠ ورقة.

مقاس صفحاتها: ٢٦ سم × ١٩ سم.

عدد الأسطر في الصفحة: ٢١ سطراً.

ناسخها: علي بن أمير عبد الباقي المشكي الاصفهاني.

تاريخ النسخ: ١٠١٣ هـ.

ورمزنا إليها بالحرف: (أ).

٦ - وقد استأنسنا بالنسخة المطبوعة سنة ١٣٦٩ هـ في طهران بعناية السيد

هبة الدين الشهرستاني الذي يقول عن النسخة الخطية التي اعتمد عليها في طبعه الكتاب: «ومن ممن الله - سبحانه - أن سافرتُ إلى بلاد الهند سنة ١٣٣٠ هـ فأسفر سفري عن هذا السُّفر النفيس، وهو مخطوط قريب العصر من عصر مؤلفه الجليل»^(١).

ولعلها هي النسخة التي بين أيدينا التي رمزنا إليها بالحرف (هـ).

وقال أيضاً: «وحصل - بعد السعي البليغ - نسخة مخطوطة أخرى لهذا

(١) خاتمة طبعة السيد هبة الدين الشهرستاني لـ (متشابه القرآن والمختلف فيه): ٢: ٢٩٣.

الكتاب الفذ تعينه في المقابلة والتصحيح...»^(١).

ويقول ناشر الكتاب (حسن مصطفى): «ولما لم يكن عندنا إلا ثلاث نسخ غخطوة غير مصححة، فبذلنا جهدنا في مطابقتها، وإخراج هذه النسخة منها...».

ولم نقف على هذه النسخ الخطية التي ذكرها السيد هبة الدين، والسيد حسن مصطفى. ولا على أوصافها، أو مظان وجودها.

وقد جاءت طبعة (هبة الدين) للكتاب - بعد بذل الجهد والوسع والطاقة - أشبه بنسخة خطية، خالية من شروط النشر العلمي تماماً، كثيرة التحريف والتصحيف، والسقط.

وعلى الرغم من كل هذا، فقد اتخذنا طبعته هذه نسخة سادسة نستأنس بها عند الحاجة. وقد رمزنا إليها بالحرف: (ط).

ولابد من التنبيه على أن النسخ الخطية الخمسة التي اعتمدنا عليها - كما تبين لنا - ترجع إلى أصل واحد، نقلت عنه في أوقات متفاوتة، وبخطوط مختلفة، فهي تكاد تكون متشابهة في كل خصائصها: صحة، وخطاً، وسقطاً، تحريفاً، وتصحيفاً، إلا ما تفرضه شخصية الناسخ، وقابلياته في القراءة والكتابة.

ونأمل مستقبلاً - بإذن الله العزيز القدير - أن نحصل على نسخ أخرى، تصلح ما فاتنا إصلاحه في هذه الطبعة.



(١) خاتمة طبعة السيد هبة الدين الشهرستاني لـ (متشابه القرآن والمختلف فيه): ٢: ٢٩٣.

١٢ - عملنا في تحقيق الكتاب:

١ - اتخذنا (النسخة «ش») أصلاً - وقابلنا معها النسخ الأخرى - على الرغم من أنها ليست أقدم النسخ لما تتميز به من دقة وتمام وضبط، وقلة تحريف وسقط.

٢ - حرصنا في المقابلة بين النسخ على تثبيت الاختلافات بينها مهما كانت جزئية، وطفيفة، وصغيرة، لكون النسخ الخمسة تعود إلى أصل واحد والاختلاف بينها، متأثراً من اختلاف النسخ عن أصل واحد.

٣ - وضعنا الزيادات على النسخة (ش) والساقط منها بين معقوفتين [] .

٤ - خرّجنا الآيات القرآنية الكريمة.

٥ - خرّجنا الأحاديث النبوية الشريفة، وأحاديث أهل البيت (عليهم السلام) والمرويات من مظانها المعتمدة.

٦ - خرّجنا الشواهد الشعرية من دواوين الشعراء، أو المجاميع الشعرية.

٧ - أرجعنا الأحاديث إلى مواردها، التي نُقِلَتْ عنها.

٨ - حرصنا على إرجاع الإحالات إلى مصادرها وتوثيقها.

٩ - رَقَمْنَا أبواب الكتاب العشرة، ثم رَقَمْنَا الفصول داخل الباب الواحد.

١٠ - وضعنا عناوين مناسبة لكل فصل بما يتضمّنه من مطالب.

١١ - علّقنا في بعض المواضع: استدراكاً، أو توضيحاً، أو تصحيحاً، أو

توجيهاً.

١٢ - عملنا فهرس تفصيلية للكتاب بما يسهّل الرجوع إلى مطالبه.



١٣ - كلمة أخيرة :

إنّ عملي في تحقيق (متشابه القرآن والمختلف فيه) كان قد تمّ في ثمانينات القرن الماضي، حينما لم تكن وسائل العمل ميسّرة، وأدوات التحقيق بدائية في البحث والتنقيب، والتنقيح، وكثير من مصادره مازالت مخطوطة، أو غير منشورة نشرًا علميًا - وليس كما هي اليوم - . وبقي العمل مزويًا لأكثر من عشرين عاماً لا يمكن نشره في العراق، أو خارجه لظروف لا تخفى على أحد، إلى أن تيسّرت الفرصة بتغيّر الوضع العام في العراق فتحفّزت إلى عرضه للنشر - كما عمِلَ في ثمانينات القرن الماضي - فبادر متدى النشر - بما له من تاريخ وجهاد وتطلع - إلى القيام بنشره.

وما حفّزني إلى نشره، ما ورد في مقالة للأستاذ علي الكعبي في مجلّة (قضايا إسلامية)^(١) عن الكتاب، يقول في خاتمتها: «والذي أودّ أن أقوله في هذه الكلمة هو أنّ هذا الكتاب الذي جاء فريداً في بابهِ، ونهاية في حسن الصوغ، ومجال التعبير، ليكشف عن غزارة علم مؤلّفه، وعبقريته الفدّة. وإحاطته في مختلف العلوم، بقي هذا الكتاب، وبجميع حروفه المطبوعة منذ سنة ١٣٦٩ هـ - يضيّج إلى المعنيين بشؤون تحقيق التراث الإسلامي، ويشكو إلى الأخوة الباحثين من كثرة التصحيف والتحريف والعيوب الطباعية التي تجعل الباحث والمراجع لهذا الكتاب يبدّل متّسعاً من الوقت في التصحيح، والتوثيق والتقويم. وكلّنا أمل بأنّه سيلقى العناية من الأخوة المحقّقين ليأخذ مكانته المرموقة، وحيزه المطلوب في المكتبة الإسلامية وبشكلٍ يناسب مقام مؤلّفه».

(١) قضايا إسلامية: ٣٥٦.

أدعو الله العزيز القدير أن يتقبَّل جهدنا بأحسن قبول، راجين وجهه الكريم وثوابه الجسيم في يومٍ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم، إنه هو الحليم الكريم، وصلى الله على سيدنا نبي الرحمة والهدى محمد وآل بيته الطاهرين المنتجبين وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربَّ العالمين.

﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾

حامد جابر حبيب المؤمن الموسوي

ربيع الأول الميمون ١٤٢٩ هـ / النجف الأشرف



هكذا به مثل القرآن **الحمد لله** الذي جعل في القرآن منافع كثيرة وانما فيه من
الحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد وآله الطاهرين **و** قال الشيخ لا يخفى ان ما في القرآن من
المازدراني رضي الله عنه سلمه ونفكر الله في عزرائل املنا كتاب في بيان اشكالات من الايات المتشابهة
وما اختلف العلماء فيه من حكم الايات والتعريف لهذا التحقيق عبرة عما لا يحاد ولا يجد الا القاطم
والكتب كبار المتكلمين او كتاب في بعض نفاير المحققين العدلين **و** نقل ما يحصر في تلك الايات في كتابكم
الذي ذكر مع نظم الفكر وضيق الصدر وشغل القلب وعناء السفر وفقدان الكتب منها ما ابتدأ به
ومنها ما سبقنا اليه فخرناه ومنها ما وجدناه مختلفا فحفظناه والمنشأ به ما لا يعلم الا بالظاهر وحرف
به ما لا يدل على المراد منه لا لتباسه وقال ابن عباس الحكم لنا في المنشأ المتشوخ وقال مجاهد
الحكم ما لم يشبه معناه والمنشأ به ما اشتبهت معانيه وقال البيان الحكم لا يجعل في وجهها ولا
والمنشأ به ما جعل وجهين فصاعداه وقال جابر الحكم لم يعلم تخميننا اوليه والمنشأ به ما لا يعلم تخمين
ناوليه وقبله ما لا ينظم لفظه معناه الا بزيادة او حذف او نقل ونسب منشأه لا بدنية الحكم
وقيل لاشبهاء المراد منه بالبريد والمنشأ به في القرآن انما يقع فيها اختلاف الناس فيه من امور
الدين يخوفونه واضلوا فيه على علم واضلوا في التفسير وفيها ما لا يحمل معنيين او لكما او اكثر
يحمل على الاصوب مثل الله مخلوقه ونحوه **و** عينا ومنها ما لا يحتمل من منافعة يخوضون فيها
سبع سموات فيؤمنون ونحوه في اربعة ايام وقوله في حجة ايام ومنها ما هو عكس فيه نحو قوله
قوله ليس كمثل شيء وما يقع ذلك من التناقض التي يحتاج اليها في تفسيرها انما هو موضوع الفقه
او يقتضي العقل او بموجب الشرع والحكمة في ازالة التشابه كالحديث على النظر الذي هو موجب العلم وروى
لا يمكن ان على الخبر من غير نظر ذلك انما هو يعلم بالنظر ان جميع ما بين الرسول الى الله عليه السلام
حق يجوز ان يكون الخبر كذا او بطلت دلالة التعبد ونحوه ثم ان به خبر العار من الجاهل كما قاله ما يعلم تأويله
والراحمون في العلم ثم ان من اهل اللغة ومن علومهم الاستعار فواها والنعير والهمز وقد يكون محكما من
ومنها ما من وجوب العلوم والجهول يقع في الخبر من وجوب المعلوم دون الجهول او السهولة ما في وجوب
القدرة واسماها كثيرة منها اتباع هو من سبق اليها ان يدخل عليه شبهة فتقبل بصورة القبيح
والثالث التقليد الذي ارجع ترك النظر الخامس شغل على شئ سائر الفقه في علمه فلو قد غفر ذلك
واسئل الله العون على تمامه وان يوفقي لانام ما شئت فيه من كتاب سبب نزول القرآن فان كان
يحمل على علوم القسارية ولذا ذلك والمنع بطوله **اسم** ما جئنا انما التوحيد
قوله تعالى هو الذي خلق لكم في الارض جميعا ثم اسوى الى السما وقومهم

الصفحة الاولى من نسخة مكتبة الحسينية الشوشترية العامة

وقد رمزنا إليها بالحرف (ش)

قال انشرف مثل جده ذلك زهير قال اما الشاعر فقد علم لقوله فخيرهم معا عاها الزجال زيادة كاذبه فعرض
الادب الاطرب قال وعمل عرض الصفه قال اما الطالع فقد عرف لقوله الاكبر الناعمي بحجر يميني سعد
بمروين مسعود والسما المقدمه في محققين علي بن شهاب الحبيب المازني في روى عنه من هذا
التركيب فتناساه القرآن واقتلعت في عا لمولت طبعه فان اتفق فها يشته وشرحه في يمكن
ان يذهب اليه في سوي ما ذكره في كتاب الحاشي في مفرقة والمعاني

مشرك لنا كان انما اصب اليها حصة الحفص الجعد

محصولا لمان كلام العرب واستلزامه

خال العفو والعافيه والتمنا

والاخرة واستقر ان في

في مائة اربع مجيب

في الكتاب في سنة

في سنة

في سنة

في سنة

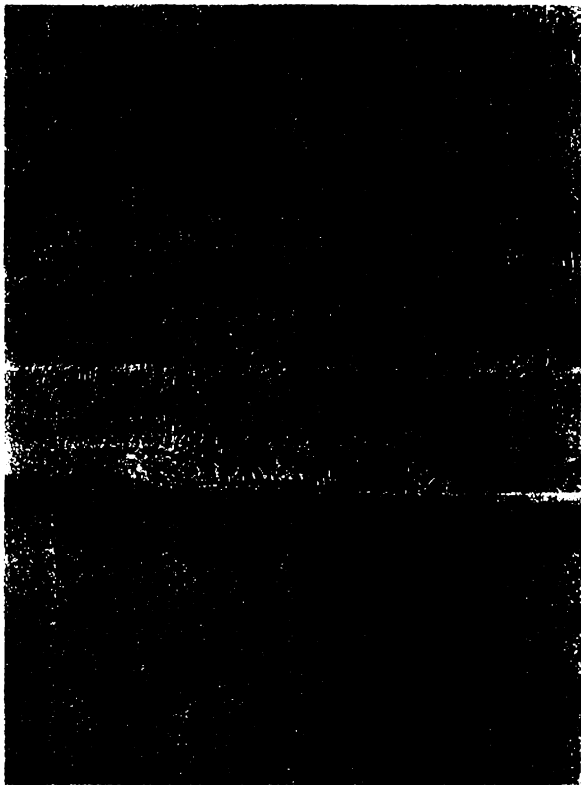
في سنة

بسم الله الرحمن الرحيم ومن استغنى
 الحمد مريد لما يجرى والصلوة والبر على يده وآله الطاهرين فالله المستعان
 شمس الأسفار من عيون شهر اشوب لما ورد اني روي عن علي بن
 ومفكر الصنفات الحمد كتاب في بيان المشكلات من الآيات المتشابهة
 وما اختلف العلماء فيه من حكم الآيات ولعمري ان هذا التصحيح المحقق
 ولا يكاد يخلو الا في كتب كتب الحكماء او في بعض تفاسير المحققين
 العديدين ومن لم يجد في كتابه للطالين فاجتهد في ذلك مع تجميع الأفكار
 الصدر ومشتغل القلب وغناء السفر وفقدان الكتب فما استدل
 ومنها ما سبغ فيه في رياه ومنها ما وجدناه محلا لمحققنا والتمسنا
 لا يعلم المراد منه حتى يقترن به ما يدل على المراد منه والسادس وقال
 ابن عباس في قوله تعالى والتمسنا بالمتنوع وقال المحقق في قوله تعالى والتمسنا
 معناه والتمسنا بالتمسنا معناه وقال الجبائي في قوله تعالى والتمسنا
 وجهها واحد والتمسنا به ما يجتمع وجهين فصاعداً وقال جابر في قوله تعالى
 تسمى بأوليه وفيها لا ينظر لفظه فعناه الا في زيادة او حذف او نقل في
 متشابهة لا تترك في قوله لا تشابه المراد منه باليسر او بالمتشابه
 القرآن لما يقع في اختلاف الناس فيه من امور الدين فهو قوله تعالى والتمسنا
 على علم واضل السعري ومنها ان يجتمع معنيين او ثلث او اربعة فيكون على
 مثل يد اسوطة في تجري باعيننا ومنها ما يترجم فيه من مناقضات فيفسد
 سبع من السعري في قوله في ارجعنا يا م ومنها ما يحكم فيه غير من السعري

الصفحة الأولى من نسخة مكتبة كاشف الغطاء العامة

وقد رمزنا إليها بالحرف (ك)

من النساء أي هذا ما ظهر النساء في التوراة والقرآن والعلماء والمؤرخين
 جميعهم ولم يدخلوا تحتها كثر لها صغافاً وكما لا تكلف نفسها في النقطة
 في قتال ولا يستمر العنادة كان من المدحضة المروية وأدخلوا إلى
 سياتهم قرناهم عما وكما وقوله لهدما أكرم أي لا يفيد على الخلق
 ودعوا شهداءكم بشر كما كنتم حشاً في سورة الحاشيا أي يحشوا على كتبها
 ولولا أن صبرنا وقوله وأصله على الحكم صبرهم في حروبنا وأصلنا أصح
 الثار وهم غير أشقيا حفظ الفروع عن الزنا الأقول ويحفظون فروعهم
 فانه السيرة في حصيل قال نافع بن الأزرق لا ينسأ شي أشق العرب
 الشراة قال الفقيه بن الربيع كان يعرف من هاجس حسان فانسأ
 فظل يشب كثير بعد كبره وينتقد بابا المشواة قال هل تعرف شيئا
 غلبه قال أما الفزد وسالمه كان يعرف حيث قال كان الرشي والفقيه
 منه خلل الفصل خالصه مشبه قال هل تعرف شيئا وخفة قال أما
 معمر كان يعرف حيث يقول هذا هو الذي كان وأسلت بها كفون أنفذا
 قال وهل تعرف ولا شيء مناس قال أما الأصغر فقد عرف حيث قال
 قد كنت كليل حين لا تذكر وقد بقت منها والناس بعد قال أنعرف
 بعد ذلك زيم قال أما الشاعر فقد علم القول زيم تداعاه الرجال زيادة
 كما زيم في عريض الأديم الأما راع قال وهل تعرف الصمد قال أما القاطر فقد
 لقولك الأبرك النافع كثر بن أسد بجم ومن مسعود وبالسعيد قال
 محمد بن علي بن شهر آشوب لما زعموا في فضل أبيه عنه هذا أمر كاشف
 القرآن والمختلف فيه ما عولت عليه فان التقوا بنبشة من صفة شئ
 يمكن أن نذهب عن الرعي سوى ما ذكرناه من الحفاة ونفقد قولها المشبه
 إذا كان لها صغافاً محققاً لذهاب العدل محصلاً لتمام الكلام الذي نسال
 العفود العاقبة الدنيا والآخرة يستغفر أن غيرت في غير ما ينبغي
 تحزنا لكاتب في سنة سبعين وخمسة مائة



الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة أمير المؤمنين (ع) العامة

كتاب عقاب العزيم وحيد

فيد من تصنيف ابن شهر آشوب

المنازل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد وآله الطاهرين قال الشيخ الاجل شمس الاسلام
عبد بن علي بن شهر آشوب المازندراني رضي الله عنه لا سالتم وفقكم الله للخيرات اطلاق
كتاب في بيان المشكلات من الآيات المتشابهات وما اختلف العلماء فيه من حكم الايات
ولم يري ان لهذا المبحث مجرعا ولا يكاد يوجد الا الغلط في كتب كبار المفسرين
او نكنا في بعض نفا سير المفسرين العديدين وقلنا يحير ذلك اللطائف فاجتهد في ذلك
مع نصيب الفكر وضيق الصدر وشغل القلب ودرعنا السوء وفقدان الكتب
فنهنا ما ابتدأناه ومنها ما سيقنا اليه فزناه ومنها ما وجدناه مختلفا مختلفا والنشأ
ما لا يعلم الا بالظاهر حتى يقرن به ما يدل على الما منه لا القياس وقال ابن عباس الحكم
الناسخ والمنسوخ وقال مجاهد الحكم ما لم يفسر معناه والمنشأ ما استنبط
معانيه وقيل الحكم ما لا يحتمل الا وجه واحد والمنشأ ما يحتمل وجهين فصاعدا
وقال جابر الحكم ما يعلم نفيه بآية والمنشأ ما لا يعلم نفيه بآية وقيل ما لا ينظم
لنظم معناه الا بآية او حذف او نقل وسمى منشأها لانه يشبه الحكم وقيل لا سفاها
الراية بما ليس بجواب والمنشأ في القرآن اغايب فيها اختلف الناس فيه من امور الدين
مخوفاته جازية واخبره الله على علم واخبره السارق ومنها ما لا يحتمل معنيين او ثلثا
او اكثر فنزل على الاصوب مثل يد الله مخلوقة ويحرم باعينا ومنها مما يزعم فيه مخالفة
مخوفضا من سبع سموات في يومين وقوله في اربع ايام وقوله في سنة ايام ومنها ما هو
حكم فيه غرضه مثل قوله ليس كمثل شيء وما ينبع ذلك من الغواض التي تحتاج الى بيانها
وسبغها منها اما بوضع اللفظ وبمقتضى العقل او بموجب الشرع والحكمة في انزال المنشأ
النشأ على النظر الذي يوجب العلم بكونه لا على الخبر من غير نظر وذلك انزل لم يعلم بالسفاهة
جميع ما ياتي في الرسول على الله عليه السلام حتى يجوز ان يكون كذا بطلت دلالة السبع فظنوا
ثم ان به وجود العالم من الجاهل كما قال وما يعلم تاويله الله والاسخون في العلم ثم انزل

الصفحة الأولى من نسخة مكتبة آية الله الحكيم العامة في النجف الاشرف

وقد رمزنا إليها بالحرف (ح)

لا يربحها حتى يفرغ من الشاة فلا يقيم انما يفرغ من الصلوة فلا يقيم على ما كان عليه من العمل
 ويفرغ منها بعد الصلاة فلا يقيم انما يفرغ من الصلوة فلا يقيم على ما كان عليه من العمل
 والعزيم من اخلوا الارض فاحسن من ذلك انما يفرغ من الصلوة فلا يقيم على ما كان عليه من العمل
 وهذا هو الذي هو عليه من العمل انما يفرغ من الصلوة فلا يقيم على ما كان عليه من العمل
 عوفه حيث قال: نذكر من عمل من عمل في الصلوة فلا يقيم على ما كان عليه من العمل
 قال تعالى: لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ولا تأكلوا أموالكم بالباطل ولا تأكلوا أموالكم بالباطل
 فانما قال: لا تأكلوا أموالكم بالباطل ولا تأكلوا أموالكم بالباطل ولا تأكلوا أموالكم بالباطل
 على من يشرى ثوب المارنداني السروي في الصلوة فلا يقيم على ما كان عليه من العمل
 عليه فان الثوب بها جدير وشهدت في ذلك ان مذهب فيها من بعض من يذاكر تركها في الخطأ في غير
 والمصافي مشهورة كقولها: انما تأكلوا أموالكم بالباطل ولا تأكلوا أموالكم بالباطل ولا تأكلوا أموالكم بالباطل
 الله تعالى الحق والحق في الدنيا والآخرة واستغفره من ذنوبه وفيه عثره فانه جميع ما في القرآن



/ ٢ / بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[وبه نستعين]^(١)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

قال [الشيخ الأجل شمس الإسلام]^(٢) محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني - رضي الله عنه - : سألتهم - وفقكم الله للخيرات - إملاء كتاب في بيان المشكلات من الآيات المتشابهات، وما اختلف العلماء فيه من حكم الآيات، ولعمري ! إن لهذا التحقيق بحرأ عميقاً، ولا يكاد يوجد منه^(٣) إلا ألفاظ^(٤) في

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ك) و(هـ).

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ك) و(هـ) و(ج). وفي (أ): قال الشيخ الأجل العالم الأوحـد رشيد النسب أبو جعفر...

(٣) (منه) ساقطة من (ك) و(هـ) و(أ).

(٤) في (ش) و(هـ) و(أ) و(ج): ألفاظاً.

كتب كبار المتكلمين، أو نكت^(١) في بعض تفاسير^(٢) المحققين، العدليين، وقلَّما يُحصَر^(٣) ذلك للطَّالِبِينَ، فأجبتكم إلى ذلك مع تقسُّم^(٤) الفكر، وضيق الصَّدْر، وشغل القلب، ووعثاء السَّفَر، وفقدان الكتب، فمنها ما ابتدأناه، ومنها ما سبقنا إليه، فحررناهُ، ومنها ما وجدناه مختلفاً^(٥)، فحقَّقناه.

والمتشابه: ما لا يُعلَمُ المرادُ بظاهره، حتَّى يَقترَنَ به ما يَدُلُّ على المرادِ منه، لالتباسه.

وَقَالَ ابن عَبَّاسٍ^(٦): المحكم الناسخ، والمتشابه المنسوخ.

وَقَالَ مجاهد^(٧): المحكم ما لم يشبهه معناه، والمتشابه ما اشتبهت معانيه.

وَقَالَ الجبائي^(٨): المحكم ما لا يَحتمَلُ إلَّا وجهاً واحداً، والمتشابه ما يَحتمَلُ وجهين فصاعداً.

(١) في (ش) و(هـ) و(أ) و(ح): نكتاً.

(٢) في (أ): نواسين.

(٣) في (ك): يحضر. بالضاد المعجمة.

(٤) في (أ): تقسيم. وفي (ح): تقسيم.

(٥) في (ك): مختلفاً. وفي (هـ): مختلفاً وكتب فوقها كلمة (مختلفاً). وفي (أ): مختلفاً.

(٦) جامع البيان: ٣: ١٧٢. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٤٠٩. التفسير الكبير: ٧: ١٧٠. الجامع لأحكام القرآن «تفسير القرطبي»: ٤: ١٠.

(٧) جامع البيان: ٣: ١٧٣. أيضاً: مجمع البيان: ١/ ٤٠٩.

(٨) مجمع البيان: ١: ٤٠٩. وهو في (جامع البيان): ٣: ١٧٣. من دون نسبة إلى أحد.

وَقَالَ جَابِرٌ^(١): المحكم ما يُعْلَمُ تعيينُ تأويله، والمتشابه ما لا يُعْلَمُ تعيينُ تأويله^(٢).

وقيل: ما لا ينتظم لفظه معناه، إلا بزيادة، أو حذف، أو نقل.
وسُمِّيَ متشابهاً، لأنه يُشَبِّهُ المحكم. وقيل: لاشتباه المراد منه بما ليس
بمراد.

والمتشابه في القرآن، إنما يقع فيما اختلف الناس فيه من أمور الدين، نحو
قوله [تعالى]^(٣): ﴿وَأَصْلُهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾^(٤)، ﴿وَأَصْلُهُمُ السَّامِرِيُّ﴾^(٥).
ومنها: ما^(٦) يحتمل معنيين، أو ثلاثاً^(٧)، أو أكثر، فيَحْمَلُ على الأصوب،
مثل: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾^(٨)، و: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾^(٩).

(١) جامع البيان: ٣: ١٧٤ - ١٧٥ عن جابر بن عبد الله. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٤٠٩. الجامع
لأحكام القرآن: ٩: ٤.

(٢) العبارة: «والمتشابه ما لا يعلم تعيين تأويله» ساقطة من (ك) و(هـ) و(أ).

(٣) (تعالى) زيادة من (ك) و(هـ). وفي (ح): سبحانه.

(٤) الجاثية: ٢٣.

(٥) طه: ٨٥.

(٦) في (ك) و(أ): أن. وفي (ح): ما لا يحتمل.

(٧) في (ك) و(هـ): ثلاث.

(٨) المائدة: ٦٤.

(٩) القمر: ١٤.

ومنها: ممّا^(١) يزعم فيه من مناقضة، نحو: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾^(٢)، وقوله: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾^(٣)، وقوله^(٤): ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^(٥).

ومنها: ما هو محكم فيه غموضة، مثل قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٦)، وما يتبع ذلك من الغوامض التي تحتاج^(٧) إلى بيانها، ويستخلص منها إمّا بموضوع اللغة، أو بمقتضى العقل، أو بموجب الشرع.

والحكمة في إنزال المتشابه، الحث^(٨) على النظر، الذي يوجب العلم دون الاتكال على الخبر^(٩)، من غير نظير^(١٠)، وذلك أنّه لو لم يعلم بالنظر أنّ جميع ما يأتي به الرسول - صلى الله عليه^(١١) وآله - حق، لجواز^(١٢) أن يكون الخبر كذباً،

(١) في (ك): ما.

(٢) فضلت: ١٢.

(٣) فضلت: ١٠.

(٤) العبارة: وقوله ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ساقطة من (ك) و(هـ).

(٥) الأعراف: ٥٤. وفي أكثر من موضع من القرآن الكريم.

(٦) الشورى: ١١.

(٧) في (ك) و(هـ): يحتاج. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٨) في (ك) و(هـ): بالحث.

(٩) في (ك) و(هـ): الخبر. بالياء المثناة من تحت.

(١٠) في (ش): نظره.

(١١) في (أ): عليه السلام.

(١٢) في (ك) و(أ): يجوز. بصيغة المضارع.

ويطلت دلالة السَّمْع، وفائدته.

ثُمَّ أَنَّ به يَتَمَيَّزُ^(١) العالم من الجاهل، كما قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(٢).

ثُمَّ أَنَّهُ مَنْزُلٌ عَلَى لُغَةِ الْعَرَبِ^(٣)، وَمِنْ عَادَتِهِمُ، الِاسْتِعَارَةُ، وَالْمَجَازُ، وَالتَّعْرِيزُ، وَاللَّحْنُ. وَقَدْ يَكُونُ مُحْكَمًا مِنْ وَجْهِ، وَمُتَشَابِهًا مِنْ وَجْهِ، كَالْمَعْلُومِ، وَالْمَجْهُولِ، فَتَصُحُّ الْحِجَّةُ مِنْ وَجْهِ الْمَعْلُومِ، دُونَ الْمَجْهُولِ.

وَالشَّبْهَةُ مَا تُتَصَوَّرُ بِصُورَةِ الدَّلَالَةِ، وَأَسْبَابُهَا كَثِيرَةٌ، مِنْهَا: اتِّبَاعُ هَوَى مِنْ سَبَقٍ إِلَيْهِ، وَالثَّانِي: أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ شَبْهَةٌ، فَيَتَخَيَّلَهُ بِصُورَةِ الصَّحِيحِ. وَالثَّلَاثُ: التَّقْلِيدُ. وَالرَّابِعُ: تَرْكُ النَّظَرِ. وَالخَامِسُ: نَشْوَةٌ عَلَى شَيْءٍ صَارَ^(٤) إِلْفَةً^(٥)، فَيَصْعَبُ عَلَيْهِ مَفَارِقَتُهُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ. وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْمَعُونَةَ عَلَى إِتْمَامِهِ، وَأَنْ يَوْفِّقَنِي لِإِتْمَامِ مَا شَرَعْتَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ (أَسْبَابِ نَزُولِ الْقُرْآنِ)، فَإِنَّ بَانْضِمَامَهَا، يَحْصُلُ جُلُّ عُلُومِ التَّفَاسِيرِ. إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ، وَالْمَنْعَمُ بَطُولُهُ^(٦).



(١) فِي (ك): تَمَيَّزُ

(٢) أَلْ عِمْرَانُ: ٧ .

(٣) (الْعَرَبِ): سَاقِطَةٌ مِنْ (ك).

(٤) فِي (أ): صِبَارِهِ.

(٥) فِي (ك): إِلَيْهِ. وَفِي (ش): وَأَلْفَةً.

(٦) الْعِبَارَةُ: «وَالْمَنْعَمُ بَطُولُهُ» جَاءَتْ فِي (ك) بَعْدَ قَوْلِهِ: «بَابُ مَا يَتَقَلَّقُ بِأَبْوَابِ التَّوْحِيدِ». الْآتِي ذِكْرُهُ.

[١]

بَابُ

مَا يَتَعَلَّقُ بِأَقْوَابِ التَّوْحِيدِ

قوله - تعالى -: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ ۚ / ٣ / سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾^(١).

الظاهر يقتضي أنه خلق الأرض قبل السماء، لأنَّ ﴿ثُمَّ﴾ للتعقيب والتراخي. وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ [آخِر] ^(٢): ﴿وَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾^(٣)، ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾^(٤). ليس بينهما ^(٥) تناقض، لأنه - تعالى - خلق الأرض قبل السماء، غير مدحوة، فلما خلق السماء، دحاهها بعد ذلك. ودحوها: بسطها. ومنه أدحية النعام، لأنها تبسطها لتبيض فيها.

ويجوز ألا يكون معنى ﴿ثُمَّ﴾ و﴿بَعْدَ﴾ في هذه الآيات للترتيب في

(١) البقرة: ٢٩.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ح).

(٣) النازعات: ٢٧.

(٤) النازعات: ٣٠.

(٥) في (ك): بينها.

الأوقات. والتَّقديم، والتأخير فيها، إِنَّمَا هو على جهةِ تعدادِ النِّعم، والإدِّكَارِ^(١) بها، كما يقولُ القائلُ لصاحبه: أليسَ قَدْ أعطيتُكَ، ثُمَّ حَمَلْتُكَ ثُمَّ رَفَعْتُ مِنْزِلَتِكَ، ثُمَّ بَعَدَ هَذَا كُلُّهُ أَخْلَصْتُكَ لِنَفْسِي. ويقال: ﴿بَعْدَ﴾، بمعنى «مع» [كـ]قوله^(٢):
﴿عُتِلُّ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْنِمْ﴾^(٣).

ويقال: بمعنى «قبل». [كـ]قوله^(٤): ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾^(٥).



قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾^(٦)
بلادعامه تدعّمها، ولا علامة^(٧) تتعلق^(٨) بها، بل إِنَّ الله - تعالى^(٩) - يَسْكُنُهَا^(١٠)

(١) في (ك) و(هـ) و(أ): الأذكار. بالذال المعجمة.

(٢) في (ش) و(هـ): قوله. وسقطت من (أ).

(٣) القلم: ١٣.

(٤) في (ش) و(هـ) و(أ): قوله.

(٥) الأنبياء: ١٠٥.

(٦) الروم: ٢٥.

(٧) (علامة): مطموس بعضها في (هـ).

(٨) في (ش) و(ك) و(أ) و(ح): علق. بصيغة الماضي.

(٩) (تعالى) سقطت من (ح).

(١٠) في (ك) و(هـ) و(أ): ليسْكُنْهَا. وفي (ح): يمسْكُهَا.

حالاً بعد حال، لَأَعْظَمُ دلالة على أَنَّهُ لا يقدر عليه سواه. ولو اجتمعت الجنُّ، والأنس^(١) على امساك تبنٍ^(٢) في الهواء، أو إثبات^(٣) تربة على الماء، لعجزوا. [شعر]^(٤):

بَنَى السَّمَاءَ فَسَوَّاهَا بِلا عَمَدٍ وَلَمْ تُمَدَّ بِأُطْنَابٍ وَلَا عَمَدٍ^(٥)

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾^(٦). أي: ليس لها عمدٌ^(٧)، تسندها^(٨). لَأَنَّهُ لو كان لها عمدٌ، لرأيتموها، فلمَّا لم تر^(٩)، دَلَّ على أَنَّهُ ليس لها عمدٌ^(١٠)، ولو كان لها عمدٌ، لكانت أجساماً عَظِيمَةً، حَتَّى يَصْحَ منها إقْلَالُ السَّمَاوَاتِ، ولو كانت كذلك، لاحتاجت إلى عمدٍ أُخَرٍ، فكان يتسلسل.

(١) (الأنس): ساقطة من (ك)

(٢) في (ك): بنية

(٣) في (ش) و(ش): وإثبات.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ك) و(هـ).

(٥) لم تنف على قائله.

(٦) لقمان: ١٠.

(٧) في (ش) و(أ): عمدًا.

(٨) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يستندها. بياض المضارعة المثناة من تحت.

(٩) في (ك): ير. وفي (هـ): لم ير ذلك.

(١٠) في (أ): ليس لها ما عمد.

فإذا لا عمد لها، بل الله^(١) يُسَكِّنُهَا^(٢) حالاً بعد حالٍ، بقدرته التي لا توازيها^(٣) قدرة قادر. وَقَالَ مجاهد^(٤): لها عمدٌ لا ترونها.

وسأل الحسين بن خالد [-رضي الله عنه -]^(٥) الرضا - عليه السلام - عن قوله: ﴿وَالسَّاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾^(٦). فقال - عليه السلام -^(٧): محبوكَةٌ إلى الأرض وشبك بين^(٨) أصابعه^(٩). لعلّه - عليه السلام - أراد بذلك قوله: ﴿وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾^(١٠)، لأنّه لو كان لها عمدٌ. لكانت أجساماً عظيمةً، كثيفةً، لأنّه لا يُقَلُّ مثل السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ إلّا ما فيه الإعتمادات العظيمة، ولو كانت كذلك لرأيناها، ولأدّى إلى التسلسل.

(١) في (ك): الله تعالى.

(٢) في (ح): يمسكها.

(٣) في (هـ): يوازينا.

(٤) جامع البيان: ٢١: ٦٥. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٣١٤.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ك).

(٦) الذاريات: ٧.

(٧) العبارة في (ك) بعد قوله (عليه السلام): أراد بذلك أنّ لها عمداً ولكن لا ترى. والعبارة: محبوكَةٌ إلى الأرض... بذلك) ساقطة.

(٨) في (هـ): من.

(٩) مجمع البيان: ٥: ١٥٣.

(١٠) (١٠): ق: ٧.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾^(١). ظاهِرُ الآيةِ يقتضي أنَّ العرشَ الَّذي تعبَّدَ اللهُ الملائكةَ بِحَمَلِهِ، كانَ مخلوقاً قَبْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. وقد اختاره المرتضى^(٢).

وَقَالَ الْجَبَّارِيُّ^(٣): فِي الْآيَةِ [دَلَالَةٌ]^(٤) عَلَى أَنَّهُ كَانَ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْمَلَائِكَةُ، لِأَنَّ خَلْقَ الْعَرْشِ عَلَى الْمَاءِ، لَا وَجْهَ حُسْنِهِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِيهِ لُطْفٌ مُكَلِّفٌ، أَوْ يُمَكِّنُهُ الْإِسْتِدْلَالَ بِهِ، فَلَا بُدَّ - إِذَا - مِنْ حَيٍّ مُكَلِّفٍ.

وَقَالَ الرُّمَّانِيُّ^(٥): لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَتَقَدَّمَ خَلْقُ اللَّهِ لَذَلِكَ، إِذَا كَانَ فِي الْإِخْبَارِ بِتَقَدُّمِهِ مَصْلَحَةٌ لِلْمُكَلَّفِينَ. وَهُوَ اخْتِيَارُ الطُّوسِيِّ^(٦).

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٧).

وَجْهُ الْإِحْتِجَاجِ بِخَلْقِ السَّمَاوَاتِ عَلَى اللَّهِ - تَعَالَى - وَلَمْ يَثْبُتَ - بَعْدَ - أَنَّهَا

(١) هود: ٧.

(٢) مجمع البيان: ٣: ١٤٤.

(٣) مجمع البيان: ٣: ١٤٤. وفي التفسير الكبير: ١٧: ١٨٧ معزو إلى المعتزلة.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ك) و(هـ) و(أ) و(ح).

(٥) مجمع البيان: ٣: ١٤٤.

(٦) التبيان في تفسير القرآن: ٥: ٤٥١.

(٧) آل عمران: ١٩٠.

مخلوقة، أَنَّ تَعاقَبَ الصَّيَاءِ وَالظَّلَامِ، يَدُلُّ عَلَى حَدُوثِ الْأَجْسَامِ. ثُمَّ أَتَتْهَا عَلَى تَقْدِيرِ كَوْنِهَا مَخْلُوقَةٌ، قَبْلَ الْاِسْتِدْلَالِ بِهِ، لِأَنَّ الْحُجَّةَ بِهِ، قَامَتْ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا لَمْ تَنْفَكْ مِنَ الْمَعَانِي الْمَحْدَثَةِ.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمِصُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾^(١).

استدل^(٢) الرُّمَّانِيُّ بهذه الآية على^(٣) أَنَّ السَّمَاوَاتِ غَيْرُ الْأَفْلَاكِ، لِأَنَّ الْأَفْلَاكَ تَتَحَرَّكُ، وَتَدُورُ. وَالسَّمَاوَاتِ لَا تَتَحَرَّكُ، وَلَا تَدُورُ.

وهذا غيرُ مرضيٍّ، لِأَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ أَنْ تَكُونَ^(٤) السَّمَاوَاتُ هِيَ الْأَفْلَاكُ، وَإِنْ كَانَتْ مَتَحَرِّكَةً، لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿يُمِصُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾، مَعْنَاهُ: لَا تَزُولُ عَنْ مَرَكِزِهَا الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ، وَلَوْ لَا إِمْسَاكُهُ، لَهَوَّتِ [السَّمَاوَاتِ]^(٥) - لَمَّا فِيهَا مِنَ الْاعْتِمَادَاتِ - سُفْلًا.



(١) فاطر: ٤١.

(٢) في (أ): استدلال.

(٣) (عل): ساقطة من (هـ) و(أ).

(٤) في (ش) و(أ): يكون.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ح).

فصل [١-]

[في بعض الظواهر الكونية]

قوله - تعالى -: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ / ٤ / وَالْمَغْرِبِ﴾^(١). وفي موضع: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾^(٢). وفي موضع: ﴿قُلْ أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾^(٣).

أراد بالأوّل، مَوْضِعَ الشُّرُوقِ، والغُرُوبِ، لأنَّ «المَفْعَلَ» - مِنْ «يَفْعَلُ» و«يَفْعِلُ» - إِسْمُ الْمَوْضِعِ^(٤) منها^(٥)، كالمَذْهَبِ، والمَدْخَلِ. أمّا المَشْرِقُ، والمَغْرِبُ فَيَجُوزُ - فِيهِمَا - كَسْرُ الْعَيْنِ^(٦)، وَفَتْحُهَا.

وأما الثّاني: فَعَنَى^(٧) بِهِ مَشْرِقَ الشَّتَاءِ، وَمَشْرِقَ الصَّيْفِ، وَكَذَلِكَ الْمَغْرِبُ.

(١) الشعراء: ٢٨، المزمل: ٩.

(٢) الرحمن: ١٧.

(٣) المعارج: ٤٠.

(٤) في (ك): للموضع.

(٥) في (ك): منها.

(٦) في (هـ): العين. بالغين المعجمة.

(٧) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): عَنَى

وذلك أَنَّ مَشْرِقَ الشَّمْسِ قَرِيبٌ، فَاللَّيْلُ^(١) أَطْوَلُ مِنَ النَّهَارِ. وكذلك المغرب.
وَأَمَّا الثَّالِثُ: عَنَى بِهِ مَنَازِلَ الشَّمْسِ فِي الشَّرُوقِ، وَالْغُرُوبِ، لِأَنَّ^(٢)
لِلشَّمْسِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتِينَ مَنَزِلًا، تَطْلُعُ - كُلُّ يَوْمٍ - مِنْ مَنَزِلٍ، وَتَغْرُبُ^(٣) فِي مَنَزِلٍ.
وَكذلك الْقَمَرُ إِلَّا أَنَّ^(٤) الْقَمَرَ يُجَاوِزُ الْمَنَازِلَ فِي شَهْرٍ وَاحِدٍ، وَالشَّمْسُ
تُجَاوِزُهَا فِي سَنَةٍ.



قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿قُلْ أَإِنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي
يَوْمَيْنِ﴾^(٥). وَقَالَ: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ﴾^(٦). وَقَالَ: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^(٧).
أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ يُرِيدُ مَعَ الْيَوْمَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ، لِأَنَّ خَلْقَ الرُّوَاسِي،
وغير ذلك، مِنْ تَمَامِ خَلْقِ الْأَرْضِ، وَذلك كَمَا تَقُولُ: خَرَجْتُ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى
الْكُوفَةِ فِي خَمْسَةِ أَيَّامٍ، وَإِلَى مَكَّةَ فِي ثَلَاثِينَ يَوْمًا، فَيَكُونُ الْمُبْتَدَأُ فِي جُمْلَةِ الثَّلَاثِينَ.

(١) العبارة: «فالليل أطول» ساقطة من (ك).

(٢) في (ك): «ولأنَّ». مع الواو.

(٣) في (ك): «تغيب».

(٤) في (ل): «لأنَّ».

(٥) فصلت: ٩.

(٦) فصلت: ١٠.

(٧) الأعراف: ٥٤. يونس: ٣. هود: ٧. الحديد: ٤.

وإِنَّمَا خَلَقَهَا فِي هَذَا الْمَقْدَارِ مَعَ قُدْرَتِهِ أَنْ يَخْلُقَهَا فِي أَقَلِّ مِنْ لَحِجِ الْبَصْرِ^(١)،
لَأَنَّ الْأُمُورَ، جَارِيَةٌ فِي التَّدْبِيرِ^(٢) عَلَى مِنْهَاجٍ، وَلِسَمَا عَلِمَ فِي ذَلِكَ مِنْ مَصَالِحِ
الْخَلْقِ فِي التَّرْتِيبِ، لِيَذُلَّ عَلَى صَانِعِ حَكِيمٍ، وَفِي إِظْهَارِ هِمَا كَذَلِكَ، مَصْلَحَةٌ
الْمَلَائِكَةِ وَعِبَرَةٌ لَهُمْ^(٣).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾^(٤). وقوله: ﴿الَّذِي
جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾^(٥).

إِسْتَدَلَّ أَبُو عَلِيٍّ^(٦) عَلَى بُطْلَانِ مَا يَقُولُهُ الْمُنْجِمُونَ مِنْ أَنَّ الْأَرْضَ كُرْوِيَّةٌ^(٧)
الشَّكْلَ. وَهَذَا إِنَّمَا يَذُلُّ عَلَى أَنَّ بَعْضَهَا مَسْطُوحٌ، لَا جَمِيعَهَا. وَالْمُنْجِمُونَ مُعْتَرِفُونَ
بَأَنَّ بَعْضَهَا مَسْطُوحٌ^(٨).

(١) وردت العبارة في (ك) كالآتي: «وَأِنَّمَا خَلَقَهَا أَسْرَعَ مِنْ لَحِجِ الْبَصْرِ».

(٢) في (هـ): التدبيز، بالزاي المعجمة.

(٣) في (ش) و(أ) و(ج): وغيره لهم، وفي (ط): وغيرهم.

(٤) نوح: ١٩.

(٥) البقرة: ٢٢.

(٦) مجمع البيان: ١ : ٦١ بلفظ مختلف. والمقصود بـ «أبو علي» الطبرسي صاحب (مجمع البيان).

(٧) في (ش) و(هـ) و(أ): كُرْوِيَّةٌ.

(٨) العبارة: «لَا جَمِيعَهَا ... مَسْطُوحٌ» ساقطة من (ك).

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ الآية^(١).
 لما كانت العربُ متفردين^(٢) عن^(٣) النَّاسِ، والسَّماءُ لَهم سقفاً، والأَرْضُ
 لهم وطاءً^(٤)، والجبالُ أمامهم، وهي كهفٌ لهم، وحِصْنٌ، والإبلُ ملجأهم في
 الحِلِّ، والترحالِ، أكلاً، وشرباً، وزكوباً، وحملًا. وليست الفيلة بأدَلَّ^(٥) على الله
 - تعالى - من البَقَّةِ، ولا الطَّاووسِ، من القِرَدَةِ، فلذلك قرَنَ الإبلَ بالسَّماءِ،
 والأَرْضَ بالجبالِ^(٦).

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾^(٧) ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ
 تُرَابٍ﴾^(٨).
 قال الجبائي^(٩): معناه: خلقكم من آدم، وآدمٌ من تُرابٍ.

(١) الغاشية: ١٧.

(٢) في (هـ): متفردين. بالتاء المثناة من فوق.

(٣) في (هـ): مِن.

(٤) الإِطَاء: ما انخفض من الأرض بين النَّشَاز والأشرف، والمقصود سَهْلُهَا وليَّتِهَا (المعجم
 الوسيط).

(٥) في (هـ): بأذَلَّ. بالذال المعجمة.

(٦) في (هـ) و(ج): والجبال.

(٧) هود: ٦١.

(٨) غافر: ٦٧.

(٩) مجمع البيان: ٤: ٥٣١ وهو غير معزو إلى أحد.

وَقَالَ الطوسي^(١): معناه^(٢): خَلَقَ أَبَاكُمْ - الَّذِي هُوَ آدَمُ، وَأَنْتُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْأَصْلِ لَنَا - مِنْ طِينٍ، فَلَمَّا كَانَ أَصْلُهُ مِنَ الطِّينِ، جَارَ أَنْ يَقُولَ: خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: أَيِ خَلَقَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ. وَالْأَوَّلُ أَقْوَى.

قَالَ الْحَسَنُ^(٣): لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ آدَمَ إِلَّا لِلْأَرْضِ إِنْ عَصَى، وَإِنْ لَمْ يَعَصِ. وَلَوْ لَمْ يَعَصِ لَخَرَجَ عَلَى غَيْرِ تِلْكَ الْحَالِ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَلْقُهُ لِلْأَرْضِ، وَلِغَيْرِهَا، وَإِنْ لَمْ يَعَصِ. وَهُوَ الْأَقْوَى، لِأَنَّ مَا قَالَهُ الْحَسَنُ. لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ.



(١) التبيان في تفسير القرآن: ١٦: ٦.

(٢) في (أ): معناه قوله.

(٣) مجمع البيان: ٤: ٥٣١ بلفظ مختلف.

فصل [-٢-]

[في خلق الإنسان]

قوله تعالى - في خلق آدم -: ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾^(١)، وفي موضع: ﴿مِنْ طِينٍ لَا زَيْبٍ﴾^(٢)، وفي موضع: ﴿مِنْ حَمَلٍ مُسْتُونٍ﴾^(٣)، وفي موضع: ﴿مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾^(٤).

لا تناقض فيها، لأنها ترجع إلى أصل واحد، وهو التراب، فجعله طيناً، ثم صار كالحمَلِ المستون، ثم ييس، فصار^(٥) كالْفَخَّارِ.

قوله - سُبحَانَهُ -: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾^(٦).

(١) آل عمران: ٥٩.

(٢) الصافات: ١١.

(٣) الحجر: ٢٦، ٢٨، ٣٣.

(٤) الرحمن: ١٤.

(٥) (فصار) سقطت من (ح).

(٦) الزمر: ٦.

و ﴿ثُمَّ﴾ يقتضي ^(١) المَهْلَةَ، والتراخي، وذلك يقتضي أَنَّ اللهَ - تعالى - خلقَ
الخلقَ من آدم، ثُمَّ بعدَ ذلكَ، خلقَ حواءَ ^(٢) ؟

[الجَوَابُ] ^(٣) : إِنَّ ذلكَ، وإن ^(٤) كَانَ مُؤَخَّرًا فِي اللَّفْظِ، فَهُوَ ^(٥) مُقَدَّمٌ فِي
المعنى، كقولِ القائلِ: قد رَأَيْتُ ما كَانَ مِنْكَ الْيَوْمَ ثُمَّ ما كَانَ / ٥ / مِنْكَ أَمْسٍ.

أو إِنَّهُ معطوفٌ عَلَى معنى واحدٍ، كَأَنَّهُ قالَ: ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ بمعنى:
وحدها، ثُمَّ جعلَ منها زَوْجَهَا. ففي ﴿وَاحِدَةٍ﴾ معنى: خَلَقَهَا وَحْدَهَا. ولا يَمْتَنِعُ
أَن يكونَ المرادُ بِقَوْلِهِ: ﴿زَوْجَهَا﴾ غيرَ حَوَاءَ، بَلْ يُرِيدُ الْمَزْوَجَ ^(٦) مِنْ نَسْلِ آدَمَ مِنَ
الذَّكُورِ وَالْإِنَاثِ، فَكَأَنَّهُ - تعالى - قالَ: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ - وَهِيَ
آدَمُ - ثُمَّ جعلَ الْمَزْوَجَ ^(٧) مِنْ نَسْلِ تِلْكَ النَّفْسِ. وهذا مُتَأَخَّرٌ عَنِ خَلْقِ النَّفْسِ
الوَاحِدَةِ الَّتِي هِيَ آدَمُ.

وإِنَّ سَبَبَ ^(٨) دُخُولِ ﴿ثُمَّ﴾ لِلإِعْتِدَادِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ، وَالذِّكْرِ لَهَا عَلَى سَبِيلِ

(١) فِي (ك) وَ(ح): تَقْتَضِي.

(٢) فِي (ح): حَوَى.

(٣) مَا بَيْنَ الْمُعْرِفَتَيْنِ سَاقِطَةٌ مِنْ (ش) وَ(ح).

(٤) فِي (أ): فَإِنْ.

(٥) فِي (ش) وَ(هـ) وَ(أ): وَهُوَ.

(٦) فِي (ش) وَ(ح): الْمَزْج.

(٧) فِي (ش) وَ(ح): الْمَزْج.

(٨) فِي (أ): وَأَن يَكُونَ سَبَبٌ...

الإمتنان، إِنَّمَا كَانَ بَعْدَ ذِكْرِ خَلْقِنَا^(١) مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: هُوَ الَّذِي ذَكَرَ لَكُمْ، وَاعْتَدَّ^(٢) عَلَيْكُمْ، بِأَنَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ عَظَفَ عَلَى هَذَا الْإِعْتِدَادِ، وَالْإِمْتِنَانِ، ذَكَرَ نِعْمَةً أُخْرَى، وَهِيَ أَنَّ زَوْجَ هَذِهِ النَّفْسِ الْمَخْلُوقَةِ، مَخْلُوقَةٌ مِنْهَا، فَرَمَانَ الْخَلْقِ لِلزَّوْجِ، وَإِنْ كَانَ مُتَقَدِّمًا، فَرَمَانُ ذِكْرِهِ، وَالْإِعْتِدَادِ بِهِ، غَيْرُ زَمَانٍ وَجُودِهِ، فَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ التَّرْتِيبُ فِي زَمَانِ الذِّكْرِ وَالْإِعْتِدَادِ، غَيْرَ التَّرْتِيبِ فِي زَمَانِ الْإِبْجَادِ، وَالتَّكْوِينِ، كَقَوْلِنَا: لِي^(٣) عَلَيْكَ مِنَ النِّعْمَةِ كَذَا [اليَوْمَ، ثُمَّ كَذَا]^(٤) أَمْسِي.

أَوْ^(٥) الْمَرَادُ بِهِ ﴿ثُمَّ﴾: الْوَاوُ. [فَإِنَّهُ]^(٦) قَدْ^(٧) يُسْتَعْمَلُ^(٨) «الْوَاوُ» بِمَعْنَى ﴿ثُمَّ﴾، وَ﴿ثُمَّ﴾^(٩) بِمَعْنَى: «الْوَاوُ»، لِأَنَّ الْجَمِيعَ^(١٠)، لِلْإِنْضِمَامِ.

(١) فِي (ط): خَلَقَهَا.

(٢) فِي (أ): اعْتَدْنَا.

(٣) فِي (ش): إِلَيَّ.

(٤) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَاقِطَةٌ مِنْ (ش) وَ(ح).

(٥) فِي (ش) وَ(هـ) وَ(أ) وَ(ح) وَ(ط): وَ الْمَرَادُ.

(٦) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَاقِطَةٌ مِنْ (ش) وَ(ح) وَ(ط).

(٧) فِي (ش) وَ(ح) وَ(ط): وَقَدْ.

(٨) فِي (ك): تَسْتَعْمَلُ.

(٩) فِي (ش): ثُمَّ.

(١٠) فِي (ط): وَهُوَ الْجَمْعُ وَالْإِنْضِمَامُ. وَهُوَ مَا لَا يَوْجَدُ فِي النُّسخِ الْمَخْطُوطَةِ جَمِيعَهَا.

وقوله^(١): ﴿فَالْيَنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾^(٢). معناه: والله شهيد. وقوله: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾^(٣).

قوله - سبحانه - : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾^(٤). الآية فيها دلالة على أن الإنسان هو هذا الجسم المشاهد، لأنه المخلوق من نطفة، والمستخرج من سلالة دون ما يذهب إليه (معمّر)^(٥) وغيره من أنه الجوهر البسيط، أو شيء لا يصح عليه التركيب والانقسام.

قوله - سبحانه - : ﴿خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾^(٦). أي: أصلك من تراب، إذ خلق أباه من تراب، ويصير^(٧) إلى^(٨) التراب.

(١) في (ج): قوله.

(٢) يونس: ٤٦.

(٣) الزمر: ٦: باعتبار ما قبله وهو قوله - تعالى -: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَانزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ بمعنى: ثم أنزل لكم من الأنعام...

(٤) المؤمنون: ١٢.

(٥) مقالات الإسلاميين: ٢: ٣٠٧. الملل والنحل: ١: ٩٩. المعتزلة: ١٣١.

(٦) الكهف: ٣٧.

(٧) في (هـ): تصير.

(٨) «إلى»: مكررة في (أ).

وقيل: لَمَّا كَانَتِ النُّطْفَةُ يَخْلُقُهَا^(١) اللهُ بِمَجْرَى الْعَادَةِ مِنَ الْغِذَاءِ، وَالْغِذَاءُ نَبَتَ^(٢) مِنْ تَرَابٍ، جَازَ أَنْ يُقَالَ: خَلَقَكَ مِنْ تَرَابٍ، لِأَنَّ أَصْلَهُ مِنْ تَرَابٍ، كَمَا قَالَ: «مِنْ نُطْفَةٍ»، وَهُوَ - فِي هَذِهِ الْحَالِ - خَلَقَ سُورِيٍّ، حَيٍّ. لَكِنْ لَمَّا كَانَ أَصْلُهُ كَذَلِكَ، جَازَ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ.

وَالْوَجْهُ فِي خَلْقِ الْبَشَرِ، وَغَيْرِهِ، مِنَ الْحَيَوَانِ، نَقْلُهُ مِنْ تَرَابٍ إِلَى نُطْفَةٍ، ثُمَّ إِلَى عَاقَّةٍ، ثُمَّ إِلَى صُورَةٍ، ثُمَّ إِلَى طُفُولِيَّةٍ، ثُمَّ إِلَى حَالِ الرُّجُولِيَّةِ، مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْإِعْتِبَارِ الَّذِي هُوَ أَذَلُّ^(٣) تَحَدُّ عَلَى تَدْبِيرِ مُدَبِّرٍ، مُخْتَارٍ، يُصَرِّفُ الْأَشْيَاءَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، لِأَنَّ مَا يَكُونُ بِالطَّبْعِ، يَكُونُ دُفْعَةً وَاحِدَةً، كَالْكِتَابَةِ^(٤) الَّتِي^(٥) يُوجَدُهَا بِالطَّبَائِعِ^(٦) مِنْ لَا يُحْسِنُ الْكِتَابَةَ، فَأَمَّا^(٧) إِنْشَاءُ الْخَلْقِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، دَلٌّ^(٨) عَلَى أَنَّهُ [تَعَالَى]^(٩) عَالَمٌ مُخْتَارٌ.



(١) فِي (ش): يَخْلُقُهَا.

(٢) فِي (ك): يَنْبِت.

(٣) فِي (هـ): أَذَلُّ شَيْءٍ. وَفِي (ل): أَذَلُّ.

(٤) فِي (ل): فَالْكِتَابَةِ.

(٥) فِي (ل): الَّتِي.

(٦) فِي (هـ): بِالطَّبَائِعِ.

(٧) فِي (ح): فَاِنْشَاءً.

(٨) فِي (ح): دَلٌّ.

(٩) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ زِيَادَةٌ مِنْ (ح).

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ ^(١) الآية.
 تعلّقت الحشويّة بذلك، والحقوا به الخبر: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ» ^(٢)
 فَقَوْهُمْ بَاطِلٌ، لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿مِنْ بَنِي آدَمَ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: مِنْ آدَمَ. وَقَالَ: ﴿مِنْ
 ظُهُورِهِمْ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: مِنْ ظَهْرِهِ. وَقَالَ: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ^(٣). وَلَمْ يَقُلْ: ذُرِّيَّتُهُ. وَأَيُّ ظَهْرٍ
 يَحْتَمِلُ هَذِهِ الدُّرِّيَّةَ؟، وَأَيُّ فِضَاءٍ ^(٤) يَتَّسِعُ؟

ولفظ ﴿الدُّرِّيَّةُ﴾، إِنَّمَا يَقَعُ عَلَى الْمَوْلُودِ، وَلَا يَكُونُ فِي الصُّلْبِ ذُرِّيَّةً،
 وَيُوجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمَأْخُوذُ مِنْهُمْ ذُرِّيَّةَ آدَمَ لَصُلْبِهِ، وَلَا يَدْخُلُ أَبْنَاءُ الْأَبْنَاءِ، وَمَنْ
 بَعْدَهُمْ، لِأَنَّ الدُّرِّيَّةَ. إِنَّمَا تُطْلَقُ عَلَى وَلَدِ الصُّلْبِ، وَمَا عَدَاهُ مَجَازٌ، يَعْرِفُ ذَلِكَ
 بِدَلِيلٍ آخَرَ، دُونَ ظَاهِرِ اللَّفْظِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْوَلَدَ يُخْلَقُ مِنَ الْمَنِيِّ، وَإِنَّمَا يَحْدُثُ مِنَ الْإِنْسَانِ حَالًا بَعْدَ
 حَالٍ، وَيَسْتَحِيلُ مِنَ الْأَطْعَمَةِ. وَكَيْفَ يَجْتَمِعُ فِي صُلْبٍ وَاحِدٍ جَمِيعُ مَا يَكُونُ مِنْ
 عَقِبِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمَنِيِّ؟ وَالْإِشْهَادُ إِنَّمَا يَصْحُحُ مِمَّنْ يَعْقِلُ، وَيَكُونُ الْجَوَازُ
 عَنْهُ ^(٥) مُسْتَحِيلًا، وَاللَّهُ - تَعَالَى - رَفَعَ الْقَلَمَ عَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَبْلُغَ، وَلَمْ يُلْزِمَهُ

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) مسند أبي يعلى الموصلي: ٧: ٣٤٤. العقد الفريد: ٢: ٣٢٩ وفيه: الأنفس جنود مجنّدة. أسالي

الصدوق: ١٢٩. فردوس الأخبار: ١: ١٥٩. الأسماء والصفات: ٣٦٥.

(٣) الأعراف: ١٧٢.

(٤) في (ش): قضاء.

(٥) (هـ) ساقطة من (ك).

معرفته، والذرية المستخرجة من ظهر آدم، إذا خوطبت، وقُررت لأبد أن تكون^(١) كاملة^(٢) العقول، مستوفية التكليف، لأن ما لم يكن كذلك، يقبُح خطابهم، وتقريُّرهم، وإشهادهم. / ٦ / وإن كانوا بصفة كمال العقل، وجب أن يذكر هؤلاء^(٣) - بعد إنشائهم أو كمال^(٤) عقولهم - تلك الحال. فإن^(٥) الله - تعالى - أخبرنا، بأنه إنما أقرَّزهم، وأشهدهم، لئلا يدَّعوا - يوم القيامة - الغفلة عن ذلك، أو يعتذروا بشرك آبائهم، وأنهم نشأوا بين أيديهم. وهذا يدلُّ على الاختصاص^(٦) ببعض ذرية ولد آدم، وهو الصحيح، فإنه خلقهم، وبلغهم - على لسان^(٧) رسله - معرفته، وما يجب من طاعته، فأقرُّوا بذلك، لئلا يقولوا: إنا كنا عن هذا غافلين، وإن الله - تعالى - لما خلقهم، ورزَّجهم تركيباً، يدلُّ على معرفته، ويشهد بقدرته، ووجوب عبادته، وأزَّاهم العبر، والآيات، والدلائل في غيرهم، وفي أنفسهم، كان بمنزلة المُشهد لهم على^(٨) أنفسهم، وإن لم يكن هناك إشهاد، ولا اعتراف

(١) في (ش) و(هـ) و(أ): يكون.

(٢) في (أ): بكاملة.

(٣) في (ك): أولاً. وفي (هـ): لاي.

(٤) في (ك) و(هـ) و(أ): وكمال.

(٥) في (ح): وإنَّ. مع الواو.

(٦) في (ك) و(هـ) و(أ): إختصاصها.

(٧) في (ك): على لسانه مثل معرفته. وفي (أ): على لسانه شاء معرفته.

(٨) (على) ساقطة من (أ).

على الحقيقة، ويجري^(١) ذلك مجرى قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٢).

قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ^(٣): ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ^(٤)، وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾^(٥).

ليس يوجب اللفظ أن يكون أخذ الميثاق عليهم في وقت واحد، ومكان واحد، بل يكون معناه: أخذ ميثاق [أمم]^(٦) النبيين بتصديق نبيها، والعمل بما جاءهم به. ويقال: أخذ العهد بما نصب لهم من الحجج الواضحة، والبراهين الساطعة الدالة على توحيده، وعدله، وصدق أنبيائه، ورسوله. ويمكن أن يكون ذلك ما روي في تقرير الأنبياء - عليهم السلام - على ولاية علي - عليه السلام - على ما بيناه في كتبنا.

(١) في (ح): ويجري ذلك.

(٢) قُصِّلَتْ: ١١.

(٣) (سبحانه... من كتاب وحكمة) سقطت من (ح).

(٤) آل عمران: ٨١.

(٥) الأحزاب: ٧.

(٦) ما بين المعقوفين سقطت من (ش) و(ك) و(هـ) و(أ).

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾^(١).
هذا الميثاق هو المعنى في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ
إِلَّا اللَّهَ﴾^(٢). الآيات.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ﴾^(٣)، وقوله: ﴿مِنَ النَّذِيرِ الْأُولَى﴾^(٤)،
وقوله: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾^(٥)، وقوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾^(٦).
فليس فيها شيء من دعواهم، أنه مسح ظهر آدم، واستخرج منه الذرية،
وأشهداها^(٧) على نفوسها وأخذ^(٨) إقرارها، بمعرفته. وقد بينا فسادها في الآية
الأولى^(٩).



(١) البقرة: ٦٣، ٩٣.

(٢) البقرة: ٨٣.

(٣) الروم: ٣٠.

(٤) النجم: ٥٦.

(٥) الأعراف: ١٠٥.

(٦) الروم: ٣٠.

(٧) في (أ): أشهدهم.

(٨) (أخذ): ساقطة من (ك). وفي (أ): أَوْ أَخَذَ.

(٩) المقصود بالآية الأولى قوله - تعالى - : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ
وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ...﴾ الأعراف: ١٧٢. وقد مضى تفسيرها وشيكاً.

فصل [٣-]

[في خلق حواء وفي معنى القلب وفي أمور أخرى]

قوله - تعالى -: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾^(١).

روي: أَنَّ اللَّهَ [- تعالى -] ^(٢) ألقى على آدَمَ النَّوْمَ، وأخذَ منه ضلعاً، فخلقَ

منهُ حَوَّاءَ. وروى: أَنَّهُ خلقها من فضل طيبته.

قال الرَّمَّانِيُّ^(٣) وجماعة من المفسرين: ليس يمتنع أن يخلق الله حواءَ من جملة جسدِ

آدَمَ، بعدَ ألا يكونَ جزءاً^(٤) ممَّا لا يَتِمُّ كَوْنُ الحَيِّ حَيًّا إلَّا معه، لأنَّ ما هذه صِفَتُهُ،

لا يجوزُ أن يُنْقَلَ^(٥) إلى غيره، أو يخلقَ منه حَيًّا آخرَ، حيثُ يؤدِّي إلى ألا يَصِلَ

الثَّوَابُ إلى مستحقِّهِ، لأنَّ المستحقَّ لذلك، الجُمْلَةُ بأكملها.

(١) البقرة: ٣٥.

(٢) ما بين المعرفتين زيادة من (ك).

(٣) قول الرماني هذا في مجمع البيان: ١: ٨٥ نصاً، لكنه نسبهُ إلى (أهل التحقيق) من دون تعيين.

(٤) في (ش): جزء. بالرفع.

(٥) في (ك): تُنْقَل.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾^(١).

لا يجوز أن يكون لإنسان واحد، قلبان، لأنه يؤدي إلى ألا ينفصل إنسان من إنسانين، لأنه ربما يريد بأحد قلبيه ما يكرهه^(٢) بالقلب الآخر^(٣)، أو يشتهي ما لا يشتهي الآخر^(٤)، أو يعلم ما لا يعلم الآخر، فيصير كشخصين.

وقال بعضهم: يجوز أن يكون لإنسان^(٥) قلب^(٦) كثير الأجزاء، ويمتنع أن يريد ببعض الأجزاء^(٧) ما يكرهه البعض، لأن الإرادة، والكراهة، إن وجدتا في جزء من القلب، فالحالتان الصادرتان عنهما^(٨)، يرجعان إلى الجملة، وهي جملة واحدة، فاستحال وجود معنيين ضدّين في حي واحد، ويجوز أن يكون معنيان، مختلفان، أو مثلاً في جزأين من القلب، ويوجبان الصفتين للحي^(٩) الواحد، وكذلك المعنيان في قلبين، إذا كان مما يوجد منهما^(١٠) يرجع إلى حي واحد، إلا أن

(١) الأحزاب: ٤.

(٢) في (أ): يكره.

(٣) في (هـ): بالآخر.

(٤) في (هـ): بالآخر.

(٥) في (ك) و(هـ) و(أ): للإنسان.

(٦) في (ك): قلباً.

(٧) في (ك): ومما.

(٨) في (ك) و(أ): عنها.

(٩) في (ك): في الحي.

(١٠) في (هـ): منها.

السَّمْعَ وَرَدَ بِالْمَنْعِ مِنْ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾^(١).

لَمَّا كَانَ الْجَمْعُ عَلَى تَشَاكُلٍ^(٢)، جُمِعَتْ قُلُوبُهُمْ عَلَى تَشَاكُلٍ^(٣)، فَبِمَا تَحَبُّهُ، وَتُنَازُعُ إِلَيْهِ، كَانَ قَدْ أَلْفَتْ. وَمِنْهُ قِيلَ: هَذِهِ الْكَلِمَةُ تَأْتِلُفُ / ٧ / مَعَ هَذِهِ، وَلَا^(٤) تَأْتِلُفُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٥).

أَي: سَلِيمٌ مِنَ الْفَسَادِ، وَالْمَعَاصِي. وَإِنَّمَا خَصَّ الْقَلْبَ بِالسَّلَامَةِ، لِأَنَّهُ إِذَا سَلِمَ الْقَلْبُ، سَلِمَ سَائِرُ الْجَوَارِحِ مِنَ الْفَسَادِ، مِنْ حَيْثُ أَنَّ الْفَسَادَ بِالْجَارِحَةِ، لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ قَصْدٍ بِالْقَلْبِ الْفَاسِدِ، فَمِذَا اجْتَمَعَ - مَعَ ذَلِكَ - جَهْلٌ، فَقَدْ عَدِمَ السَّلَامَةُ مِنْ وَجْهَيْنِ.

(١) الأنفال: ٦٣.

(٢) فِي (ك): تَشَاءُ كُلٌّ.

(٣) فِي (ك): تَشَاءُ كُلٌّ.

(٤) فِي (ش): إِلَّا.

(٥) الشعراء: ٨٩.

وقيل: سلامة القلب، سلامة الجوارح، لأنه يكون خالياً من الإصرار على الذنب.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾^(١).

ضيق الصدر يمنع^(٢) سلوك المعاني في النفس، لأنه يمنع منه، كما يمنع ضيق الطريق من السلوك فيه.

﴿وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾. أي: لا ينبعث بالكلام، وقد يتعذر ذلك، لضيق الصدور، وعزوب^(٣) المعاني التي تطلب للكلام^(٤)

وقيل في قوله: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾^(٥). بمعنى: ضيق صدورهم، بالهم الذي حصل فيها.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ

(١) الشعراء: ١٣.

(٢) العبارة في (ك): يمنع ضيقه من سلوك...

(٣) في (أ) و(ح): غروب. بالغين المعجمة بعدها راء مهملة.

(٤) في (هـ) و(أ): الكلام. من دون حرف الجزر (اللام).

(٥) التوبة: ١١٨.

قَسْوَةٌ^(١).

ظاهرة^(٢) يفيد^(٣) الشك^(٤) الذي لا يجوز على الله - تعالى -

الجواب: إنَّ ﴿أَوْ﴾ - ههنا - للإباحة. يقال: جالس الحسن أو ابن سيرين. والحق الفقهاء أو المحدثين.

أو دخلت للتفصيل، ويكون معناها: إنَّ قلوبهم قست، فمنها ما^(٥) هو كالخجارة في القسوة، ومنها ما هو أشد قسوة منها، نحو قوله: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾^(٦). وفي معناه: قَالَ بعضهم: كُونُوا هُودًا. وَهُمْ الْيَهُودُ. وَقَالَ بعضهم: أَوْ نَصَارَى. وَهُمْ النَّصَارَى. ومثله: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَبَاءَهَا بَأْسًا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾^(٧).

أو دخلت على سبيل الإيهام، فيما يرجع إلى المخاطب، وإن كان الله - تعالى - عالمًا بذلك، غير شاك فيه. والمعنى: أنَّهما كاحد هذين، لا يخرجان عنهما،

(١) البقرة: ٧٤.

(٢) في (ش) و(ها): ظاهرًا. وفي (أ): وإنَّ ظاهرًا. وفي (ح): ظاهرة.

(٣) في (ش) و(ها) و(أ): ويُفيد. مع الروا.

(٤) في (ح): التشكيك.

(٥) في (أ): أمّا.

(٦) البقرة: ١٣٥.

(٧) الأعراف: ٤.

كقولهم^(١): مَا أُطْعِمُكَ إِلَّا حُلُوًّا أَوْ حَامِضًا. فَيَهْمُونَ عَلَى الْمُخَاطَبِ بِمَا^(٢)
يَعْلَمُونَ^(٣) أَنَّهُ لَا فَائِدَةَ فِي تَفْصِيلِهِ^(٤).

أو بمعنى «بَلْ»، نحو^(٥) قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾^(٦).
قالوا: كانوا مائة ألف وبضعاً وأربعين ألفاً. وقوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ
أَذْنَى﴾^(٧) [قال الشاعر^(٨)]:

فوالله لا أدري أسلمى تَقَوَّلْتُ أم البدرُ أم كُلُّ إِيَّ حَيْبٍ^(٩)
أو بمعنى «الواو»، قوله^(١٠): ﴿أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ يُّوْتِكُمْ أَوْ يُّوْتِ
أَبَائِكُمْ﴾^(١١). معناه: وَيُّوْتِ آبَائِكُمْ. وقوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِيُؤْمِلْنَهُنَّ أَوْ

(١) في (هـ): كقولها.

(٢) في (ك): مَا.

(٣) في (ش) و(أ) و(ح): يعملون. بميم ثم لام.

(٤) في (ش): تفضيله. بالضاد المعجمة.

(٥) (نحو): ساقطة من (أ). وفي (ح): كقوله.

(٦) الصافات: ١٤٧.

(٧) النجم: ٩.

(٨) في (ش) و(أ): شاعر. وفي (ك): شعر.

(٩) معاني القرآن: ١: ٧٢، ٢: ٢٩٩ بلا عَزْو. أمالي المرتضى: ٢: ٥٦ بلا عَزْو، وفيه: أم التَّوَم...
أيضاً: مع الموامع: ٢: ١٣٣. الدرر اللوامع: ٢: ١٧٧.

(١٠) في (ك): نحو قوله. وفي (هـ) و(ح): كقوله.

(١١) النور: ٦١.

أَبَائِهِمْ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِمْ ﴿١﴾ الآية. جرير^(١):

نَالَ الْخِلَافَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدْرًا كَمَا أَتَى رَبُّهُ مُوسَى عَلَى قَدْرِ

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾^(٢).

(الهاء) ^(١) كناية عن القرآن، ومعناه: أقرنناه في قلوبهم، بإخطاره ببياهم،
لِتَقُومَ ^(٢) الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ، وَلِلَّهِ لَطْفٌ يُوَصِّلُ بِهِ الْمَعْنَى، وَالدَّلِيلُ إِلَى الْقَلْبِ، فَمَنْ
ذَكَرَهُ، أَدْرَكَ الْحَقَّ بِهِ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ، كَانَ كَمَنْ عَرَفَ الْحَقَّ، وَتَرَكَ الْعَمَلَ بِهِ،
فِي لُزُومِ الْحُجَّةِ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ إِدَارِكِ الْحَقِّ بِسُلُوكِهِ فِي الْقَلْبِ، وَبَيْنَ إِدْرَاكِهِ بِالْإِضْطِرَارِ إِلَيْهِ
فِي الْقَلْبِ، أَنَّ الْإِضْطِرَارَ إِلَيْهِ يُوجِبُ الثِّقَةَ بِهِ، فَيَكُونُ صَاحِبُهُ عَالِمًا بِهِ. وَأَمَّا
سُلُوكُهُ، فَيَكُونُ مَعَ الشَّكِّ فِيهِ.

(١) النور: ٣١.

(٢) ديوان جرير: ١: ٤١٦ وفيه: «إذ كانت...» وقد أشار المحقق إلى الرواية المطابقة لِمَا وَرَدَ فِي
كُتَابِنَا.

(٣) الشعراء: ٢٠٠.

(٤) فِي (ش) وَ(أ) وَ(ج) وَ(ط): إِنَّمَا.

(٥) فِي (ك) وَ(أ): لِيَقُومَ.

قوله - سُبْحَانَهُ - ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾^(١) إلى قوله: ﴿فِي الصُّدُورِ﴾^(٢). فيها دلالة على أَنَّ الْعَقْلَ، هُوَ الْعِلْمُ، لِأَنَّ مَعْنَى ﴿يَعْقِلُونَ بِهَا﴾: يَعْلَمُونَ بِهَا، مَدْلُولٌ مَا يَرَوْنَ مِنَ الْعِبَرَةِ. وفيها دلالة على أَنَّ الْقَلْبَ، مَحَلُّ الْعَقْلِ، وَالْعِلْمِ، لِأَنَّهُ - تَعَالَى - وَصَفَهَا بِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَعْمَى، وَأَنَّهَا الَّتِي تَذْهَبُ عَنْ إِقْرَارِ الْحَقِّ، فَلَوْلَا أَنَّ التَّيْيِينَ، يَصُحُّ فِيهَا، لَمَا وَصَفَهَا بِأَنَّهَا تَعْمَى، كَمَا لَا يَصُحُّ أَنْ يَصِفَ الْيَدَ وَالرَّجْلَ بِذَلِكَ.



قوله^(٣) سُبْحَانَهُ^(٤): ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٥). رَدُّ عَلَى مَنْ قَالَ: إِنَّ الْعَقْلَ فِي الدِّمَاغِ. وَالصَّحِيحُ: أَنَّ مَحَلَّ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ، الْقَلْبُ. لِأَنَّ الشَّاكَّ فِي الشَّيْءِ^(٦)، يَجِدُ التَّغْيِيرَ مِنْ جِهَةِ الْقَلْبِ، كَمَا أَنَّ الْمُرِيدَ، يَجِدُ التَّغْيِيرَ^(٧) مِنْ جِهَتِهِ.



(١) الحج: ٤٦.

(٢) الحج: ٤٦.

(٣) في (ح): وفي قوله.

(٤) (سُبْحَانَهُ) سَقَطَتْ مِنْ (ح).

(٥) الحج: ٤٦.

(٦) في (ح): شَيْءٌ. مِنْ دُونَ (أَل).

(٧) العبارة: «مِنْ جِهَةِ الْقَلْبِ... يَجِدُ التَّغْيِيرَ» سَاقِطَةٌ مِنْ (أ).

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾^(١).

أي: يتخيلونهم بأعينهم قليلاً من غير رؤية^(٢) على الصَّحَّة لِجَمِيعِهِمْ^(٣)، وذلك بَلُطْفٍ^(٤) من الطَّافِهِ - تعالى - ممَّا يُصَدِّ بِه عن الرُّؤية من قتام^(٥) كيستر^(٦) بعضهم، ولا يستر^(٧) بعضاً آخر. قَالَ ابن مسعود^(٨): رأيناهم قليلاً، حتَّى قلتُ لمن كَانَ إلى جانبي: أتراهم سبعين رجلاً؟ فقال: هُم نحوُ المائَةِ. وكانوا ألفاً^(٩).

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُباتًا﴾^(١٠).

السُّبَاتُ من صفاتِ النَّوْمِ، إذا وقعَ على بعضِ الوجوه. وهو النَّوْمُ الطَّوِيلُ

(١) الأنفال: ٤٤.

(٢) في (ل): يرونه.

(٣) في (ل): بجميعهم.

(٤) في (ك): لطف.

(٥) القتام: الغبار الكثيف الذي يضرب إلى سواد أو حمرة.

(٦) في (ش): يستر.

(٧) (يستر): ساقطة من (ك).

(٨) جامع البيان: ١٠: ١٣ - ١٤. أيضاً مجمع البيان: ٢: ٥٤٧. الجامع لأحكام القرآن: ٨: ٢٢ - ٢٣.

(٩) (ألفاً): ساقطة من (ل).

(١٠) النِّبَأ: ٩.

يَقَالُ لِمَنْ وُصِفَ بِكَثْرَةِ النَّوْمِ، أَنَّهُ مَسْبُوتٌ^(١)، وَبِهِ سُبَاتٌ. وَلَا يُقَالُ ذَلِكَ فِي كُلِّ نَائِمٍ. وَالسُّبَاتُ^(٢): الرَّاحَةُ وَالِدَعَةُ، وَمِنْهُ السَّبْتُ لِلْفَرَاغِ مِنَ الْخَلْقِ.

قَالَتِ الْيَهُودُ: ابْتِدَاءُ^(٣) الْخَلْقِ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَالْفَرَاغُ فِي يَوْمِ السَّبْتِ.
وَقَالَ النَّصَارَى: بَلْ كَانَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ إِلَى السَّبْتِ، وَالْفَرَاغُ يَوْمَ الْأَحَدِ.
وَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: بَلْ كَانَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ، وَالْفَرَاغُ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ، وَجُعِلَتِ الْجُمُعَةُ عِيدًا.

وَقِيلَ: السَّبْتُ، الْقَطْعُ، وَالْخَلْقُ.

فَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾. أَي: لَيْسَ بِمَوْتٍ^(٤)، لِأَنَّ النَّائِمَ قَدْ يَتَقَدَّرُ مِنْ عِلْمِهِ، وَقُصُودِهِ، وَأَحْوَالِهِ، أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ. وَاللَّهُ - تَعَالَى - اِمْتَنَّنَ عَلَيْنَا بِالنَّوْمِ الْمُضَاهِي لِلْمَوْتِ، وَلَيْسَ بِمُخْرِجٍ^(٥) عَنِ^(٦) الْحَيَاةِ، وَالْإِدْرَاكِ، فَجَعَلَ التَّأَكُّدَ بِذِكْرِ الْمَصْدَرِ قَائِمًا مَقَامَ نَفْيِ الْمَوْتِ.

وَوَجْهُ آخِرُ: أَنَّهُ جَعَلَ نَوْمَنَا مُتَدًّا لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمُنْفَعَةِ، وَالرَّاحَةِ. وَالنَّوْمُ الْيَسِيرُ لَا يُكْسِبُ شَيْئًا مِنَ الرَّاحَةِ، بَلْ يَصْحَبُهُ - فِي الْأَكْثَرِ - الْقَلَقُ، وَالْانْزِعَاجُ،

(١) فِي (أ): مَسُوتٌ.

(٢) السُّبَاتُ.

(٣) فِي (ك): ابْتَدَأَ. بِصِيغَةِ الْمَاضِي.

(٤) فِي (ك): يَمُوتُ. بِصِيغَةِ الْمُضَارَعِ بَيَاءً مَثْنَاءً مِنْ تَحْتَ.

(٥) فِي (ك): يَخْرُجُ. بِصِيغَةِ الْمُضَارَعِ بَيَاءً مَثْنَاءً مِنْ تَحْتَ.

(٦) فِي (ك): مِنْ.

والهَمُومُ.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾^(١).والقلبُ إذا زالَ عَنْ^(٢) موضعه، ماتَ صاحِبُهُ.المراد: إنَّهم جَبُنُوا، ومن شأنِ الجبانِ عندَ الهولِ، أن يَتَفَخَّحَ سِحْرُهُ^(٣). والرَّثَّةُإذا انْتَفَخَتْ رَفَعَتِ^(٤) القلبَ، وَهَضَّتْ بِهِ إلى نحوِ الحُتْجُرَةِ. ذكره الفراء^(٥)،والكلبيُّ، وأبو صالحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٦). والْقُلُوبُ توصفُ بالوجيبِ في أحوالِالجزعِ [قال^(٧) الشاعِرُ^(٨)]:كَأَنَّ قُلُوبَ أَذْلَانِهَا مَعْلَقَةٌ بِقُرُونِ الظُّبَاءِ^(٩)

(١) الأحزاب: ١٠.

(٢) في (ك): مِنْ.

(٣) في (ش) و(هـ) و(أ) و(ط): مَنَحَرَهُ. وَالسَّحَر: الرُّثَّة.

(٤) في (ك): دَفَعَتْ. بالبدالِ الممثلة.

(٥) معاني القرآن: ٢: ٣٣٦.

(٦) معاني القرآن: ٢: ٣٣٦.

(٧) ما بين المعقوفين زيادة من (ح).

(٨) تأويل مشكل القرآن: ١٧٢. تأويل مختلف الحديث: ٢٣٦ ونَسَبَهُ إلى المَرَار. أمالي المرتضى: ١:

٣٢٨ بلاعزو. أساس البلاغة مادة (عفر) عَرَضًا: بلاعزو. والأدلاء: جمع دليل. والبيت في

وصف فلاة خيفة ثم انظر: شعراء أمويون: ٢: ٤٣٤ معزواً إلى المَرَار بن سعيد الفقمعي.

(٩) في (ك): أَذْلَانِهَا. بالذال المعجمة و«الظباء» بدلاً من «الظباء».

ويكون^(١) المعنى: كادت القلوب من شدة الرعب، تبلغ الحناجر، فالغى ذكر «كادت» لوضوح الأمر فيها. ولفظة^(٢) «كادت» للمقاربة.



قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُنِيَ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٣).

المعنى: مثل^(٤) واعظ الذي كفرُوا، والدَّاعِي هُم إلى الإيمان، والطَّاعَةِ، كمثل الرَّاعِي الَّذِي يَنْعِقُ بِالْغَنَمِ، وهي لا تعقل معنى دعائه. إِنَّمَا تَسْمَعُ صَوْتَهُ، وَلَا تَفْهَمُ غَرَضَهُ.

ويجوز أن يقوم قوله مقام الدَّاعِي هُم، كما تقول العرب: فلان يخافك خوف الأسد. وهذا المعنى مضاف إلى الأسد. قَالَ الشاعر^(٥):

فَلَسْتُ مُسْلِمًا مَا دُمْتُ حَيًّا عَلَى زَيْدٍ بِتَسْلِيمِ الْأَمِيرِ^(٦)

(١) في (ح): أو يكون.

(٢) في (ح): لفظ.

(٣) البقرة: ١٧١.

(٤) (مَثَل) ساقطة من (أ).

(٥) في (ك): بيت. وهي ساقطة من (أ). وفي (ش) و(ها): شعر.

(٦) معاني القرآن: ١: ١٠٠، ٢: ٤٠٤ بلا عزو. أمالي المرتضى: ١: ٢١٥ ولم ينسبه. شرح ديوان زهير

لأبي العباس ثعلب: ٣٤. التبيان في تفسير القرآن: ٢: ٦٢ بلا عزو أيضاً.

فمثلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الْغَنَمِ الَّتِي ^(١) لَا تَفْهَمُ مَا أَرَادَ النَّاعِقُ. أَضَافَ
الْمَثَلَ الثَّانِيَّ إِلَى النَّاعِقِ، وَهُوَ فِي الْمَعْنَى مُضَافٌ إِلَى الْمَنعُوقِ ^(٢) بِهِ.

تَقُولُ ^(٣) الْعَرَبُ: طَلَعَتِ الشُّعْرَى. أَيُّ: نَجْمُهَا. وَانْتَصَبَ الْعُودُ عَلَى
الْحَرْبَاءِ. الْمَعْنَى: انْتَصَبَ الْحَرْبَاءُ عَلَى الْعُودِ. قَالَ ^(٤) [الرَّاجِزُ] ^(٥):

[وَبِلَدٍ عَامِيَةٍ أَمْهَؤُهُ] كَانَ لَوْنُ أَرْضِهِ سَمَؤُهُ
أَرَادَ: كَانَ لَوْنُ سَمَائِهِ أَرْضُهُ. قَالَ أَبُو النَّجْمِ ^(٦):

قَبْلَ دُنُو النَّجْمِ مِنْ جَوَازِيهِ ^(٧)

وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَمَثَلُنَا. أَوْ مَثَلُهُمْ. وَمَثَلُكَ - يَا مُحَمَّدٌ - كَمَثَلِ الَّذِي
يَنْعَقُ. أَيُّ: مَثَلُهُمْ فِي الدُّعَاءِ وَالتَّيْبِيهِ، وَالْإِرْشَادِ، كَمَثَلِ ^(٨) النَّاعِقِ، وَالْغَنَمِ ^(٩).
فَحَذَفَ الْمَثَلَ الثَّانِيَّ اكْتِفَاءً بِالْأَوَّلِ. مَثَلُ قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلَ لَكُم سَرَائِلَ تَقِيكُمْ﴾

(١) فِي (ك) وَ(أ): الَّذِي.

(٢) (الْمَنعُوقُ بِهِ): مَطْمُوسَةٌ فِي (أ).

(٣) فِي (ح): وَتَقُولُ. مَعَ الْوَاوِ.

(٤) هُوَ رُؤْيَا بَنِ الْعَجَّاجِ. انْظُرْ دِيَوَانَهُ: ٣، وَمِنْهُ صَدْرُ الْبَيْتِ.

(٥) مَا بَيْنَ الْمَعْرِوفَتَيْنِ زِيَادَةٌ مِنْ (ح).

(٦) هُوَ أَبُو النَّجْمِ الْمَعْجَلِي. وَقَدْ أَخْلَى بِهَا دِيَوَانَهُ.

(٧) تَأْوِيلُ مُشْكَلِ الْقُرْآنِ: ١٩٦ مَعَزَوْا إِلَى أَبِي النَّجْمِ. أَمَالِي الْمُرْتَضَى: ١: ٢١٦ مَعَزَوْا إِلَيْهِ أَيْضًا.

(٨) فِي (أ): وَكَمَثَلِ.

(٩) فِي (ح): النَّاعِقُ فِي الْغَنَمِ وَالْغَنَمِ.

الْحَرَّ^(١). وَأَرَادَ: الْحَرَّ^(٢) وَالْبَرْدَ. [قال] ^(٣) أَبُو ذُؤَيْبٍ^(٤) :

عَصَيْتُ إِلَيْهَا الْقَلْبَ إِنِّي لَأَمْرَهَا مُطِيعٌ فَمَا أَدْرِي: أَرَشَدُ طَلَبَهَا

أَرَادَ: أَرَشَدُ أَمْ غَيٌّ؟

أَوْ^(٥): مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي دُعَائِهِمْ^(٦) الْأَصْنَامَ، وَعِبَادَتِهِمْ لَهَا، كَمَثَلِ
الرَّاعِي الَّذِي يَنْعَقُ بِغَنَمِهِ، وَيُنَادِيهَا نِدَاءَهُ، وَدُعَاءَهُ، وَلَا تَفْهَمُ مَعْنَى كَلَامِهِ.

فَشَبَّهَ مَنْ يَدْعُوهُ الْكُفَّارُ مِنَ الْمَعْبُودَاتِ بِالْغَنَمِ مِنْ حَيْثُ لَا تَعْقِلُ الْخَطَابَ،
/ ٩ / وَلَا تَفْهَمُهُ، وَلَا نَفْعَ عِنْدَهَا فِيهِ، وَلَا مَضَرَّةَ.



(١) النحل: ٨١.

(٢) (الحر) ساقطة من (أ).

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٤) هو أبو ذؤيب الهذلي. أنظر ديوان الهذليين: ق ١ : ٧١ وفيه:

عصاني إليها القلبُ إِنِّي لَأَمْرُو سَمِيعٌ...

(٥) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): ومثل، مع الواو.

(٦) في (ش): إدعائهم.

فصل [- ٤ -]

[في الملائكة]

قوله - تعالى - : ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكَאَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾^(١).

[أي]^(٢): لو أنزلنا ملكاً في صورته، لقامت الساعة، ووجب استنصاهاهم. ثم قال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَاَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾^(٣). أي: في صورة رجل، لأنَّ أبصار البشر، لا تقدِر على النظر إلى صورة مَلَكٍ^(٤) على هيأته، للطفِ المَلَكِ، وقلة شعاع أبصارنا، ولذلك كان جبرئيل [- عليه السلام -]^(٥) يأتي النبي^(٦) - عليه السلام - في صورة دحية الكلبي. وكذلك^(٧) الملائكة الذين دخلوا على إبراهيم في صورة الأضياف، حتَّى قدَّم إليهم عَجَلاً سَمِيناً، لأنَّهُ لم يعلم أنَّهم ملائكة، وكذلك لَمَّا

(١) الأنعام: ٨.

(٢) زيادة من (هـ).

(٣) الأنعام: ٩.

(٤) في (ك): الملك.

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (ك).

(٦) (النبي) ساقطة من (أ).

(٧) في (ك): ولذلك.

تسور^(١) المحراب على داود الملكان، كأننا على صورة رجلين يختصمان إليه.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(٢). الآية.

قال الجبائي^(٣): ظهور الملائكة لمريم، إنما كان معجزة لذكرها - عليه السلام - لأن مريم، لم تكن نبيّة لقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾^(٤).

وقال ابن الإخشيد^(٥): كان ذلك إظهاراً لنبوّة عيسى - عليه السلام - كما كان ظهور الشهب، والغمامة، وغيرهما، معجزة النبي^(٦) - عليه السلام - ويجوز - عندنا - أن يكون معجزة لها، وكرامة، وإن لم تكن نبيّة، لأن

(١) في (ك): تسورا

(٢) آل عمران: ٤٢، ٤٣. وقد آثرنا كتابة الآيتين بتمامهما. وفي النسخ جميعها: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ...﴾.

(٣) جمع البيان: ١: ٤٣٨. وفي التفسير الكبير: ٨: ٤٣ معزولاً إلى جمهور المعتزلة.

(٤) يوسف: ١٠٩. النحل: ٤٣. الأنبياء: ٧.

(٥) جمع البيان: ٤٤٣.

(٦) في (ك) و(هـ) و(أ): (ح): للنبي

إظهار^(١) المعجزات - عندنا - إنما تدلُّ على صدق من ظهرت على يده، سواء كان نبياً، أو إماماً، أو صالحاً.

على أنه يحتمل أن يكون الله [- تعالى -] ^(٢) قال ذلك لمريم. وقد يقال: قال الله لها، وإن كان بواسطة، كما تقول: قال الله كذا، وكذا. وإن كان على لسان النبي - عليه السلام -.

قوله - سبحانه -: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ ^(٣).

إنما جاز أن تصوّر الملائكة في صورة البشر، مع ما فيه من الإيهام^(٤)، لأنه قد اقترن به دلالة، وكان فيه مصلحة. فجرى مجرى السراب، الذي يُتخيل أنه ماء، من غير علم بأنه ماء.

قوله - سبحانه -: ﴿ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادُهُ ﴾ ^(٥).

(١) (إظهار) ساقطة من (أ).

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ك).

(٣) النجم: ١١.

(٤) في (ش) و(ك): الإيهام. بالبهاء الموحدة من تحت.

(٥) التحريم: ٦.

معناه: غِلَاطٌ في الأخلاق، شِدَادٌ في القُوَى، وإن كانوا رِقَاقَ الأجسام،
لأنَّ الظَّاهِرَ من حالِ الْمَلَكِ أَنَّهُ رُوحَانِيٌّ، فخرُوجُهُ عَنِ الرُّوحَانِيَّةِ، كخُرُوجِهِ عَنِ
صُورَةِ الْمَلَائِكَةِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾^(١)،
وقوله: ﴿سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ. لَا يُسْقُونَ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾^(٢).
قَالَ جَمَاعَةٌ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ كُلَّهُمْ^(٣)، رُسُلُ اللَّهِ.

وَقَالَ الرَّمَّانِيُّ فِي قَوْلِهِ: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا﴾^(٤): ظَاهِرُ الْآيَةِ يَقْتَضِي^(٥)
الْعُمُومَ، وَعُمُومُهُ^(٦) يَقْتَضِي أَنَّهُمْ لَا يَعْصُونَ فِي صَغِيرَةٍ^(٧) وَلَا كَبِيرَةٍ^(٨).

(١) الأنبياء: ١٩.

(٢) الأنبياء: ٢٦، ٢٧.

(٣) العبارة: «كلهم رسل الله... جاعل الملائكة ساقطة من (ك).

(٤) فاطر: ١.

(٥) في (ك): تقتضي. بالنون الموحدة من فوق.

(٦) في (هـ): عموم. من دون واو.

(٧) في (ك) و(هـ) و(أ): صغير.

(٨) في (ك) و(هـ) و(أ): كبير.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿اللَّهُ يُصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾^(١).

أدخل «مِنَ» للتَّبْعِيضِ، فدلَّ على أنَّ^(٢) جميعهم، لم يكونوا أنبياء، كما أنَّه لما قال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾، دلَّ على أنَّ جميع النَّاسِ، لم يكونوا أنبياء.

وذهب أصحابنا إلى أنَّ فيهم رسلاً، وفيهم من ليس برسولٍ، فلو كانوا - جميعاً - رسلاً، لكانوا - جميعاً - مصطفين، لأنَّ الرُّسُولَ لا يكون إلا مختاراً، مصطفى. كما قال: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

فالرُّسُلُ منهم، لا يجوزُ عليهم فعل القبيح، ولا دليل على أنَّ جميعهم بهذه الصِّفة.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾^(٤). يدلُّ على زيادة التَّشْيِيتِ في نفوسهم، أنَّه يعلمُ الغيبَ. وإنَّا قالوا ذلك لِمَا رَأَوْا [هـ]^(٥) من الجانِّ. أو قالوا استعظماً لفعلهم. أو إنَّ الله كان قد أخبرهم. أو قالوا على وجه الإيجاب،

(١) الحج: ٧٥.

(٢) في (هـ): أئهم.

(٣) الدُّخَان: ٣٢.

(٤) البقرة: ٣٠.

(٥) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش) و(ح).

وإن خرج مخرج^(١) الاستفهام. أو على وجه التوَجُّع، والتَّأَلُّم.

وقيل: إنما سألوا على وجه التعريف، والاستفادة، وإنما أرادوا - بذلك - غير الأنبياء، والمعصومين. وكأنه - تعالى - قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً^(٢)﴾، يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَنَسْلٌ، يَفْعَلُونَ كَيْتٌ، وَكَيْتٌ، فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾؟ يريدون^(٣) الولد.

ويحتمل أن / ١٠ / يكون قوله: ﴿مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ يريدون البعض، لا الكل. كما يقال: بنو شيان يقطعون الطريق. أي: بعضهم.

قوله - سبحانه - : ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا^(٤)﴾. يحتمل وجهين: - قال ابن عباس: تنزيهاً لله أن يكون أحد^(٥) يعلم الغيب.
والثاني: أنهم أرادوا أن يخرجوا الجواب مخرج التعظيم لله، فكأنهم قالوا: تنزيهاً لك عن القبائح.

(١) في (ل) : يخرج.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) في (ل) : يريد.

(٤) البقرة: ٣٢.

(٥) جامع البيان: ١: ٢٠٢. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٧٨.

(٦) في (هـ): أحداً.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾^(١). أي: ملائكة لا يخفى عليهم شيء من الذي تفعلونه^(٢) فَيَسْتَوُونَ ذَلِكَ كُلَّهُ.

وعلمهم بذلك: إمّا باضطرارٍ، كما تعلم أنه يقصد إلى خطابنا، وأمرنا، ونهيّنا. وإمّا باستدلالٍ، إذا رآوه، وقد ظهر منه الأمور التي لا تكون^(٣) إلّا عن علم، وقصد، نحو ردّ الوديعة، وقضاء الدين، والكيل، والوزن، ممّا يتعهد فيه أهل الحقوق.

قال الحسن^(٤): يعلمون ما تفعلون من الظاهر، دون الباطن.

وقيل: هو على ظاهر العموم، لأن الله، يعلمهم إياه.



قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾^(٥).

كلام مجمل، لا يُعرف ﴿ تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾، أحاد، أم عشرات، أم مئتين، أم

(١) الانفطار: ١١، ١٢.

(٢) في (هـ): يفعلونه. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٣) في (أ): يكون. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٤) مجمع البيان: ٥: ٤٥ بلفظه ومن دون نسبة إلى أحد. الجامع لأحكام القرآن: ١٩: ٢٤٨ معزواً

إلى الحسن.

(٥) المدثر: ٣٠.

الوف؟ وكذلك قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾^(١).

قال ابن عباس^(٢)، وقتادة^(٣)، والضحاك^(٤): عِدَّةُ الْمَلَائِكَةِ الْمُؤَكَّلِينَ بِالنَّارِ، فِي التَّوْرَةِ. وَالْإِنْجِيلِ، تِسْعَةَ عَشَرَ. فَكَانَ ذِكْرُ هَذَا الْعَدَدِ، تَصْدِيقاً لِلنَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَام -.

قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾^(٥) أَي: خَزَنَةً.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَلَمَّا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ. فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾^(٦).

إِنَّمَا عُرِفَ انْتِفَاءُ الشَّهَوَاتِ عَنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ لَا يَأْكُلُونَ، وَلَا يَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَنَاقَحُونَ، وَلَا يَتَوَدَّدُونَ، وَلَيْسَ لَهُمْ ذُرِّيَّةٌ بِالْإِجْمَاعِ، بِهَذِهِ الْآيَةِ.

(١) الحاقة: ١٧.

(٢) جامع البيان: ٢٩: ١٦١. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٣٨٨. الجامع الأحكام القرآن: ١٩: ٨٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) المدثر: ٣٠.

(٦) هود: ٦٩، ٧٠.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلَيْسَ بَعْدَ ذَلِكَ نَجْرِيهِ جَهَنَّمَ﴾^(١). يَبَيِّنُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَجْبُولِينَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾^(٢).

إِنَّمَا أُخِرَ ذِكْرُ جِبْرِيلَ، وَمِيكَالَ، مِنَ الْمَلَائِكَةِ، ذِكْرًا لِفَضْلِهِمَا، وَمَنْزِلَتِهِمَا، كَمَا قَالَ: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَتَخْلُ وَرُمَانٌ﴾^(٣)، وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾^(٤).

أَوْ لِيَمَّا تَقَدَّمَ مِنْ قَصَّتْهُمَا قَبْلَهَا. وَهَذِهِ الْآيَةُ، نَزَلَتْ فِيهِمَا، وَفِيمَا جَرَى مِنْ ذِكْرِهِمَا.

ثُمَّ إِنَّ الْيَهُودَ لَمَّا قَالَتْ: إِنَّ جِبْرِيلَ عَدُوُّنَا، وَمِيكَالَ وَلِيِّنَا، خُصَّصَا بِالذِّكْرِ، لِنَلَّا نَزْعُ الْيَهُودَ أَنَّ جِبْرِيلَ، وَمِيكَالَ، مَخْصُوصَانِ مِنْ جُمْلَةِ الْمَلَائِكَةِ، وَغَيْرِ دَاخِلِينَ فِي جُمْلَتِهِمْ، فَنَصَّ اللَّهُ عَلَيْهِمَا، لِإِبْطَالِ مَا يَتَأَوَّلُونَهُ مِنَ التَّخْصِصِ.

(١) الأنبياء: ٢٩.

(٢) البقرة: ٩٨.

(٣) الرحمن: ٦٨.

(٤) آل عمران: ٤٨.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتُهُ رُسُلُنَا﴾^(١).

قال الحسن^(٢): هو مَلَكُ الموتِ، وأعوانه، وإئهم لا يعلمونَ آجالَ العبادِ،
حَتَّى يَأْتِيَهُمْ^(٣) ذلك من قِبَلِ اللَّهِ، بقبضِ أرواحِ العبادِ.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ﴾^(٤).

قال المُحْصِلُونَ^(٥): إِنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ، لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا، لِأَنَّهُ جِسْمٌ،
وَالجِسْمُ لَا يَبْصَحُ أَنْ يَكُونَ فِي الْأَمَاكِنِ الْكَثِيرَةِ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ. وَتَأَوَّلُوا هَذِهِ
الآيَةَ: أَنَّهُ أَرَادَ - بِمَلَكِ الْمَوْتِ - الْجَنَسَ دُونَ الشَّخْصِ^(٦) الْوَاحِدِ، كَمَا قَالَ:
﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾^(٧). أَرَادَ: جَنَسَ الْمَلَائِكَةِ.

(١) الأنعام: ٦١.

(٢) جامع البيان: ٧: ١٢٧ عن الحسن بن عبيد الله. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٣١٣ عن الحسن.

(٣) في (ش) و(ك) و(أ): تَأْتِيَهُمْ. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٤) السَّجْدَةُ: ١١.

(٥) في (هـ): الْمُحَقِّقُونَ، وفي هامشها: الْمُحْصِلُونَ. وفي (أ): الْمُخْلِصُونَ.

(٦) في (ح): شَخْصٌ وَاحِدٌ. من دون (أَل) في اللفظتين.

(٧) الْحَاقَّةُ: ١٧.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَМАُرُوتَ﴾^(١).

المعلقان كيف يُعلِّمان السَّحَر؟ وكيف لا يَراهما إلا السَّحَرَةُ؟

ويُحمل «مَا» على الجحد، والنفي، فكأنه - تعالى - قال: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ مُّسْتَمَانٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾^(٢)، ولا^(٣) أنزل الله السَّحَرَ على الملكين ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ﴾^(٤). ويكون قوله: ﴿بِبَابِلَ هَارُوتَ وَМАُرُوتَ﴾، يعني رجلين من جملة النَّاسِ، هذان إسماهما، وإنَّها ذُكِرا^(٥) بعد ذِكرِ النَّاسِ، تَمَيِّزاً وَتَبْيِيحاً، ويكونُ الْمَلَكَانِ المذكورانِ اللَّذَانِ تُنْفِي عنهما السَّحَرَ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ، لأنَّ سحرَةَ اليهودِ، ادَّعَتْ أَنَّ اللهَ أنزلَ السَّحَرَ على لسانِ جِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ إلى سُلَيْمَانَ - عليه السلام - فأكَذَّبَهُمُ اللهُ بِذَلِكَ.

ويجوزُ أن يكونَ هَارُوتُ وَماُرُوتُ كَفَرًا.

وكان ابن^(٦) عَبَّاسٍ يقرأ: ﴿وَمَا أُنْزِلَ / ١١ / عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ - بكسر اللام -

(١) البقرة: ١٠٢.

(٢) البقرة: ١٠٢.

(٣) في (ج): وما.

(٤) البقرة: ١٠٢.

(٥) في (هـ): ذكر. من دون ألف الاثنين.

(٦) جامع البيان: ١: ٤٥٩ معزوة إلى بعض القراء. أيضاً جمع البيان: ١: ١٧٠ معزوة إلى ابن عَبَّاسٍ

الجامع الأحكام القرآن: ٢: ٥٢.

ويقول: متى كان العِلْجَانِ مَلَكَيْنِ؟ إِنَّمَا كَانَا مَلَكَيْنِ. وفيهِ جوابٌ، سَيَجِيءُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.



فصل [-٥-]

[في الجنّ والشيطان]

قوله - تعالى -: ﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾^(١).

يدلّ على أنّه لم يكن من الملائكة، لأنّ الجنّ، جنسٌ غيرُ الملائكة، كما أنّ الإنس، غيرُ جنسِ الجنّ.

وقوله: ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾، استثناءٌ من غير جنسه، نحو قوله: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢)، وقوله: ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾^(٣). ويكون «إِلَّا» بمعنى «لكن»، وتقديره: لكنّ إبليس أبقى، واستكبر، وكان من الكافرين.

قوله - سبحانه -: ﴿ أَهْؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ

(١) الكهف: ٥٠.

(٢) الشعراء: ٧٧.

(٣) النساء: ١٥٧.

وَلَيْتُنَا مِنْ دُونِهِمْ^(١).

قَالَ جَمَاعَةٌ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ مِنَ الْجِنِّ. فَلَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ لِقَوْلِهِمْ: ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾^(٢)، وَنَفِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ، مَعْنَى.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٣): كَانَ إِبْلِيسُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

وَقَالَ الطُّوسِيُّ^(٤): إِنَّ أَخْبَارَنَا تَدُلُّ^(٥) عَلَى أَنَّ إِبْلِيسَ، كَانَ مِنْ جَمَلَةِ الْمَلَائِكَةِ، وَلَئِنَّا كَفَرْنَا بِامْتِنَاعِهِ مِنَ السُّجُودِ.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ^(٦)، وَتَنَادَ^(٧) فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾^(٨) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يَقُولُ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ﴾^(٩): عَنِ^(١٠) بِالْإِلَهِ، إِبْلِيسَ، لِأَنَّهُ الَّذِي ادَّعَى الْإِلَهِيَّةَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ دُونَ غَيْرِهِ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى

(١) سبأ: ٤٠، ٤١.

(٢) سبأ: ٤١.

(٣) جامع البيان: ١٥: ٢٦. الجامع لأحكام القرآن: ١: ٢٩٤.

(٤) التبيان في تفسير القرآن: ١: ١٥٠.

(٥) في (ك) و(أ): يدل. بياض المضارعة المثناة من تحت.

(٦) جامع البيان: ١٧: ١٧. الجامع لأحكام القرآن: ١: ٢٩٤.

(٧) جامع البيان: ١٧: ١٧. الجامع لأحكام القرآن: ١: ٢٩٤.

(٨) الأنبياء: ٢٦.

(٩) الأنبياء: ٢٩.

(١٠) في (هـ): عني. بالياء المثناة من تحت.

أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

وقيل: إِنَّهُ مِنْ طَائِفَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، يَسْمُونَ جِنًّا مِنْ حَيْثُ كَانُوا خَزَنَةَ الْجَنَّةِ.

وقيل: سَمُّوا بِذَلِكَ لِاجْتِنَائِهِمْ عَنِ الْعِيُونِ، قَوْلُهُ: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ

نَسَبًا﴾^(١).

وَمَنْ رَأَى هَذِهِ الطَّرِيقَةَ، قَالَ: مَنْ قَالَ: إِنَّ إِبْلِيسَ لَهُ ذُرِّيَّةٌ، وَهُمْ

يَتَوَلَّدُونَ، وَيَأْكُلُونَ، وَيَشْرَبُونَ، عَوَّلَ عَلَى خَيْرٍ غَيْرِ مَعْلُومٍ.

وَهَذَا فَاسِدٌ، لِأَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - أَثَبَّتَ لَهُ الذُّرِّيَّةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ

وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾^(٢).

قَوْلُهُ - مُبْحَاثُهُ -: ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣).

يُذَلُّ عَلَى بَطْلَانِ قَوْلٍ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ. وَإِنَّمَا جَازَ أَنْ يَأْمُرَهُ

بِالسُّجُودِ لَهُ، وَإِنْ لَمْ يَأْمُرْهُ بِالْعِبَادَةِ لَهُ، لِأَنَّ السُّجُودَ مُرْتَبِّ فِي التَّعْظِيمِ، بِحَسَبِ

مَا يَرَادُ بِهِ.

(١) الصّافات: ١٥٨.

(٢) الكهف: ٥٠.

(٣) البقرة: ٣٤.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾^(١)، وقوله: ﴿وَخَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(٢).

وجهُ الشُّبْهَةِ الدَّاخِلَةِ على إبليسَ، أنَّ الفروعَ ترجعُ إلى الأصولِ، فتكونُ على قدرها في التَّكْبِيرِ، والتَّصْغِيرِ، فلمَّا اعتقدَ أَنَّ النَّارَ، أَكْرَمُ أَصْلًا مِنَ الطِّينِ، جاءَ منه أَنَّهُ أَكْرَمُ مَنْ يَخْلُقُ مِنْ طِينٍ.

وذهبَ عليه - بجَهْلِهِ - أَنَّ الجواهرَ كُلَّهَا مُتَمَاثِلَةٌ، وَأَنَّ اللهَ، يَصْرِفُهَا بِالْأَعْرَاضِ، كَيْفَ شَاءَ، مَعَ كَرَمِ جَوْهَرِ الطِّينِ، وكثرةِ ما فيه مِنَ المنافعِ، الَّتِي تَقَارِبُ منافعَ النَّارِ، أو تُؤَنِّي عَلَيْهَا.

قالَ الجَبَّائِيُّ^(٣): الطِّينُ خَيْرٌ مِنَ النَّارِ، لِأَنَّهُ أَكْثَرُ مَنَافِعَ لِلخَلْقِ^(٤) من حيثُ أَنَّ الأرضَ^(٥)، مستقرُّ الخَلْقِ، وفيها معاشُهُمْ، ومنها يَخْرُجُ^(٦) أنواعُ أرزاقِهِمْ، لِأَنَّ الخَيْرِيَّةَ فِي الأرضِ، أو فِي النَّارِ: إِنَّمَا يُرَادُ بِهَا كَثْرَةُ المنافعِ، دونَ كَثْرَةِ الثَّوَابِ.

(١) الإسراء: ٦١.

(٢) الأعراف: ١٢.

(٣) قول الجبائي هذا في مجمع البيان: ٣: ٤٠٢ بلفظه ومن دون عزو إليه.

(٤) في (أ): للحق.

(٥) في (ش): الأعراض.

(٦) في (هـ) و(ح): تخرج. بقاء المضارعة المثناة من فوق.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿لَا أَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١). أي: لا أقودئهم إلى المعاصي، كما تقاد الدابة، بحَنِكِها^(٢)، إذا شُدَّ فيها حبلٌ مُجَرَّبٌ به.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: الَّذِينَ لَا يَتَّبِعُونَهُ. وَأَنَا ظَنُّ إبْلِيسُ هَذَا الظَّنَّ، بَأَنَّهُ يَغْوِي أَكْثَرَ الْخَلْقِ، لِأَنَّ اللَّهَ، كَانَ قَدْ أَخْبَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنَّهُ سَيَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يَفْسُدُ فِيهَا، فَكَانَ قَدْ عَلِمَ بِذَلِكَ.

وَقَالَ الْحَسَنُ^(٣): لِأَنَّهُ وَسَّوسَ إِلَى آدَمَ، فَلَمْ يَجِدْ لَهُ عِزْمًا، فَقَالَ: بَنُو هَذَا، مِثْلُهُ فِي ضَعْفِ الْعِزْمَةِ.

وهذا مُعْتَرِضٌ، لِأَنَّ آدَمَ لَمْ يَفْعَلْ قَبِيحًا، وَلَمْ يَتْرِكْ وَاجِبًا.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾^(٤).

لم يقل: عَلَى وَجْهِ الْمُدَاخَلَةِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٥): وَلَمْ يَقُلْ: مِنْ فَوْقِهِمْ، لِأَنَّ

(١) الإسراء: ٦٢.

(٢) حنك الدابة: رسنها (المنجد: حنك).

(٣) جامع البيان: ١٥: ١٧. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٤٢٦. الجامع الأحكام القرآن. ١٠: ٢٨٧.

(٤) الأعراف: ١٧.

(٥) جامع البيان: ٨: ١٣٦. مجمع البيان: ٣: ٤٠٤.

رحمة الله تنزل عليهم من فوقهم، ولم يقل: من تحت أرجلهم، لأن الأتيان منه،
يوحش.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(١)، وَقَتَادَةُ^(٢)، وَإِبْرَاهِيمُ^(٣)، وَالْحَكَمُ^(٤)، وَالسُّدِّيُّ^(٥)، وَابْنُ
جُرَيْجٍ^(٦). أَي: مِنْ قِبَلِ دَنْيَاهُمْ، وَآخِرَتِهِمْ، وَمِنْ جِهَةِ حَسَنَاتِهِمْ، وَسَيِّئَاتِهِمْ.

وَقَالَ مجاهد^(٧): مِنْ حَيْثُ يُنْصَرُونَ.

وَقَالَ البلخي^(٨)، وَأَبُو عَلِيٍّ^(٩): مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، يُمَكِّنُ الْاِحْتِيَالَ بِهَا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَلَا تُقْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١٠).

-
- (١) جامع البيان: ٨: ١٣٦. مجمع البيان: ٣: ٤٠٤. الجامع لأحكام القرآن: ١٥: ٧٥.
(٢) جامع البيان: ٨: ١٣٦. مجمع البيان: ٣: ٤٠٤. الجامع لأحكام القرآن: ١٥: ٧٥.
(٣) جامع البيان: ٨: ١٣٦، التبيان في تفسير القرآن: ٤: ٣٦٤. عن إبراهيم بن الحكم.
(٤) جامع البيان: ٨: ١٣٦، أيضاً: التفسير الكبير: ١٤: ٤٠، الجامع لأحكام القرآن: ٧: ١٧٦ عن
الحكم بن عتيبة.
(٥) جامع البيان: ٨: ١٣٦، مجمع البيان: ٣: ٤٠٤. التفسير الكبير: ١٤: ٤٠.
(٦) جامع البيان: ٨: ١٣٦. مجمع البيان: ٣: ٤٠٤.
(٧) جامع البيان: ٨: ١٣٧. مجمع البيان: ٣: ٤٠٤. وفيه: مِنْ حَيْثُ لَا يَنْصَرُونَ.
(٨) التبيان في تفسير القرآن: ٤: ٣٦٥.
(٩) مجمع البيان: ٣: ٤٠٤. وهو أبو علي الطبرسي صاحب المجمع.
(١٠) الحجر: ٣٩.

أي: لأُخَيِّنَهُمْ من تناول الثواب. قَالَ الشَّاعِرُ^(١):

[فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرُهُ] ومن يغزو لا يعدم على الفسي لا نسا

ثُمَّ اسْتَشَى، وقال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾^(٢) مع حرصه على

١٢ / إغواء الجميع، من حيثُ أَنَّهُ آيَسَ مِنْهُمْ، وَعَلِمَ أَنَّهُمْ لَا يَقْبَلُونَ مِنْهُ، وَأَنَّهُ
ليس له عليهم سلطان، إِلَّا بِالْإِغْوَاءِ. فَإِذَا عَلِمَ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَقْبَلُ مِنْهُ، صَرَفَهُ
عن ذلك آيَاسُهُ مِنْهُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾^(٣)، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ
لِي عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتَكُمْ فَأَسْتَجِبْتُمْ لِي﴾^(٤).

قال الجبائي^(٥): ليس له عليهم قدرة على ضَرَرٍ^(٦)، ونفع، أكثر من

(١) العين: ٢: ٢٣٨ بلا عزو. المفضليات: ٢٤٦ منسوباً إلى المرقش الأصغر. الزاهر: ٢: ٢٦٤ بلا

عزو. أمالي المرتضى: ١: ٣٦١ منسوباً إلى قنبر الغزاري ومنها الشطر الأول. التبيان في تفسير

القرآن: ٢: ٣١٢ بلا عزو. المفردات في غريب القرآن: ٣٦٩ بلا عزو. الكشف: ٣: ٢٦ معزواً

إلى المرقش.

(٢) الحجر: ٤٠.

(٣) سبأ: ٢١.

(٤) إبراهيم: ٢٢.

(٥) مجمع البيان: ٤: ٣١١ بلفظه من دون عزو إلى أحد. وكذلك: ٤: ٣٨٨.

(٦) في (ح): ضرر.

الْوَسْوَسةِ، والدُّعاءِ إِلَى الْفَسَادِ. فَأَمَّا عَلَى ضُرٍّ^(١)، فلا، لَأَنَّهُ خَلَقَ ضَعِيفٌ مُتَخَلِّخٌ، لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِضْرَارِ بِغَيْرِهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَإِنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾^(٢).

وذلك أَنَّهُم كانوا فِي الجاهليَّةِ، إِذا سافروا فِي وادي^(٣)، نادوا لِلْجِنِّ^(٤) نعوذ بِرَبِّ هَذَا الْوَادِي، ثُمَّ قالوا: إِحبس عَنَّا سفهاءكم. فتقول الجنُّ: نحن لَا نَمْلِكُ لَكُمْ ضُرًّا وَلَا نَفْعًا، وَهم يَفْزَعُونَ مِنَّا. فكانوا يَجْتَرِثُونَ عَلَى الْإِنْسِ، وَيُرْهِقُونَهُمْ، وَيُحَرِّقُونَهُمْ^(٥).

وكَيْفَ يَتَسَلَّطُ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى نَفْعٍ، وَلَا ضُرٍّ؟ أَوْ كَيْفَ يَسْلُطُ [هـ]^(٦) اللهُ عَلَى عبيده، لِيُضِلَّهُمْ عَنِ الْحَقِّ، ثُمَّ يَكْلِفُهُمْ؟ وَلَا يَجِيءُ مِنْهُ فِعْلٌ فِي غَيْرِ مَحَلٍّ الْقُدْرَةِ، وَإِنَّهُ جَسَمٌ شَفَافٌ، وَلَيْسَ مِنْهُ سِوَى إِرَادَةِ الْمُعَاصِي، وَتَزْيِينِ الشَّهَوَاتِ،

(١) العبارة فِي (هـ): عَلَى ضُرٍّ فلا، لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِمْ لَأَنَّهُ خَلَقَ...

(٢) الجنُّ: ٦.

(٣) فِي (ح): وادٍ. بالتَّوِينِ.

(٤) فِي (ح): بِالْجِنِّ. مع حرف الجر (الباء).

(٥) فِي (هـ) و(أ): يَحْرِقُونَهُمْ.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش) و(ك) و(هـ) و(أ).

والدُّعاء إلى المنكرات.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿قُوْسُوْسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾^(١)، وقوله: ﴿مِنْ شَرِّ
الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾^(٢).

وسواس الشَّيْطَانِ، دعاؤه إلى معصية الله، بِقَوْلِ خَفِيِّ، ويقارنُ دُعَاءَهُ^(٣)،
أَنَّهُ يُرِيدُ بِذَلِكَ نَفْعَهُ.

ويجوزُ أن يَصِلَ وسواسه إلى قلب العبدِ بآلةٍ لطيفةٍ، ويجوزُ أن يكونَ إذا
تكلَّم بذلك في نفسه، أَعْلَمَنَاهُ اللهُ، كما لو تحدَّثَ إنسانٌ في نفسه، جازَ أن يَعْلَمَهُ
اللهُ. قَالَ رُوْبِيَّةُ^(٤):

وَسْوَاسٌ يَدْعُو - مُخْلِصاً - رَبَّ الْفَلَقِ

وَالْوَسْوَاسَةُ تَكُونُ^(٥) مِنَ الْجِنِّ، وَالْإِنْسِ.

وَالشَّيْطَانُ. اسْمٌ لِكُلِّ بَعِيدٍ مِنَ الْخَيْرِ، قوله: ﴿شَیَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾^(٦).

(١) طه: ١٢٠.

(٢) الناس: ٤، ٥.

(٣) في (ك): دعاؤه: بالرفع.

(٤) هو رُوْبِيَّةُ بن العجاج. انظر ديوانه: ١٨.

(٥) في (ك) و(أ): يكون. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٦) الأنعام: ١١٢.

ورأى^(١) النبي - عليه السلام - رجلاً يتبعُ حماماً في طيرانه فقال: «شيطانٌ يتبعُ شيطانا».



قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ^(٢): ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٣). الآية.

المعنى: إن إبليس حسن للمشركين أعمالهم، وحرّضهم على قتال محمد - صلى الله عليه وآله - وخروجهم من مكة، وقوى نفوسهم، وقال: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ﴾^(٤). لأنهم خافوا بني كنانة مما كان بينهم، فأراد إبليس أن يسكن خوفهم ﴿فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾^(٥).

قال ابن عباس^(٦)، وقتادة^(٧)، والسدي^(٨)، وابن إسحاق^(٩): ظهر لهم في

(١) سنن ابن ماجه: ٢: ١٢٣٩.

(٢) (سبحانه): ساقطة من (هـ).

(٣) الأنفال: ٤٨.

(٤) الأنفال: ٤٨.

(٥) الأنفال: ٤٨.

(٦) جامع البيان: ١٠: ١٨، ١٩. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٥٤٩، الجامع لأحكام القرآن ٨: ٢٦.

(٧) جامع البيان: ١٠: ١٩.

(٨) جامع البيان: ١٠: ١٨. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٥٤٩.

(٩) جامع البيان: ١٠: ١٩.

صورة سُرَاقَةَ بن مالك بن جُعشم الكناني في جماعة من جنده، وَقَالَ لهم: هذه كِنَانَةُ^(١) قد أتتكم بِجُنْدِهَا^(٢). فلَمَّا رَأَى الملائكة نَكَصَ على عَقِبَيْهِ. فَقَالَ الحارثُ ابنُ هشام: إلى أينَ يا سُرَاقَةُ^(٣)؟ فقال: إِنِّي أرى ما لا تَرَوْنَ. وهو قولُ أبي جعفر^(٤)، وأبي عبد الله^(٥) - عليهما السلام -^(٦).

وقيل: إِنَّهُ رأى جبرئيلَ بين يدي النَّبيِّ - عليه السلام -.

وَقَالَ أبو علي الجبائي^(٧): حَوَّلَهُ اللهُ على صورة إنسانٍ عَلِمَا لِلنَّبِيِّ - عليه السلام -^(٨) فيما يُخْبِر به.

وَقَالَ الحسن^(٩)، والبلخي^(١٠): إِنَّمَا هو يوسوسُ من غير أن يحول في صورة إنسانٍ.



(١) في (هـ): كناية. بياء مشاة من تحت بعد الألف.

(٢) في (ك) و(هـ) و(أ): بجند لها.

(٣) في (ك): ياسراق. مرثعا.

(٤) هو محمد بن علي الباقر (ع). مجمع البيان: ٢: ٥٤٩.

(٥) هو جعفر بن محمد الصادق (ع) مجمع البيان: ٢: ٥٤٩.

(٦) في (ك) و(هـ): عليه السلام.

(٧) مجمع البيان: ٢: ٥٤٩.

(٨) في (هـ): صل الله عليه وآله.

(٩) مجمع البيان: ٢: ٥٤٩.

(١٠) مجمع البيان: ٢: ٥٤٩. وفي (أ): سقطت واو المعطف.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾^(١).
 وعمّا^(٢) جاء في الحديث^(٣) - مرفوعاً - : ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هَمَزِهِ وَنَفْسِهِ﴾.
 فالهمزات، دَفَعَهُمْ بِالْإِغْوَاءِ إِلَى الْمَعَاصِي. وَالْهَمْزُ^(٤): شِدَّةُ الدَّفْعِ. وَمِنْهُ سَمَّيْتُ
 الهمزة للآلف، لِأَنَّهُ يُخْرِجُ مِنْ أَقْصَى الْحَلْقِ، بِاعْتِمَادٍ شَدِيدٍ.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾^(٥)،
 وقوله : ﴿وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾^(٦).
 فَتَزَعُ الشَّيْطَانِ، وَسَوَسْتُهُ، وَدَعَاؤُهُ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَإِقْبَاعِ الْعِدَاوَةِ بَيْنَ
 النَّاسِ.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾^(٧).

(١) المؤمنون: ٩٧.

(٢) في (ك) و(أ): مَا.

(٣) سنن ابن ماجه: ١: ٢٦٥، ٢٦٦ باختلاف في اللفظ يسير.

(٤) لسان العرب (هَمْز).

(٥) يوسف: ١٠٠.

(٦) الأعراف: ٢٠٠.

(٧) الأعراف: ٢٧.

إفتانُ الشَّيْطَانِ، يَكُونُ بالدُّعَاءِ إِلَى المعاصي مِنَ الجَهَةِ الَّتِي تَمِيلُ إِلَيْهَا
النُّفُوسُ، وَتَسْتَهْيِهَا. وَإِنَّمَا جَارَ أَنْ يُنْهَى الْإِنْسَانُ بِصِغَةِ النَّهْيِ لِلشَّيْطَانِ، لِأَنَّهُ^(١)
أَبْلَغُ فِي التَّحْذِيرِ مِنْ حَيْثُ يَقْتَضِي^(٢) أَنَّهُ^(٣) يَطْلُبُنَا بِالْمَكْرُورِ، وَيَقْصِدُنَا بِالْعِدَاوَةِ.
فَالنَّهْيُ لَهُ^(٤) يَدْخُلُ فِيهِ النَّهْيُ لَنَا عَنْ تَرْكِ التَّحْذِيرِ مِنْهُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾^(٥).

الْأَمْرُ مِنَ الشَّيْطَانِ، هُوَ دَعَاؤُهُ إِلَى الْفِعْلِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَلَا تَحِدْ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾^(٦).

إِخْبَارٌ مِنْهُ: أَنَّ^(٧) إِبْلِيسَ، يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - لَا يَجِدُ أَكْثَرَ خَلْقِهِ شَاكِرِينَ.

(١) فِي (هـ): لَا إِلَهَ.

(٢) فِي (أ): يَقْضِي.

(٣) فِي (ك) وَ(هـ): أَنْ.

(٤) (لَهُ) مَطْمُوسَةٌ فِي (أ).

(٥) الْبَقَرَةُ: ١٦٩.

(٦) الْأَعْرَافُ: ١٧.

(٧) فِي (ك) وَ(هـ) وَ(أ): إِخْبَارٌ مِنْ إِبْلِيسَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى. وَفِي (ج): إِخْبَارٌ مِنْ أَنْ...

قال أبو علي^(١): يُمكنُ أَنَّهُ عَلِمَهُ مِنْ جِهَةِ الْمَلَائِكَةِ، بِإِخْبَارِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ.
وَقَالَ الْحَسَنُ^(٢): يَجُوزُ أَنَّهُ / ١٣ / أَخْبَرَ عَنْ ظَنِّهِ ذَلِكَ كَمَا قَالَ: ﴿وَلَقَدْ
صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾^(٣)، لِأَنَّهُ لَمَّا غَوَى آدَمَ، قَالَ: ذَرَيْتُ هَذَا أَوْضَعُ. وَظَنَّ
أَنَّهُمْ يَسْتَحْبُونَهُ^(٤)، وَيَتَابِعُونَهُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾^(٥).
قال أبو علي^(٦): إِنَّمَا عَلِمَ إِبْلِيسُ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَالَ لَهُ هَذَا الْقَوْلَ عَلَى لِسَانِ
بَعْضِ الْمَلَائِكَةِ.
وَقَالَ ابْنُ رِقْبَةَ^(٧): إِنَّهُ رَأَى مُعْجَزَةً تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ.

(١) هو أبو علي الطبرسي: مجمع البيان: ٣: ٤٠٤.

(٢) مجمع البيان: ٣: ٤٠٤.

(٣) سبأ: ٢٠.

(٤) في (ك) و(هـ) و(أ): يُسَبِّحُونَهُ.

(٥) الأعراف: ١٣.

(٦) هو أبو علي الطبرسي: مجمع البيان: ٣: ٤٠٤.

(٧) لم أقف عليه.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾^(١).

قال الجبائي^(٢): وصف كيدَهُ بِالضَّعْفِ. لضعف قُوَّتِهِ لأوليائه، بالإضافة إلى نُصرة المؤمنين.

وَقَالَ الحسن^(٣): أخبرهم أَنَّهُمْ سَيَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ، فَلذَلِكَ كَانَ ضَعِيفًا. ويقال: لضعف دَوَاعِي أوليائه إلى القتال، بَأَنَّهَا من جهة الباطل، إذ لَانْصِرَ هُمْ، وَأَنَّهُمَا يقاتلونَ بِمَا تدعو إِلَيْهِ الشُّبُهَةُ، والمؤمنونَ يقاتلونَ بِمَا تدعو إِلَيْهِ الْحَقَّةُ.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٤).

قال الجبائي^(٥): في الآية دلالة على أَنَّ الصَّرْعَ، لَيْسَ من قِبَلِ الشَّيْطَانِ، لِأَنَّهُ لو أمكنهُ أَنْ يَضْرَعَ، لكَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ.

وأجاز أبو الهذيل^(٦)، وابنُ الإخشيد^(٧) ذلك، وقالَا^(٨): إِنَّهُ يَجْرِي مجرى

(١) النساء: ٧٦.

(٢) مجمع البيان: ٢: ٧٦.

(٣) مجمع البيان: ٢: ٧٦.

(٤) النحل: ٩٩.

(٥) مجمع البيان: ١: ٣٨٩.

(٦) مجمع البيان: ١: ٣٨٩.

(٧) مجمع البيان: ١: ٣٨٩.

(٨) في التسخ جميعها: قال. بإسناد الفعل إلى المفرد الغائب. وما أثبتناه هو الموافق للسياق.

قوله: ﴿كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾^(١)، لأن الله - تعالى - قال: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾^(٢). وإنما أراد به سلطان الإغواء، والإضلال عن الحق.

قوله - سبحانه - : ﴿يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾^(٣).
مثل عند الجبائي^(٤) - لا حقيقة له - على وجه التشبيه بحال من تغلب عليه المرة السوداء، فتضعف نفسه، ويلج الشيطان بإغوائه عليه، فيقع عند تلك الحال، ويحصل به الصرع من فعل الله. ونُسب إلى الشيطان مجازاً، لما كان عند وسوسته.

وكان أبو الهذيل^(٥)، وابن الإخشيد^(٦)، يُجيزان^(٧) كون الصرع من فعل الشيطان في بعض الناس، دون بعض، لأن الظاهر من القرآن يشهد به. وليس في العقل، ما يمنع منه.

(١) البقرة: ٢٧٥.

(٢) النحل: ١٠٠.

(٣) البقرة: ٢٧٥.

(٤) جمع البيان: ١: ٣٨٩.

(٥) جمع البيان: ١: ٣٨٩.

(٦) جمع البيان: ١: ٢٨٩.

(٧) في (هـ): يجيزان. بالخاء المعجمة من فوق.

وَقَالَ الْجَبَّائِيُّ^(١): لَا يَجُوزُ ذَلِكَ، لِأَنَّ الشَّيْطَانَ، خَلَقَ ضَعِيفٌ، لَمْ يُقْدِرْهُ اللَّهُ عَلَى كَيْدِ الْبَشَرِ بِالْقَتْلِ، وَالتَّخْيِيطِ. وَلَوْ قَوَّيَ عَلَى ذَلِكَ، لَقَتَلَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ، وَالدَّاعِينَ إِلَى الْخَيْرِ، لِأَنَّهُمْ أَعْدَاؤُهُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَلِئَلَّا أُعِيدَهَا بِكَ وَذُرِّيَّتِهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٢).
معناه: الاستعاذة من طعن الشَّيْطَانِ لِلطُّفْلِ الَّذِي يَسْتَهْلُ صَارِخًا، فَوَقَّاهَا^(٣) اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - وَلَدَهَا عَيْسَى مِنْهُ بِحِجَابٍ. كَمَا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ^(٤) عَنْ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -.

وَقَالَ الْحَسَنُ^(٥): إِنَّهَا^(٦) اسْتَعَاذَتْ مِنْ إِغْوَاءِ الشَّيْطَانِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾^(٧).

(١) مجمع البيان: ٢: ٧٦.

(٢) آل عمران: ٣٦.

(٣) في (هـ): توقَّاهَا. بقافين بينهما الواو.

(٤) مجمع البيان: ١: ٤٣٥.

(٥) مجمع البيان: ١: ٤٣٥.

(٦) في (ل): إِيَّاهَا.

(٧) الأعراف: ٢٧.

إِنَّمَا كَانُوا يَرَوْنَنَا، وَلَا نَرَاهُمْ، لِأَنَّ أَبْصَارَهُمْ، أَحَدٌ مِنْ أَبْصَارِنَا، وَأَكْثَرُ ضَوْءٍ مِنْ أَبْصَارِنَا، وَأَبْصَارِنَا قَلِيلَةُ الشُّعَاعِ. وَمَعَ ذَلِكَ أَجْسَامُهُمْ شَفَافَةٌ، وَأَجْسَامُنَا كَثِيفَةٌ. فَصَحَّ أَنْ يَرَوْنَا، وَلَا يَصُحَّ مَنَّا أَنْ نَرَاهُمْ، وَلَوْ تَكَنَّفُوا، لَصَحَّ مَنَّا - أَيْضاً - أَنْ نَرَاهُمْ.

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ^(١) فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى بَطْلَانِ قَوْلٍ مِنْ يَقُولُ: إِنَّهُ يَرَى الْجِنَّ مِنْ حَيْثُ أَنْ اللَّهَ عَمَّ الْأَنْرَاهِمَ. قَالَ: وَإِنَّمَا يَجُوزُ أَنْ يَرَوْا فِي زَمَنِ الْأَنْبِيَاءِ، بِأَنْ يَكْتَنَفَ^(٢) اللَّهُ أَجْسَامَهُمْ.

وَقَالَ أَبُو الْهَذِيلِ^(٣)، وَابْنُ الْإِخْشِيدِ^(٤): يَجُوزُ أَنْ يَمْكُنَهُمْ أَنْ يَتَكَنَّفُوا، فَيَرَاهُمْ - حِينَئِذٍ - مَنْ يَخْتَصُّ بِخِدْمَتِهِمْ. وَهَذَا أَقْوَى.



قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾^(٥)، ﴿وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّرِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾^(٦).

(١) أَبُو عَلِيٍّ الطَّبْرَسِيُّ مؤلف مجمع البيان. انظر مجمع البيان: ٢: ٤٠٩.

(٢) فِي (ك): يَكْشِفُ. بِالشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ.

(٣) مجمع البيان: ٤٠٩.

(٤) مجمع البيان: ٢: ٤٠٩.

(٥) الْأَنْبِيَاءُ: ٨٢.

(٦) ص: ٣٨.

قال الجبائي^(١): كَتَفَ اللهُ أجسامهم حتى تبيَّأ لهم تلك الأعمال، مُعْجِزاً^(٢) لسليمان. وقال^(٣): لأنهم كانوا يبنون له البنيان، ويغوصون في البحار، ويُحْرِجُونَ ما فيها من اللؤلؤ، وذلك لا يَتَأَتَّى مع رِقَّةٍ^(٤) أجسامهم.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُوراً ﴾^(٥)، وقوله : ﴿ مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ﴾^(٦)، وقوله : ﴿ مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ ﴾^(٧).
إنَّها جاز أن يقصدوا لا استراق السمع، مع علمهم بأنهم لا يصلون، وأنهم يُحْرِقُونَ بالشَّهْبِ، لأنَّهم - تارة - يَسْلَمُونَ إذا لم يكن - هناك - من الملائكة شيء، وتارة يهلكون كَرَائِبِ الْبَحْرِ.
قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾^(٨).

(١) مجمع البيان: ٢ : ٤١٠

(٢) في (ح) : معجزة.

(٣) في (ك) و(هـ) و(أ) : قال. من دون واو العطف.

(٤) في (أ) : دَقَّة. بالذَّال المهملة.

(٥) الصفات: ٨، ٩.

(٦) الجن: ٩.

(٧) الحجر: ١٨.

(٨) الأنعام: ١٢٨.

قال الرَّجَّاجُ^(١)، والرَّمَّانِيُّ^(٢): وجهُ استمتاعِ الجنِّ بالإنسِ، أنَّهم إذا اعتقدوا أنَّ الإنسَ، يتعوذونَ بهم، ويعتقدونَ أنَّهم ينفعونهم، ويضرُّونهم، أو أنَّهم يقبلونَ منهم، إذا دَعَوْهُمْ، كانَ في ذلك تعظيمٌ لهم، وسرورٌ، ونفعٌ. ذكرَ ذلك.

/ ١٤ / وَقَالَ الْبَلْخِيُّ^(٣): وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ مقصوراً على الإنسِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾^(٤)، يدلُّ على أنَّ فيهم مؤمنين.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾^(٥).
في الآية دلالة على أنَّ للمؤمنين من الجنِّ أزواجاً من الخور.



(١) معاني القرآن وإعرابه: ٢: ٣٢٠.

(٢) مجمع البيان: ٢: ٣٦٥.

(٣) مجمع البيان: ٢: ٣٦٥.

(٤) الجن: ١، ٢. وفي (أ) نكلمة الآية: ﴿وَلَنْ نُفْرِكَ بَيْنَهُمَا أَحَدًا﴾.

(٥) الرحمن: ٥٦، ٧٤.

فصل [-٦-]

[في تسبيح المخلوقات لله]

قوله - تعالى -: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^(١)، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢).

لا يخلو^(٣) ذلك من: التسبيح المسموع، أو تسبيح مجهول، أو من جهة الدلالة.

ولا يجوز الأول، لأنه جاد. والفرق بين الجماد، والحَيوان بالنطق. وَلَوْ أَرَادَ ذَلِكَ، لَقَالَ: ولكن لا نسمعون تسبيحهم. ولم يقل: ﴿لَا تَفْقَهُونَ﴾^(٤).

ولا يجوز الثاني، لأنه تثبیت فساد ما لا يعقل. وسواء إثبات ما لا يعقل، ونفيه، لأنها - في الدلالة والجواز - سواء في جميع الأبواب، فلم يبق إلا من جهة الدلالة.

(١) الإسراء: ٤٤.

(٢) التور: ٤١.

(٣) العبارة في (هـ) مصححة على النحو الآتي: لا يخلو ذلك إما أن يكون من التسبيح...

(٤) الإسراء: ٤٤.

ولا خلاف في أنَّ جميع المخلوقات، تُسَبِّحُ^(١) الله بالدَّلالةِ على أنَّ لها صانعاً. ومن عادة العرب، أن تجعل الدَّلالة قولاً، ونطقاً، وكلاماً وإشارةً.

والتَّسْبِيحُ: هو التَّقْدِيسُ عَمَّا لا يجوزُ عليه في صفاته، ولم يزلِ اللهُ مقدَّساً، منزَّهاً، قبل خلقه، فمن كان من العقلاء، عارفاً به، فتسبيحه لفظاً، ومعنى. وما ليس بعاقلٍ من الحيوانِ والجمادِ، فتسبيحه ما فيه من الأدلة على وحدانيته، وتنزيهه عَمَّا لا يليقُ به.

ورجوعُ التَّقْدِيسِ إلى ما لا يعقل، ككُفْرِ الكافرِ، يعودُ نقصه إليه من غير أن يضرَّ الله منه شيء. وكذلك قوله: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾^(٢)، ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾^(٣)، ﴿بِأَجْمَلٍ أَوْ يَبُيَّعُ مَعَهُ الطُّيُورُ﴾^(٤). فيكونُ معناه: أي^(٥): يسبِّحُ أهلُها، كقوله: ﴿وَسَمِّلِ الْفَرِيقَةَ﴾^(٦).



قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ﴾^(٧) الآية.

(١) في (أ): يسبح، بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٢) الحديد: ١، الحشر: ١، الصف: ١.

(٣) الرعد: ١٣.

(٤) سبأ: ١٠.

(٥) (أي) سقطت من (ح).

(٦) يوسف: ٨٢.

(٧) النمل: ٢٢.

وقوله: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا﴾^(١)، وقوله: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾^(٢)،
وقوله: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾^(٣).

قال أبو علي^(٤): لا يمتنع أن يكون الله خلق في هذه الحيوانات من المعارف ما تفهم به الأمر، والنهي، والطاعة، فيما يراؤ منها، والوعيد على ما خالفت، وإن لم تكن كاملة العقل، مكلفة، وأنها تخبر - بذلك - كما يخبر مراهقو صبياننا، لأنه لا تكليف إلا على الملائكة، والإنس، والجن.

وَقَالَ الطُّوسِيُّ^(٥): هذا خلاف الظاهر، لأن الاحتجاج الذي حكاؤه عن
الهُدُودِ، احتجاج عارف بالله، وبما يجوز عليه، وما لا يجوز. قوله: ﴿وَجَدْتُهَا
وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٦)، ثم قال: ﴿وَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
أَعْمَاهُمْ﴾^(٧)، ثم^(٨) قال: ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾^(٩)، ثم قال: ﴿فَهُمْ لَا

(١) المائدة: ٣١.

(٢) ص: ١٩.

(٣) النمل: ١٨.

(٤) هو الطبرسي صاحب مجمع البيان. انظر مجمع البيان: ٤: ٣١٨.

(٥) التبيان في تفسير القرآن: ٨: ٧٩.

(٦) النمل: ٢٤.

(٧) النمل: ٢٤.

(٨) (ثم قال): ساقطة من (أ).

(٩) النمل: ٢٤.

يَهْتَدُونَ^(١)، ثُمَّ قَالَ: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ. اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(٢).

والمراد^(٣) بقوله: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾^(٤)، أي: إِنَّهُ ظَهَرَ مِنْهَا دَلَالَةُ الْقَوْلِ لِبَاقِي النَّمْلِ عَلَى التَّخْوِيفِ مِنَ الضَّرَرِ بِالْمَقَامِ، وَإِنَّ النَّجَاةَ فِي الْهَرَبِ إِلَى مَسَاكِينِهَا. وَيَكُونُ^(٥) إِضَافَةُ الْقَوْلِ إِلَيْهَا مُجَازًا، وَاسْتِعَارَةً كَقَوْلِ الشَّاعِرِ^(٦) فِي الْفَرَسِ:

[وَازَوَّرَ مَنْ وَقَعَ الْقَنَا بَلْبَانِهِ] وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحْمُحُمُ^(٧)

أَوْ أَنَّهُ وَقَعَ مِنَ النَّمْلَةِ كَلَامٌ ذُو حُرُوفٍ مَنْظُومَةٍ^(٨)، يَتَضَمَّنُ^(٩) لِلْمَعَانِي الْمَذْكُورَةِ، مِثْلَ مَا يَقَعُ^(١٠) مِنَ الْمَجْنُونِ، وَالصَّبِيِّ، مَعَ زَوَالِ التَّكْلِيفِ، وَالْكَمَالِ

(١) النمل: ٢٤.

(٢) النمل: ٢٥، ٢٦.

(٣) في (ح): أو المراد.

(٤) النمل: ١٨.

(٥) في (ح): تكون. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٦) هو عنترَةُ بن شدَّاد العبسي.

(٧) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليَّات: ٣٦٠. شرح القصائد التسع المشهورات: ٢: ٥٣٠.

شرح القصائد العشر: ٢١١. ومنها صدر البيت.

(٨) في (هـ): منضومة. بالضاد المعجمة. وفي (ا): مقطوعة.

(٩) في (هـ): تتضمَّن. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(١٠) في (ش) و(ح): وقع.

عنهم، وذلك يكون معجزاً لسليمان - عليه السلام -^(١).

وَقَالُوا: ^(٢) هو مثل ضربته الله على لسان النملة، لأمر إرادته، لأنه ﴿لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا﴾^(٣)، لأنه كما كان عاقبة^(٤) النمل أن سليمان، إن مرَّ عليه، حَطَّمَهُ.

وقيل: «النمل» اسم رجل في ذلك الزمان، كما نسمي^(٥) بضب^(٦). وكَلِبُ والمراد بقوله: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾^(٧)، أَلْهَمَهُ، كما قال: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾^(٨).

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾^(٩).

(١) (عليه السلام) سقطت من (ح).

(٢) في (ح): وقيل.

(٣) البقرة: ٢٦.

(٤) في (هـ): من عاقبة.

(٥) في (ح): يُسَمَّى. بياض المضارعة المثناة من تحت وبصيغة المبني للمجهول.

(٦) في (ك): نصب بنون موحدة من فوق بعدها صاد مهملة.

(٧) المائدة: ٣١.

(٨) النحل: ٦٨.

(٩) التور: ٤١.

قال مجاهد^(١): «الصَّلَاةُ لِلْإِنْسَانِ، وَالتَّسْبِيحُ لِكُلِّ شَيْءٍ. وَالصَّلَاةُ: الدُّعَاءُ. وَالدُّعَاءُ إِنَّمَا يَكُونُ لَطْفٌ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ. وَالتَّسْبِيحُ هُوَ التَّبْعِيدُ^(٢) مِمَّا لَا يَسْتَحِقُّهُ. فَأَرَادَ أَنْ كَلَّمَ مِنَ الطَّيْرِ قَدْ عَلِمَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَيَطْلُبُهُ وَيَدْعُوهُ، وَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْاجْتِنَابُ مِنْ مَضَارِّهِ، وَلَا يَدَّ أَنْ يَكُونَ لَهَا إِشَارَاتٌ، وَأَسْبَابٌ، وَتَفْهَمُ، وَيَفْهَمُ^(٣) بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، وَذَلِكَ مَنْطِقُهُمْ.



قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٤) الآية.

وقوله : ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾^(٥).

معنى السُّجُودِ: الدَّلُّ، والتَّوَاضُّعُ، تسخيراً للخالق. قَالَ سَوِيدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ^(٦):

سَاجِدُ الْمُنْخَرِ لَا يَرْفَعُهُ خَاشِعُ الطَّرْفِ أَصَمُّ الْمُسْتَمْعِ

(١) جامع البيان: ١٨: ١٥٢. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ١٤٨.

(٢) العبارة: «التَّبْعِيدُ مِمَّا لَا... يَحْتَاجُ إِلَيْهِ» مَكْرَرَةٌ فِي (١).

(٣) فِي (ك) وَ(هـ) وَ(أ): بِفَهْمٍ. بِالْبَاءِ الْمَوْحَدَةِ مِنْ تَحْتِ وَبِصِيغَةِ الْمَصْدَرِ.

(٤) الْحَجَجِ: ١٨.

(٥) الرَّحْمَنِ: ٦.

(٦) دِيوَانُ سَوِيدِ بْنِ أَبِي كَاهِلٍ الْيَشْكُرِيُّ: ٢٤.

وَقَالَ أُمِيَّةٌ^(١):

هُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْأَرْوَاحَ يَنْشُرُهَا وَيَسْجُدُ النُّجُومُ لِلرَّحْمَنِ وَالشَّجَرُ^(٢)
وَقَالَ الطُّوسِيُّ^(٣): سَجَدُومَا، مَا فِيهَا مِنَ الْآيَةِ الدَّالَّةِ عَلَى خُذُوثِهَا، وَعَلَى
وَجوبِ الْخُضُوعِ لِلَّهِ، وَالتَّذَلُّلِ لَهُ، لِمَا خَلَقَ فِيهَا مِنَ الْأَقْوَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي^(٤)
النَّبَاتِ وَالشَّارِ. فَلَا شَيْءَ أَدْعَى إِلَى الْخُضُوعِ، وَالْعِبَادَةِ لِمَنْ أَنْعَمَ بِهِذِهِ النُّعْمَةُ
الْجَلِيلَةُ، مِمَّا فِيهِ.

وَقَالَ مجاهد^(٥)، وابنُ جبير^(٦): سَجَدُومَا، ظِلَاهُمَا الَّذِي يُلْقِيَانِيهَا بِكَرَّةٍ،
وَعَشِيًّا. فَكُلُّ جَسْمٍ لَهُ ظِلٌّ فَهُوَ يَقْتَضِي الْخُضُوعَ، بِمَا فِيهِ مِنْ دَلِيلٍ^(٧) الْخُدُوثِ.
وَقَالَ الحسن^(٨)، وقَتَادَةُ^(٩)، وابنُ زَيْدٍ^(١٠): إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْجُدُ لِلَّهِ طَوْعًا،

(١) هُوَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ.

(٢) أَخْلَبَ بِهِ دِيَوَانَهُ الْمَطْبُوعَ.

(٣) التَّيْبَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ: ٩: ٤٦٤.

(٤) فِي (ك) وَ(هـ): وَفِي. مَعَ الْوَاوِ.

(٥) جَامِعُ الْبَيَانِ: ٢٧: ١٢٨. التَّيْبَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ: ٧: ٣٠٢. الدَّرُ الْمَشْهُورُ: ٦: ١٧. الْجَامِعُ

لأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: ١٧: ١٥٤.

(٦) جَامِعُ الْبَيَانِ: ٢٧: ١١٧. أَيْضًا: جَمْعُ الْبَيَانِ: ٥: ١٩٨.

(٧) فِي (هـ): دَلُولُ.

(٨) جَامِعُ الْبَيَانِ: ٢٧: ١١٨. التَّيْبَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ: ٦: ٢٣٤.

(٩) جَامِعُ الْبَيَانِ: ٢٧: ١١٨. التَّيْبَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ: ٦: ٢٣٤.

(١٠) التَّيْبَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ: ٦: ٢٣٤.

والكافر كُرْهاً. يعني: بالسَّيفِ.

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ^(١): سَجُودُ الْكَرَّهِ، بِالتَّذْلِيلِ، وَالتَّصْرِيفِ^(٢) مِنْ عَافِيَةٍ إِلَى مَرَضٍ، وَمِنْ غِنَى إِلَى فَقْرٍ، وَمِنْ حَيَاةٍ إِلَى مَوْتٍ.

وَقَالَ الرَّجَاجُ^(٣): الْمَعْنَى: إِنَّ فَيَمَنْ يَسْجُدُ لِلَّهِ، مَنْ يَسْهُلُ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَفِيهِمْ مَنْ يَشَقُّ عَلَيْهِ، فَيَكْرَهُهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿مَحَلَّتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً﴾^(٤).

وَقِيلَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْجُدُ لِلَّهِ طَوْعاً، وَالْكَافِرَ فِي حَكْمِ السَّاجِدِ كُرْهاً، بِمَا فِيهِ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَالذُّلَّةِ الَّتِي تَدْعُو إِلَى الْخُضُوعِ لِلَّهِ - تَعَالَى -.



قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾^(٥) الْآيَةِ.

يَذُلُّ^(٦) عَلَى بُطْلَانِ قَوْلِ الطَّبَّائِعِيِّ: إِنَّ الْمَاءَ الْوَاحِدَ، وَالتُّرْبَةَ الْوَاحِدَةَ، يُخْرِجُ

(١) هو الطبرسي: مجمع البيان: ٥: ١٩٨. ونقله الطوسي في التبيان: ٦: ٢٣٤ عن أبي علي الجبائي.

(٢) في (ك) و(ح): للتصريف. ويسقوط (الواو) وفي (أ): يسقوط الواو فقط.

(٣) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ٢٣٤.

(٤) الأحقاف: ١٥.

(٥) الأنعام: ٩٩.

(٦) في (ش) و(أ): تدل. بناء المضارعة المثناة من فوق.

الله منها ثماراً مختلفةً، وأشجاراً مُبَيَّنةً، واختلافها يَدُلُّ على بُطْلانِ قَوْلِهِمْ.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ﴾^(١).

وجه الدلالة من ذلك: أَنَّ^(٢) المُجْرِي لها بالرياح، هو القادر الذي لا يعجز أن يُرْسِلَهَا في الوجوه التي يُريدون المسيرَ فيها. ولو اجتمع جميعُ الخلق أن يُجْروا^(٣) الْفُلْكَ في بعض الجهات، مخالفاً لجهة الرياح لما قدرُوا عليه.

ودخل ابنُ ميثمٍ على الحسنِ بنِ سهلٍ، وإلى جنبه ملحدٌ، قد عظَّمهُ^(٤) النَّاسُ. فقالَ لَهُ: قد رأيتُ بيباكَ عجباً!! قال: وما هو؟

قال: رأيتُ سفينةً تعبَّرُ النَّاسَ من جانبٍ إلى جانبٍ، بلا ملاحٍ، ولا ماخِرٍ^(٥)!!

فقال الملحدُ: إنَّ هذا - أصلحك الله - لمجنونٌ.

(١) لقمان: ٣١.

(٢) (أَنَّ) ساقطة من (أ).

(٣) في (هـ): يجيرون.

(٤) في (أ): عظَّمْتُهُ.

(٥) في (ش) و(ك) و(أ) و(ط): ناَصِر. وفي (ح): ماخر. بالخاء المهملة.

قال: وكيف ذاك^(١)؟

قال: خشبٌ جامدٌ، لا حياةَ له، ولا قوًى، ولا عقلٌ، كيفَ يعبرُ بالناسِ؟

قالَ ابنُ ميثمَ: فأَيُّها^(٢) أعجبُ: هذا، أو هذا^(٣) الماءُ الجاري، يجري على وجهِ الأرضِ يمنةً، ويسرةً، بلا روحٍ، ولا حياةٍ، ولا قوًى، وهذا النَّباتُ الَّذي يخرجُ من الأرضِ، وهذا المطرُ الَّذي ينزلُ مِنَ السَّمَاءِ؟ تزعمُ أن لا مدبِّرَ لها كُلِّها، وتُنكِرُ أن تكونَ سفينةٌ تحركُ^(٤) بلا مدبِّرٍ، وتُعبِّرُ النَّاسَ؟

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾^(٥).

نسبُهُ إلى نفسه، أمَّا في البحرِ، فلائنه بالريحِ، والله المحرِّكُ لها دون غيره، وأمَّا في البرِّ، فلائنه، كانَ باقتداره، وتمكينه، وتسييبه.

وَقَالَ رَجُلٌ^(٦) لِلصَّادِقِ - عليه السلام - : ما الدَّلِيلُ على الله؟ ولا تذكُرُ^(٧) لي

(١) في (هـ): ذلك.

(٢) في (ل): فأَيُّها.

(٣) في (ش): وهذا.

(٤) في (ك): يحرك. وفي (ح): تتحرك.

(٥) يونس: ٢٢.

(٦) معاني الأخبار: ٥. باختلاف في اللفظ يسير.

(٧) في (ك): تذكُر. بتشديد الكاف.

العالم، الجوهر، والعرض.

فقال - عليه السلام -: هل ركبت في البحر؟ قال: نعم.

قَالَ: فَهَلْ عَصَفْتَ بِكُمْ الرِّيحُ حَتَّى خَفْتُمُ الْغُرُقَ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَهَلْ انْقَطَعَ رِجَاؤُكَ مِنَ الْمَرْكَبِ وَالْمَلَّاحِينَ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَهَلْ تَتَّبَعْتَ نَفْسَكَ أَنْ تَمَّ مِنْ يُنْجِيكَ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ اللَّهُ - تعالى - ^(١). قَالَ تعالى ^(٢): ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ

تَجْتَرُونَ﴾ ^(٣).



قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾ ^(٤).

وَلَمْ يَقُلْ: كُلُّ مَا عَلَيْهَا، فَيَدْخُلُ ^(٥) فِيهَا الْحَيَاتُ وَالْعِقَابُ ^(٦)،

وَنَحْرُهَا.

(١) (تعالى) سقطت من (ك) و(ح).

(٢) (قال تعالى) سقطت من (هـ).

(٣) النحل: ٥٣.

(٤) الكهف: ٧.

(٥) في (هـ): فتدخل. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٦) في (أ): العقاب.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(١)، وابنُ زهرة^(٢): «لها»، كأنه يشيرُ إلى النَّبَاتِ خاصَّةً.

ويقال: من النَّبَاتِ والدَّوَابِّ، لأنَّها^(٣) تدلُّ على الوحْدانيَّةِ، ألا ترى أنَّه

أقسم بالتَّيْنِ والزَّيْتُونِ^(٤)، والشَّمْسِ^(٥) والقَمَرِ^(٦)، والطُّورِ^(٧) والذَّارِيَاتِ ؟



(١) مجمع البيان: ٤٥: ٣. من دون نسبة إلى أحد.

(٢) في (ح): الزهري.

(٣) في (ش) و(ك) و(هـ) و(ل): لآئة

(٤) التَّيْنِ: ١.

(٥) الشمس: ١.

(٦) القمر: ٢.

(٧) الطُّور: ١.

فصل [-٧-]

[في قدرة الله]

قوله - تعالى -: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾^(١).

أي: من قدر على أن يجعل في الشجر الأخضر - الذي هو في غاية الرطوبة - ناراً حامية، مع تضاد النار للرطوبة، ألا يقدر على الإعادة؟

ثم قال: ﴿وَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾^(٢)

لأن من شأن القادر على الشيء أن يكون قادراً على جنس مثله، وجنس ضده.

قوله - سبحانه -: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ. أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ

(١) يس: ٨٠.

(٢) يس: ٨١.

نَحْنُ الْمُتَنَبِّهُونَ^(١).

لا يدلُّ على أَنَّهُ^(٢) نَارُ الشَّجَرِ^(٣)، إِلَّا مِنْ قَادِرٍ عَلَيْهِ، لِأَنَّ الطَّبْعَ غَيْرَ مَعْقُولٍ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ تُسَنَّدَ^(٤) إِلَيْهِ الْأَفْعَالُ. وَلَوْ جَازَ ذَلِكَ، لَجَازَ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِ اللَّهِ. وَلَوْ كَانَ الطَّبْعُ مَعْقُولاً، لَكَانَ ذَلِكَ الطَّبْعُ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِي الشَّجَرِ. وَاللَّهُ الَّذِي أَنشَأَ الشَّجَرَةَ^(٥). وَمَا فِيهَا. فَقَدْ رَجَعَ إِلَى قَادِرٍ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ بِوَاسِطَةٍ. وَلَوْ جَازَ أَنْ تَكُونَ النَّارُ مِنْ غَيْرِ قَادِرٍ عَلَيْهَا، لَجَازَ أَنْ يَكُونَ مِنْ عَاجِزٍ، وَلَوْ جَازَ ذَلِكَ، لَجَازَ وَقُوعُ الْفَعْلِ مِمَّنْ لَيْسَ بِقَادِرٍ عَلَيْهِ مَتَأً.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾^(٦).

قَالَ الْحَسَنُ^(٧): خَوْفاً مِنَ الصَّوَاعِقِ الَّتِي تَكُونُ مَعَ الْبَرْقِ، وَطَمَعاً فِي الْغَيْثِ، الَّذِي يُزِيلُ الْجَدْبَ، وَالْقَحْطَ.

(١) الواقعة: ٧١، ٧٢.

(٢) فِي (ح): أَنْ.

(٣) فِي (هـ): لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ نَارَ الشَّجَرِ. وَفِي هَامِشِهَا: لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّارَ مِنَ الشَّجَرِ.

(٤) فِي (ش): تَسْتَنِدُ.

(٥) فِي (ح): الشَّجَرِ. بِصِيغَةِ الْجَمْعِ.

(٦) الرَّعْد: ١٢.

(٧) مَجْمَعُ الْبَيَان: ٣: ٢٨٢.

وَقَالَ قَتَادَةُ^(١): خَوْفًا لِلْمَسَافِرِ مِنْ أَذَاهُ، وَطَمَعًا لِلْمَقِيمِ فِي الرُّزْقِ بِهِ.
وَقَالَ مجاهد^(٢): ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾^(٣)، المعنى: إِنَّ السَّحَابَ ثِقَالَ
بِالْمَاءِ.

وقيل: ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾: ليخافوا من عذابه بالنَّارِ، ويطمعون في أن
يتعقَّبَ ذلكَ مطرٌ، يتفعَّلونَ بِهِ.



قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ ﴿وَالسَّاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ
الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾^(٥).

إنَّما جمع بينهما، لما فيها من التَّسْوِيَةِ، فالكتابُ يتضمَّنُ عِلْمَ السَّنَنِ الْمُسَوِّي
بَيْنَ الشَّرِيفِ، وَالْمَشْرُوفِ. وَالْمِيزَانُ يُجْرِجُ تِلْكَ السَّنَنَ إِلَى الْعَمَلِ. وَأَمَّا السَّاءُ، فَلَمَّا
فِيهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ، وَغَيْرِهَا، مَسْبِيًّا لِإِصْلَاحِ الْعَالَمِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾^(٦)، خَصَّصَ
الْمَوْزُونَ دُونَ الْمَكِيلِ بِالذِّكْرِ، لِأَنَّ غَايَةَ الْمَكِيلِ تَنْتَهِي إِلَى الْوِزْنِ، فَكَانَ الْوِزْنُ

(١) جامع البيان: ١٣: ١٢٣. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٢٨٣.

(٢) جامع البيان: ٣: ١٢٤.

(٣) الرُّعْد: ١٢.

(٤) الرحمن: ٧.

(٥) الحديد: ٢٥.

(٦) الحجر: ١٩.

أَعَمَّ مِنَ الْكَيْلِ^(١). ثُمَّ إِنَّهُ - تعالى - أَرَادَ بِالْمُوزُونِ، الْمَقْدَارَ الْوَاقِعَ بِحَسَبِ الْحَاجَةِ، فَلَا يَكُونُ نَاقِصاً عَنْهَا، وَلَا زَائِداً^(٢) عَلَيْهَا، يُقَالُ: كَلَامُ فَلَانٍ مُوزُونٌ، وَأَفْعَالُهُ مُقَدَّرَةٌ مُوزُونَةٌ. وَعَلَى هَذَا تَأَوَّلَ الْمُسْلِمُونَ ذِكْرَ الْمَوَازِينِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾^(٣).
الْمُسْتَقَرُّ^(٤): الْمَوْضِعُ الَّذِي يَقْرُ فِيهِ الشَّيْءُ، وَهُوَ قَرَارُهُ، وَمَكَانُهُ الَّذِي يَأْوِي إِلَيْهِ. وَالْمُسْتَوْدَعُ: الْمَعْنَى الْمَجْعُولُ فِي الْقَرَارِ، كَالْوَلَدِ فِي الْبَطْنِ، وَالتُّنْفُطَةِ فِي الظَّهْرِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾^(٥).
الْبَاسُ سَاتِرٌ مُهَاسٌ لِمَا سَتَرَ، وَاللَّيْلُ سَائِرُ الْأَشْخَاصِ بِظُلْمَتِهِ، مُهَاسٌ لَهَا بِجَنَسِهِ الَّذِي فِيهِ الظُّلْمَةُ.



(١) فِي (ش): الْمَكِيلُ.

(٢) فِي (هـ): زَائِدٌ. مِنْ دُونَ تَنْوِينِ النَّصَبِ.

(٣) الْأَنْعَامُ: ٩٨.

(٤) فِي (هـ): الْمُسْتَقَرُّ هُوَ الْمَوْضِعُ.

(٥) النَّبَأُ: ١٠.

فصل [- ٨ -]

[في قدرة الله]

قوله - تعالى -: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾^(١)، كَالسَّمَكِ وَالْحَيَّاتِ، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾^(٢)، مثل ابن آدم، وَالطَّيْرِ، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾^(٣)، كَالْبَهَائِمِ^(٤)، وَالسَّبَاعِ.

ولم يذكر المشي على أكثر من أربع، لأنه كالذي يمشي على أربع في مرأى^(٥) العين، فترك ذكره، لأن العبرة، تكفي بذكر الأربع.

وَقَالَ الْبَلْخِيُّ^(٦): لَأَنَّ عِنْدَ الْفَلَاسِفَةِ أَنَّ مَا زَادَ عَلَى الْأَرْبَعِ، لَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ، وَاعْتِيَادُهُ عَلَى أَرْبَعٍ فَقَطْ.

(١) النور: ٤٥.

(٢) النور: ٤٥.

(٣) النور: ٤٥.

(٤) في (أ): البهائم. من دون كاف التشبيه.

(٥) في (ك) و(هـ): مرأى. بالياء المثناة من تحت.

(٦) مجمع البيان: ٤: ١٤٨.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^(١)، وقوله : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾^(٢).

لأنَّ أصلَ الخلقِ من ماءٍ، ثُمَّ قَلَبَ إِلَى النَّارِ، فخلقَ الجنَّ منها، وإلى الرِّيحِ، فخلقَ الملائكةَ منها، ثُمَّ إِلَى الطِّينِ، فخلقَ آدَمَ منه.

وإنَّما قال : ﴿مِنْهُمْ﴾، تغليياً لما يَعْقِلُ على ما لَا يَعْقِلُ، إذا اختلطَ في خلقِ كُلِّ دَابَّةٍ.

وَقَالَ الحسن^(٣) : ﴿مِنْ مَاءٍ﴾، أي : من نطفةٍ. وجعلَ قوله : ﴿كُلُّ دَابَّةٍ﴾، خاصّاً فِيمَنْ يَخْلُقُ من نطفةٍ. وقوله : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ - وقد رأى أشياء مواتٍ منه - هذا كما يقولُ : جعلتُ من هذا الطِّينِ صورةَ كُلِّ شَيْءٍ. فعلى هذا، يجوزُ أن يكونَ جعلتُ صورةَ كُلِّ طيرٍ، وكُلِّ سبُعٍ. ولو قلتَ : لم أجعل من هذا الطِّينِ، إلّا صورةَ كُلِّ طيرٍ، لم يميزُ أن يكونَ - هاهنا - مجموعٌ غيرَ صورةِ الطِّيرِ.



(١) الأنبياء : ٣٠. وفي (ك) و(هـ) : تكملة الآية : ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾.

(٢) التور : ٤٥.

(٣) قول الحسن هذا هو المرويُّ عن أبي العالبيّة. انظر مجمع البيان : ٤ : ٤٥ وكذا في الدر المنثور :

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾^(١).

أي: بالمطر. وإرسال الرِّيح، تحريكها، وإجراؤها في الجهات المختلفة بحسب ما يَعْلَمُ فِيهِ من المصلحة شمالاً وجنوباً، وَصَباً، وَدُبُوراً، لَمَّا قَدَرُوا عَلَيْهِ، فمن قَدَرَ على ذلك، يعلم أَنَّهُ قَادِرٌ لِنَفْسِهِ، لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ للعبادة خالصةً.



قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾^(٢)، وقال: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتُمُ الرِّجْفَ﴾^(٣).

لَا تَنَاقُضَ بَيْنَهُمَا، لِأَنَّهُ غَيْرُ مَمْتَنِعٍ أَنْ تَنْضَمَّ إِلَى الرِّيحِ، صَاعِقَةٌ فِي إِهْلَاكِ قَوْمٍ عَادٍ، فَيَسُوعُ أَنْ يُجْبِرَ - فِي مَوْضِعٍ - أَنَّهُ أَهْلَكَهُمُ بِالرِّيحِ، وَفِي آخَرَ، أَنَّهُ أَهْلَكَهُمُ بِالصَّاعِقَةِ.

وقد يجوزُ أَنْ تَكُونَ^(٤) الرِّيحُ نَفْسُهَا، هِيَ الصَّاعِقَةُ، لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ صُعِقَ النَّاسُ مِنْهُ، فَهُوَ صَاعِقَةٌ. وكذلك القولُ فِي الرِّجْفِ، أَنَّهُ غَيْرُ مَمْتَنِعٍ أَنْ يَقْرُنَ بِالصَّاعِقَةِ الرِّجْفَ.

(١) الروم: ٤٦.

(٢) الداريات: ٤١.

(٣) العنكبوت: ٣٧.

(٤) فِي (ش) و(ك) و(أ): يَكُونُ. بَيَاءُ الْمُضَارَعَةِ الْمُتَنَاءِ مِنْ تَحْتِ.

وقد يمكن^(١) أن تكون^(٢) الرَّجْفَةُ هِيَ الصَّاعِقَةُ، لَأَنَّهُمْ صُعِقُوا عِنْدَهَا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّوْمِ ﴾^(٣).

قالوا: إِنَّ الْمَاءَ فِي عَهْدِ نُوحٍ، لَمَّا عَمَّ جَمِيعَ الْأَرْضِ، لَمْ يَنْجُ مِنَ الْغَرِقِ إِلَّا أَصْحَابُ السَّفِينَةِ، كَالرَّيْحِ الْمُسْحَرَةِ^(٤)، لَمَّا اعْتَصَمَ مِنْهَا هُودٌ وَصَحْبُهُ، بِحَيْثُ لَمْ تَهَبْ فِيهِ هَذِهِ الرِّيحُ الْمُهْلِكَةُ. وَاللَّهُ - تَعَالَى - قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْصَّ بِالرَّيْحِ أَرْضاً دُونَ أَرْضٍ، أَوْ يَكْفِ عَنْ هُودٍ؟

الجواب: إِنَّهُ غَيْرُ مَمْنُوعٍ أَنْ يَكْفِ عَنْ هُودٍ، وَصَحْبِهِ، هُبُوبَهَا، وَتَأْثِيرِ اعْتِمَادَاتِهَا، كَمَا كَفَّ إِحْرَاقَ النَّارِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ، بِبَرْدِهَا^(٥) فِي جِسْمِهِ، وَإِنْ كَانَ حَاصِلاً فِيهَا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ

(١) في (أ): العبارة: وقد يكون يمكن.

(٢) في (ش) و(ك) و(أ): يكون. بياض المضارعة المثناة من تحت.

(٣) الذاريات: ٤٢.

(٤) في (ش): الجيحر.

(٥) في (أ): يبردها. بياض مثناة من تحت بعدها باء موحدة من تحت.

فَأَيُّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا^(١).

وهذه الأشياء، جمادات، لا يصح تكليفها؟

المراءد: عرضنا على أهل السموات، وأهل الأرض، وأهل الجبال كقوله:

﴿وَسُئِلَ الْقُرَيْشُ^(٢)﴾.

وقيل: المعنى - في ذلك - تفخيم شأن الأمانة، وتعظيم حقها، وإن - من

عظيم منزلة لها - أنها لو عرضت على الجبال^(٣)، والسموات، مع عظيمها - وكانت

تعلم بأمرها - لأشفقت منها. غير أنه خرج مخرج الواقع، لأنه أبلغ في المقدور.

وقال البلخي^(٤): معنى العرض، والإباء، ليس هو مما يفهم بظاهر

[الكلام]^(٥)، بل إننا أراد - تعالى - أن يجبر يعظم شأن الأمانة، وأنه وجد

السموات مع عظيمها، لا تحتملها، وأن الإنسان حملها. أي: احتملها، ثم خانها.

وهذا كقولهم: سألت الربيع، وخاطبت الدار، فقالت: كذا. - ورأى قالوا: فلم

نحب - وقوله: ﴿إِنِّي طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالْنَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ^(٦)﴾. وقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ

(١) الأحزاب: ٧٢.

(٢) يوسف: ٨٢.

(٣) في (ك): الجبال. بالحاء المهملة.

(٤) في مجمع البيان: ٤: ٣٧٤ بلا عزو إلى أحد. وهو في (أوائل المقالات): ١٥٨ - ١٥٩ معزو إلى

البلخي وجماعة من أهل العدل.

(٥) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش).

(٦) فصلت: ١١.

شَيْئًا إِذَا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا^(١). قَالَ جَرِيرٌ^(٢):

لَمَّا أَنَّى خَبِرَ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ
سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخُسْعُ
وَقَالَ آخَرُ^(٣):

فَقَالَ لِي الْبَحْرُ إِذْ جِئْتُهُ وَكَيْفَ يُجِيرُ ضَرِيرُ ضَرِيرًا
ومعنى الإباء: الامتناع. يقال: هذه الأرض تأبى الزرع، والغرس. أي: لا
تصلح لهما، فيكون المعنى: فأبين أن يتحملنها. أي لا^(٤) يصلح لحمل الأمانة، إلا
من كان حيًا، قادرًا، عالمًا، سميعًا، بصيرًا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾^(٥).

أي: أهلها^(٦). كقولهم: ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾^(٧). ويقال: السخاء

(١) مريم: ٨٩، ٩٠.

(٢) ديوان جرير: ٢: ٩١٢.

(٣) التبيان في تفسير القرآن: ٨: ٣٦٩ بلا عزو وفيه: يميز. مجمع البيان: ٤: ٣٧٤. بلا عزو.

(٤) (لا) ساقطة من (ها).

(٥) الدخان: ٢٩.

(٦) الأسماء والصفات: ٣٩٨.

(٧) محمد: ٤.

حَاتَمٌ. وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ الْمُبَالَغَةَ فِي وَصْفِ الْقَوْمِ، بِسُقُوطِ الْمُنْزَلَةِ، كَمَا يُقَالُ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ لِفَقْدِهِ، وَأَظْلَمَ الْقَمَرُ، وَبَكَاهُ اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالسَّمَاءُ، وَالْأَرْضُ. قَالَ جَرِيرٌ^(١):

الشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نَجُومُ اللَّيْلِ وَالْقَمَرُ^(٢)
وَيَكُونُ الْإِخْبَارُ عَنْ فَقْدِ الْإِنْتِصَارِ، وَالْأَخْذِ بِالثَّأْرِ. وَالْعَرَبُ كَانَتْ لَا تَبْكِي عَلَى الْقَتِيلِ إِلَّا بَعْدَ الْأَخْذِ بِثَأْرِهِ.

وَيَعْنِي الْإِخْلَالَ عَنِ الْإِخْتِلَالِ بَعْدَهُ [قَالَ^(٣) الشَّاعِرُ^(٤)]:

بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ أَجْلِهِمْ فَتَهَلَّلَتْ دُمُوعِي فَأَيُّ الْجَازِ حِينَ الْوُجُ
وَسُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٥): أَوْ تَبْكِيَانِ عَلَى أَحَدٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. مَصْلَاهُ فِي الْأَرْضِ، وَمَضَعُهُ عَمَلُهُ فِي السَّمَاءِ.

وَقَالَ الْمُرْتَضَى^(٦): الْبُكَاءُ، كُنَايَةٌ عَنِ الْمَطَرِ. وَالْعَرَبُ تُشَبِّهُ الْمَطَرَ بِالْبُكَاءِ.

(١) فِي (أ): قَالَ جَرِيرٌ قَوْلَهُ.

(٢) دِيوَانُ جَرِيرٍ: ٢: ٧٣٦. وَفِي (أ): الْقَمَرُ: مِنْ دُونَ أَلْفِ الْإِطْلَاقِ.

(٣) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَتَيْنِ زِيَادَةٌ مِنْ (ح).

(٤) أَمَالِي الْمُرْتَضَى: ١: ٥٣. مَعْرُوءٌ إِلَى مَزَاحِمِ الْمُعْقِلِيِّ. وَكَذَلِكَ: مَجْمَعُ الْبَيَانِ: ٥: ٦٥. وَفِيهَا: وَتَهَلَّلَتْ.

(٥) جَامِعُ الْبَيَانِ: ٢٥: ١٢٤ - ١٢٥. أَمَالِي الْمُرْتَضَى: ١: ٥٣. مَجْمَعُ الْبَيَانِ: ٥: ٦٥. صَحِيحٌ

الْتِمَازِيُّ: ١٢: ١٣٦. الدَّرُ الْمَشْهُورُ: ٧: ٤١١.

(٦) أَمَالِي الْمُرْتَضَى: ١: ٥٤.

فَيَكُونُ مَعْنَى الْآيَةِ: إِنَّ السَّمَاءَ، لَمْ تَسِقِ قُبُورَهُمْ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَسْقُونَ السَّحَابَ لِقُبُورِ مَنْ فَقَدُوهُ. قَالَ عَدِيُّ بْنُ ^(١) حَاتِمٍ فِي وَفَاءِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَام - ^(٢):

إِنَّ الَّذِي بَكَتِ السَّمَاءُ لِفَقْدِهِ عَمِيَتْ عَلَيْنَا بَعْدَهُ الْأَنْبَاءُ
وَالْأَرْضُ ^(٣) خَاشِعَةٌ لَهَا بِجِبَالِهَا وَالنَّاسُ لَا مَوْتَى ^(٤) وَلَا أَحْيَاءُ
أَبُو ذُؤَيْبٍ ^(٥):

كَسَفَتْ لِمَصْرَعِ النُّجُومِ وَبَدَرُهَا وَتَزَعَزَعَتْ ^(٦) أَرْكَانُ بَطْنِ الْأَبْطَحِ



(١) لم أقف على مورد أخذه.

(٢) في (أ): بعد قوله (عليه السلام): قوله تعالى.

(٣) في (أ): (قوله) قبل (والأرض خاشعة).

(٤) في (أ): مولى.

(٥) أخل به شعره المجموع ضمن ديوان الهذليين.

(٦) في (هـ): تزعزعت.

فصل [-٩-]

[في إثبات وجوده سبحانه]

قوله - تعالى -: ﴿ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾^(١).
 قال الجبائي^(٢): في الآية، دلالة على بطلان قول الأصم، ونفاة^(٣)
 الأعراض، وقولهم: ليس - ههنا - غير الأجسام، لأنه قال: ﴿ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي
 حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾. فأثبت «غيراً»، لما كانوا فيه، وهو العرض.
 اختير متكلم لينظر ابن الرّاوندي في إثبات الأعراض^(٤)، فازدحم الناس
 ونكص المتكلم، فلما حصر المتكلم، فلم ينظر الخليفة إليه، لغضبه عليه.
 فقال: يا أمير المؤمنين! أنشدك! هل كنت قبل نُكُوصي على هذه الصفة أم
 تجدد^(٥)؟ قال: بل تجددت! قال: هي التي ينفيها هذا الرجل،
 وأمير المؤمنين يعرف من نفسه.

(١) النساء: ١٤٠.

(٢) مجمع البيان: ٢: ١٢٧.

(٣) في (ك): نفاء. بالهاء غير المثناة المنقوطة.

(٤) في (هـ): الأعراض. بالعين المعجمة.

(٥) في (ح): تجددت. مع تاء التانيث الساكنة.

وَنَاطَرَ بَعْضُهُمُ الصَّاحِبَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ الصَّاحِبُ: هَلْ تَحْصِلُ مِنَّا أَعْمَالٌ؟
قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: هِيَ جَوَاهِرُ أَوْ أَعْرَاضُ؟ فَبُهِتَ!

وَقَالَ أَبُو الْهَذِيلِ لِلْأَصَمِّ - وَهُوَ يَنْفِي الْحَرَكَةَ -: خَبَّرَنِي عَنْ قَوْلِهِ: ﴿الزَّائِنَةُ
وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾^(١)، وَعَنْ قَوْلِهِ - فِي الْقَاضِفِ -:
﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾^(٢)، أَيُّهَا أَكْثَرُ؟
قَالَ: حَدُّ الزَّانِي بَعَشْرِينَ.

قَالَ: فَمَا تِلْكَ الزِّيَادَةُ، هِيَ نَفْسُ الْجَلَادِ، أَوْ نَفْسُ الْمَجْلُودِ، أَوْ الْهَوَاءُ، أَوْ
الْخَشَبُ، أَوْ ثَمَّ شَيْءٌ غَيْرُ هَذَا يَسْمَى الْجَلْدُ؟
قَالَ: لَا أَقُولُ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ.

قَالَ: فَكَأَنَّكَ قُلْتَ: لَا شَيْءَ أَكْثَرُ مِنْ لَا شَيْءٍ بَعَشْرِينَ^(٣).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْيَارَ﴾^(٤).

(١) النُّور: ٢.

(٢) النُّور: ٤.

(٣) آمالي المرتضى: ١: ١٨٠ - ١٨١.

(٤) الفتح: ٢٢.

في هذه الآية، دلالة على أنه يعلم ما لم يكن أن^(١) لو كان كيف يكون. وفيه إشارة إلى أن المعدوم، معلوم.

وقال^(٢) الموبذ^(٣) لهشام بن الحكم: أحول^(٤) الدنيا شيء؟ قال: لا. قال: فإن^(٥) أخرجت يدك من الدنيا، فثم شيء يردّها؟ قال: ليس^(٦) شيء يرد يدك^(٧)، ولا شيء يخرج يدك. قال: فكيف أعرف هذا؟

قال: يا موبذ^(٨) [لو كنت]^(٩) أنت، وأنا على طرف الدنيا، فقلت لك: يا موبذ^(١٠) إني لا أرى^(١١) شيئاً، فقلت: ولم [لا]^(١٢) ترى؟ فقلت: لأنه^(١٣) - ها هنا -

(١) في (هـ): ألو.

(٢) في (ح): وقول.

(٣) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): الموبذ. بالذال المهملة.

(٤) في (ش): الأحول.

(٥) (فإن): ساقطة من (أ).

(٦) في (ح): لا شيء.

(٧) في (ح): يدي.

(٨) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): الموبذ. بالذال المهملة.

(٩) ما بين المعقوفين زيادة من (ح).

(١٠) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): موبذ. بالذال المهملة.

(١١) في (ك) و(أ): لأرى.

(١٢) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش).

(١٣) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ط): لأنه ليس هاهنا ظلام.

ظلامٍ يَمْنَعُنِي. فقلتُ: يا هشامُ، إني لا أرى شيئاً، فقلتُ: ولم لا ترى؟ فقلتُ:
ليس لي ضياءٌ أنظرُ به. فهل تكافأتِ المسألتانِ في التناقضِ؟ قال: نعم.
قال: فإذا تكافأتا في التناقضِ، لم تكافأ في الإبطالِ أن ليس شيءٌ. فأشارَ
المؤيد^(١) بيده: أن أصبَتْ^(٢).

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَقَدْ خَلَقْتَكُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾^(٣). وقوله: ﴿أَوَلَا
يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً﴾^(٤). وقوله: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ
شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾^(٥) وقوله: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ
شَيْئاً مَذْكُوراً﴾^(٦). وقوله: ﴿كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ
يَجِدْهُ شَيْئاً﴾^(٧).

تعلقَ المُبتونَ بهذه الآياتِ^(٨).

(١) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): مؤيد. بالدال المهملة.

(٢) العقد الفريد: ٢: ٢٢٤.

(٣) مريم: ٩.

(٤) مريم: ٦٧.

(٥) الطور: ٣٥.

(٦) الإنسان: ١.

(٧) النور: ٣٩.

(٨) في (ش) و(ح): الآية. وما أثبتناه هو الموافق للمقام.

وقالت^(١) النُّفَاةُ^(٢): إِنَّمَا قَالَ: ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾، ولم يقل: ولم يُسَمَّ شيئًا. والكونُ إِنَّمَا يتناولُ الموجودَ دونَ المعدومِ. والإنسانُ خُلِقَ من نطفةٍ، وآدمُ خُلِقَ من الترابِ. وكلاهما موجودانِ. وخُلِقَ الخلقُ من الآباءِ، والأمّهاتِ.

ومعناه: أُخْلِقُوا من غيرِ أصلٍ يرجعون^(٣) إليه؟

ويقال: من غيرِ شيءٍ. أي: لِغَيْرِ شَيْءٍ.

ومعنى الآياتِ: إِنَّ عادةَ العربِ إذا أرادتِ الإخبارَ عن خسارةٍ قدرِ شيءٍ، تصفه بأنه لا شيءٍ، وليس بشيءٍ^(٤). لا يقصدونَ إلى أَنَّهُ غيرُ موجودٍ، لأنَّهم يصفونَ الموجودَ الحاضرَ بذلك، كما يصفونَ المعدومَ.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾^(٥).

قالت النُّفَاةُ^(٦): أي يكونُ شيءٌ عظيمٌ.

(١) في (ح): قَالَ. من دون تاء التأنيث الساكنة.

(٢) في (هـ): النُّفَاةُ. بالهاء غير المشناة المنقوطة.

(٣) (ش): ترجعون. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٤) (شيء) ساقطة من (أ).

(٥) الحج: ١.

(٦) في (هـ): النُّفَاةُ. بالهاء غير المنقوطة.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ حَدًّا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(١)، وقوله [سبحانه] ^(٢): ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣).

فإنه يسوغ للمؤمنين أن يستدلوا بهما.

وكذلك قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤).

الموجود لا يوصف بالقدرة عليه أحد، إلا على سبيل الإعادة. واشتهر عن أهل اللغة قولهم: شيء معدوم. فلو كان لفظه^(٥) «شيء»، لا يقع إلا على موجود، لكان هذا القول متناقضاً. ويجري ذلك مجرى قولهم: موجود معدوم. ونحن نعلم الصوت عند تقضييه، والجسم بعد حجابيه.



قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^(٦).

(١) الكهف: ٢٤.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (أ).

(٣) النحل: ٤٠.

(٤) البقرة: ٢٨٤. وفي مواضع أخرى من القرآن.

(٥) في (ح): لفظ.

(٦) الحشر: ٢١.

إِنَّمَا أَخْرَجَ^(١) مَخْرَجَ الْمَثَلِ. قَوْلُهُ فِي عَقِبِهِ: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾^(٢).

المعنى: في خشوع الحجارة - أَنَّهُ يَظْهَرُ فِيهَا مَا لَوْ^(٣) ظَهَرَ مِنْ حَيٍّ مُخْتَارٍ، قَادِرٍ، كَانَ بِذَلِكَ خَاشِعًا، كَقَوْلِهِ: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾^(٤)، لِأَنَّ مَا ظَهَرَ فِيهِ مِنْ فَعَلٍ الْحَيَوَانِ، لَوْ ظَهَرَ مِنْ حَيٍّ، لَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ، لَيْسَ أَنَّ الْجِدَارَ يُرِيدُ شَيْئًا فِي الْحَقِيقَةِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^(٥).

يُرِيدُ - بِذَلِكَ - التَّدْلِيلَ تَسْخِيرًا. قَالَ جَرِيرٌ^(٦):

لَمَّا أُنْصِيَ خَيْرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ سَوَرُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخَشَعُ

وَيَقَالُ: ﴿يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾: كَأَنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ، بِغَيْرِهِ مِمَّنْ يَعْقُلُ لِدَلَالَتِهِ

(١) (ك) و(هـ) و(ل): خَرَجَ.

(٢) الحشر: ٢١.

(٣) في (ل): مَا لَوْهَا.

(٤) الكهف: ٧٧.

(٥) البقرة: ٧٤.

(٦) ديوان جرير: ٩١٣/٢.

على الخالق. فكأنه يقول: يدعو إلى خشية الله، إذا نُظِرَ إليه، قالوا: سُبْحَانَ اللَّهِ. كما تقول العرب - لما لا يُنطق، إذا نطق - عَجَباً لَهُ، فقالوا: / ١٩ / سُبْحَانَ اللَّهِ.



قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدَاهُ﴾^(١).

هذا، كما تقول العرب: هذا الكلام، يعلّق الصخر، ويهدّ الجبال، ويستنزّل الوعول. قال الشاعر^(٢):

ولو أن ما بي بالخصى فلق الخصى وبالريح لم يسمع لمن هبوب
قال ابن عباس^(٣)، وقناة، والضحاك^(٤): يَتَفَطَّرْنَ^(٥) من فوقهن، من عظمة الله، وجلاله.

وقالوا: إِنَّ السَّمَوَاتِ تَكَادُ تَتَفَطَّرْنَ^(٦) من فوقهن، استعظماً لله، للكفر^(٧)

(١) مريم: ٩٠.

(٢) أمالي المرتضى: ١: ٤٢٩، بلا عزو.

(٣) جامع البيان: ١٦: ١٣٠. الدر المنثور: ٥: ٥٤٣.

(٤) الدر المنثور: ٥: ٥٤٤.

(٥) في (ش) و(ك): يَتَفَطَّرْنَ.

(٦) في (ك): تنفطرن.

(٧) في (أ): للفكر.

بالله، والعصيان له، مع حقوقه الواجبة على خلقه، وذلك على وجه التمثيل.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾^(١).

والضُّحْكُ والبُكَاءُ من فعل الإنسان.

قوله: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾^(٢)، وقوله: ﴿أَقِمْنَ هَذَا الْحَدِيثِ

تَعَجَّبُونَ. وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾^(٣)، وقوله: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾^(٤).

نَسَبَ الضُّحْكَ والبُكَاءَ إلينا، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فَعَلْنَا، لَمْ يَحْسُنْ ذَلِكَ.

أَمَّا الْآيَةُ الْأُولَى، فمعناها: أَنَّهُ أَضْحَكَ، وَأَبْكَى، بَأَن^(٥) فَعَلَ سَبَبَ ذَلِكَ مِنْ

السرور، وَالْحَزَن. كما يُقَالُ: أَضْحَكَنِي فُلَانٌ، وَأَبْكَانِي. أَي: مِنْ سَبَبِيهِمَا^(٦).

وَقَالَ الْحَسَنُ^(٧): إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ لِلضُّحْكِ وَالْبُكَاءِ.

(١) النجم: ٤٣.

(٢) التوبة: ٨٢.

(٣) النجم: ٥٩، ٦٠.

(٤) المطففين: ٣٤.

(٥) بَأَن (بأن) سقطت من (ح).

(٦) فِي (أ): سَبَبُهَا.

(٧) مجمع البيان: ٥: ١٨٢.

وَالضُّحْكُ: تَفْتُحُ أَسْرَارَ الْوَجْهِ^(١) عَنْ سُرُورٍ فِي الْقَلْبِ، فَلِذَا هَجَمَ عَلَى
 الْإِنْسَانِ مِنْهُ مَا لَا يُمْكِنُهُ دَفْعُهُ، فَهُوَ مِنْ فَعَلَ اللَّهُ، وَكَذَلِكَ^(٢) الْبُكَاءُ.
 وَقِيلَ: أَضْحَكَ الْأَرْضَ بِالنَّبَاتِ، وَأَبَكَى السَّمَاءَ بِالْمَطَرِ.



(١) في (أ): الوجه.

(٢) في (أ): لذلك.

فصل [- ١٠ -]

[في بطلان أقوال المنجمين]

قوله - تعالى -: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾^(١).

لما أخبر الله بهذه الأحوال عن النجوم، كان أجرى العادة بأن يحدث أمراً عند طلوع كوكب، أو غروبه، أو اتصاله، أو مقارنته. لكن لا طريق لنا إلى العلم بأن ذلك قد وقع، وثبت.

ثم أن تلك العادة، يجوز أن تختلف باختلاف الأزمان، فلا يفعل ذلك. لأنه مختار فيها، ولا تأثير للكواكب البتة، لأنها ليست بحيّة، قادرة، فتفعل بالاختيار، ولا علة موجبة، فتؤثر بالإيجاب، وإنما هي أجسام، يُسيّرهما الله، كما يريد.

والدليل على نفي كون الفلك، وما فيه من شمس، وقمر، وكواكب أحياء: الإجماع.

وَإِذَا قَطَعْنَا عَلَى نَفْيِ الْحَيَاةِ، وَالْقُدْرَةِ عَنْهَا، فَكَيْفَ تَكُونُ فَاعِلَةً.

ثُمَّ أَنَّ الْحَرَارَةَ الشَّدِيدَةَ، كَحَرَارَةِ النَّارِ، تَنْفِي^(١) الْحَيَاةَ. وَحَرَارَةُ الشَّمْسِ، أَقْوَى مِنْ حَرَارَةِ النَّارِ. وَمَا كَانَ يَهْدِيهِ الصُّفَّةُ مِنَ الْحَرَارَةِ، يَسْتَحِيلُ^(٢) أَنْ يَكُونَ حَيًّا.

وَأِنْ كَانَتْ قَادِرَةً، إِنَّمَا تَفْعَلُ فِي غَيْرِهَا عَلَى سَبِيلِ التَّوْلِيدِ^(٣). وَلَا بُدَّ مِنْ وَضْعَةٍ^(٤) بَيْنَ الْفَاعِلِ، وَالْمَفْعُولِ فِيهِ. وَالْكَوَاكِبُ غَيْرُ عَمَاسَةٍ لَنَا. وَلَا وَضْعَةٌ بَيْنَنَا، وَبَيْنَهَا، فَكَيْفَ تَكُونُ فَاعِلَةً فِينَا؟ وَالْهَوَاءُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ^(٥) آلَةً فِي الْحَرَكَاتِ الشَّدِيدَةِ، وَجِلِّ الْأَثْقَالِ.

ثُمَّ لَوْ كَانَ الْهَوَاءُ آلَةً تَحْرُكُنَا بِهَا الْكَوَاكِبُ، لَوَجِبَ أَنْ نُحِسَّ بِذَلِكَ، كَمَا نُحِسُّ مِنْ غَيْرِ الْهَوَاءِ، إِذَا حَرَّكْنَا.



قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾^(٦)، ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ

(١) فِي (ك): تَنْفِي. بِالْقَافِ الْمَثَنَاءِ.

(٢) فِي (ش) وَ(ك) وَ(هـ) وَ(أ): تَسْتَحِيلُ. بِنَاءِ الْمُضَارَعَةِ الْمَثَنَاءِ مِنْ فَوْقِ.

(٣) فِي (ش): التَّوَكِيدِ.

(٤) فِي (هـ): وَضْعَةٍ. بِأَلْهَاءِ غَيْرِ الْمَنْقُوطَةِ. وَفِي (ح): صَلَ.

(٥) فِي (ش) وَ(ك) وَ(أ): تَكُونُ.

(٦) الرَّحْمَنِ: ٥.

مَنَازِلُ^(١)، ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ﴾^(٢).

فلا تعلق لهم فيها، لأننا نعرف أنَّ للنجوم^(٣) سيراً، ومنازل، واجتماعات واحتراقات، وحركات، وحرارة الشمس، وكسوفها، ونور القمر، وخسوفه، وأنها تجري بحسابه، وأنَّ سير^(٤) كلِّ واحد منها، خلاف سير الآخر، وأنَّ سير جميعها، يجري على مقدار معلوم، ونعلم بها عدد السنين، والحساب، وبها يقَعُ الفصل بين الأيام، والليالي إلاَّ أنَّه لا مجال للفعل فيه، وإنَّما يُعْلَمُ ذلك سَمْعاً. والخلاف بين المسلمين، والمنجمين في مَوَاضِعَيْنِ:

أحدهما: في تركيب الأفلاك، والأرض، وما يتلو ذلك.

والآخر: في الأحكام التي يدَّعونها: أنَّ جميع حوادث العالم، نشوءاً، وتوليداً^(٥)، وحدوثاً، وتغيُّراً، يتولَّد^(٦) عن الكواكب، وبسببها يحدث، حتَّى ادَّعوا أنَّ حياة الحيوان، وموتهم^(٧)، وتوالدهم، ورزقهم، وخيرهم، وشرهم،

(١) يس: ٣٩.

(٢) النجم: ١.

(٣) في (ش): النجوم. من دون حرف. الجر (اللام).

(٤) في (هـ): وإن كان سير.

(٥) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ح): توالداً.

(٦) في (هـ): تتولَّد.

(٧) في (ح): موته وتوالده ورزقه وخيره وشره.

مُتَعَلِّقٌ بِقُؤَاهَا^(١)، وَأَنَّ جَمِيعَ مَا يَحْدُثُ فِي^(٢) الْجَوِّ مِنَ الْأَمْطَارِ، وَالثَّلُوجِ، وَالرَّعْدِ
وَالْبَرْقِ، وَالصَّوَاعِقِ، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ مَا يَحْدُثُ فِي الْأَرْضِ مِنَ الزَّلَازِلِ، وَالْخَسْفِ،
وَفِي بَطُونِ الْمَعَادِنِ، وَفِي عَمَقِ الْبَحَارِ مِنْهَا.

/ ٢٠ / وَلَوْ كَانَ^(٣) الْأَمْرُ، عَلَى مَا ادَّعَوْهُ، لِبَطَلَ الْأَمْرُ، وَالنَّهْيُ، وَارْتَفَعَ
الْمَدْحُ، وَالذَّمُّ. وَبَارْتِفَاعِ ذَلِكَ، يَرْتَفِعُ الْعِقَابُ^(٤)، وَالثَّوَابُ، وَيُبْطَلَانِ تَبْطُلُ
النُّبُوءَاتُ، وَالشَّرَائِعُ أَجْمَعُ.

عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ - يَبْطَلَانِ ذَلِكَ - بَطْلَانُ جَمِيعِ الْعُلُومِ، وَلِبَطَلَتِ^(٥) الْفَائِدَةُ فِي
تَعْلُمِ عِلْمِ النُّجُومِ، لِأَنَّ تَعْلُمَهُ لَا يُسْتَفَادُ شَيْءٌ، إِذْ لَا يُمَكِّنُ أَحَدًا^(٦)، أَنْ يَقْدَمَ
شَيْئًا، أَوْ يُؤَخَّرَ، إِلَّا مَا يَرْجِبُهُ النَّجْمُ. فَسَوَاءٌ: عَلِمَهُ أَوْ لَمْ يَعْلَمْهُ.



قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾^(٧).

(١) فِي (ح): بِقُؤَاهَا.

(٢) فِي (هـ): فِيهِ.

(٣) فِي (ش): وَلَوْ لَا الْأَمْرُ.

(٤) فِي (هـ): الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ.

(٥) فِي (هـ): لِبَطَلَتْ.

(٦) فِي (ش): أَحَدٌ.

(٧) الْبُرُوجُ: ١.

لَيْسَ فِيهِ أَثْنَا عَشَرَ، أَوْ أَقْلُ، أَوْ أَكْثَرُ، عَلَى أَنَّ الْبُرُوجَ هِيَ الْقُصُورُ.
فَالْآيَةُ إِلَى بُطْلَانِ مَذْهَبِهِمْ، أَقْرَبُ.

ثُمَّ أَنَّ الْإِخْبَارَ بِالْغَيْبِ مِنْ جَمَلَةِ الْمُعْجَزَاتِ. وَلَوْ كَانَ الْعِلْمُ بِهَا يَخْدُثُ طَرِيقًا
نُجُومِيًّا، لَمْ يُعْرِفِ الْمُعْجِزُ. وَقَدْ اجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ - قَدِيمًا وَحَدِيثًا - عَلَى تَكْذِيبِهِمْ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾^(١).
وَأَنَّ الْأَهْلَةَ ﴿مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾^(٢)، وَأَنَّ لَهُ ﴿مَنَازِلَ لِيَتَعَلَّمُوا عِدَّةَ
السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾^(٣) ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(٤). فَلَوْ كَانَتْ الْحَوَادِثُ مِنْهَا،
لَوَجَبَ ذِكْرُهَا، وَالْإِثْنَانُ بِهَا، إِذِ النُّعْمَةُ بِهَا أَجَلٌ. وَمِنَ الْمُحَالِ أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ عَلَى
عِبَادِهِ بِمَا خَلَقَ لَهُمْ مِنْ صُنُوفٍ مَخْلُوقَاتِهِ.

فَيَذْكُرُ الْيَسِيرَ مِنَ الْفَائِدَةِ، وَيَدَعِ ذِكْرَ مَا هُوَ أَجَلٌ مِنْهُ بِكَثِيرٍ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾^(٥)، ﴿وَزَيْنَّا

(١) يونس: ٥.

(٢) البقرة: ١٨٩.

(٣) يونس: ٥.

(٤) النحل: ١٦.

(٥) الصافات: ٦.

السَّاءُ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ^(١).

وهذا خلاف قولهم، لَأَنَّهُ - تعالى - يَنَ أُنَّ الكَوَاكِبَ، زينة^(٢) سِءَالِ الدُّنْيَا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(٣).

بَيَّنَّ أَنَّهَا فِي فَلَكٍ وَاحِدٍ، يَسْبَحُونَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي فَلَكٍ، لَوَجِبَ أَنْ يَقُولَ: وَكُلٌّ^(٤) فِي فَلَكِهِ يَسْبَحُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾^(٥).

الْخَصْمُ مُعْتَرِفٌ بِأَنَّ الْكَوَاكِبَ لَا تَدَبِّرُ شَيْئًا، بَلْ تَفْعَلُ - عِنْدَهُمْ - طَبْعًا. وَلَا يَجُوزُ أَنَّهَا تَدَبِّرُ. وَالْخَصْمُ لَا يَعْتَرِفُ بِأَنَّهَا تَدَبِّرُ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهَا الْمَلَائِكَةُ. وَذَلِكَ أَوَّلَى.

(١) فَصَّلَتْ: ١٢.

(٢) فِي (ش) وَ(هـ) وَ(أ): زِينَت. بِالنَّاءِ الْمَبْسُوطَةِ.

(٣) يَس: ٤٠.

(٤) (كُلٌّ) سَاقِطَةٌ مِنْ (أ).

(٥) النَّازِعَات: ٥.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾^(١).

الشَّمْسُ، والقمرُ، آيتان من آياتِ الله، لما فِيهِمَا من عِظَمِ النُّورِ، وغيرِهما،
بغيرِ علاقةٍ، ولا دعامةٍ.

ونورُ الشمسِ - لَمَّا كان أضعفَ الأنوارِ - سَمَاءُ ضِيَاءٍ. كما قيلَ للنَّارِ ناراً، لما
فِيهَا من الضَّيَاءِ. ولَمَّا كان نورُ القمرِ دونَ ذلك^(٢)، سَمَاءُ [نوراً]. و[^(٣) نورُ الشَّمْسِ،
وضيائُها يغلبُ عليه. ولذلك لا يقالُ: أضاءَ اللَّيْلُ، بل يقالُ: انارَ اللَّيْلُ، وليلةٌ
منيرةٌ. ويقولونَ: في قلبِهِ نورٌ. ولا يُقالُ: فِيهِ ضِيَاءٌ.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(٤).

وَحَدَّ النَّجْمِ. وَقَالَ - فيما تقدَّمَ - : ﴿وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ﴾^(٥)، لَأَنَّ النُّجُومَ
على ثلاثةٍ أَضْرِبٍ:

ما يُهْتَدَى بها، مثلُ الفَرْقَدَيْنِ، وَالْجَدْيِ، لِأَنَّهَا لَا تَزُولُ.

(١) يونس: ٥.

(٢) في (هـ): دون ذلك نوراً.

(٣) ما بين المعقوفتين سقطت من (ش) و(ك) و(هـ) و(ل).

(٤) النحل: ١٦.

(٥) الأعراف: ٥٤.

وَصَرَبٌ هِيَ زِينَةُ السَّمَاءِ، كما قال: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾^(١).

فقوله: ﴿وَبِالنَّجْمِ﴾ يريدُ النُّجُومَ، فَاجْتَزَأَ بِالوَاحِدِ عَنِ الْجَمْعِ، كَمَا قَالَ: ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾^(٢).

وَالنَّجْمُ فِي قَوْلِهِ: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾^(٣)، يَرِيدُ بِهِ: الثَّرِيًّا. ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ﴾^(٤)، يَعْنِي: نَزُولَ الْقُرْآنِ. ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾^(٥)، يَرِيدُ: كُلُّ مَا نَجَمَ مِنَ الْأَرْضِ، مِمَّا لَا يَقُومُ عَلَى سَاقٍ.



(١) الصافات: ٦.

(٢) النور: ٣١.

(٣) الطارق: ٣.

(٤) النجم: ١.

(٥) الرحمن: ٦.

فصل [١١-]

[في صحّة الطبّ وفي الرؤيا]

قوله - تعالى - ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾^(١)، وقوله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾^(٢).

الطبّ^(٣) صحيح، وعلمه ثابت، وطريقه، الروحي. وإنّما أخذوه عن الأنبياء. والطريق إلى حقيقة ذلك بالسمع. ومعرفة الدواء بالتوقيف.

وكان الصادقون - عليهم السلام - يأْمُرُون بعض أصحاب الأمراض باستعمال ما يضر من كان المرض به، فلا يضره، وذلك لعلّهم بانقطاع المرض، وذلك على سبيل المعجز لهم. والصحة، والمرض من الله.

والمرض نوعان: مبتدأ يخلقه الله. وما يخلقه عند سبب. كما قال إبراهيم: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾. أي: من تعدّد مني.

(١) الشعراء: ٨٠.

(٢) الإسراء: ٨٢. وفي (أ) تكملة الآية: ﴿وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

(٣) في (أ): الطيب.

الصَّادِقُ - عليه السلام - في خير: إني^(١) رأيتُ الرَّجُلَ منهمُ الماهرَ في طَبِّهِ، إذا سأَلتهُ، لم يَقِفْ على حدودِ نفسِهِ. وتألِفَ بدنِهِ، وتركِبَ أعضائِهِ. ومجرى الأغذية في جوارِحِهِ، ومُخْرِجُ نَفْسِهِ، وَحَرَكَةُ لِسَانِهِ، ومُسْتَقَرُّ كَلَامِهِ، ونورِ بصرِهِ، وانتشارِ ذَكَرِهِ، واختلافِ شَهَوَاتِهِ، وانسِكَابِ عِبْرَاتِهِ، ومجمَعِ سَمْعِهِ، / ٢١ / وموضعِ عقلِهِ، ومسكنِ روحِهِ، ومُخْرِجِ عطشِهِ، وهَيِّجِ غُموهِ، وأسبابِ سرورِهِ، وعلمِهِ بما حدثَ فيه من بَكمٍ، وصَمَمٍ، وغيرِ ذلكَ، لم يكن - عندهم - أكثرُ من أقاويلَ استحسَنوها، وَعِلَّلَ فيما بينهمُ جُوزُوها^(٢).

ودخل موسى بن جعفر^(٣) - عليهما السلام - على الرَّشِيدِ، فقالَ لَهُ الرَّشِيدُ: يا ابن رسول الله، أَخْبِرْنِي عَنِ الطَّبَائِعِ الْأَزْجِ^(٤).

فقال - عليه السلام -: أَمَّا الرِّيحُ، فَإِنَّهُ مَلَكٌ يُدَارَى. وَأَمَّا الدَّمُ، فَإِنَّهُ عَبْدٌ عاصٍ، وَرَبُّمَا قَتَلَ الْعَبْدُ مَوْلَاهُ. وَأَمَّا الْبَلْغَمُ، فَإِنَّهُ خَصَمٌ جَدِلٌ، إِنْ سَدَدْتَهُ مِنْ جَانِبٍ، انْفَتَحَ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ. وَأَمَّا الْمِرَّةُ، فَإِنَّهَا الْأَرْضُ إِنْ اهْتَزَّتْ، رَجَفَتْ بِمَا فَوْقَهَا.

(١) في (هـ): أبي. بالباء الموحدة من تحت.

(٢) الاحتجاج: ٢: ٨٥.

(٣) عيون أخبار الرضا: ١: ٨١، ٢: ٧٩ باختلاف في اللفظ يسير، علل الشرائع: ١٠٦ - ١٠٧.

الاختصاص: ١٩٨.

(٤) في (ل): الأرض.

فَقَالَ هَارُونُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، تُنْفِقُ عَلَى النَّاسِ مِنْ كُنُوزِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿هُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(١).

قال المفسرون^(٢): يعني الرؤيا الصالحة.

وَقَالَ النَّبِيُّ^(٣) - عَلَيْهِ السَّلَامُ -^(٤): ذَهَبَتِ النُّبُوَّةُ، وَبَقِيََتِ الْمُبَشِّرَاتُ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٥): ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾^(٦). يريد: تعبير

الرؤيا.

وَشَكَرَ اللَّهُ - تَعَالَى -^(٧) يَوْسُفَ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ

الْأَحَادِيثِ﴾^(٨).

(١) يونس: ٦٤.

(٢) الدر المنثور: ٤: ٣٧٤ - ٣٧٥. الجامع لأحكام القرآن: ٨: ٣٥٨.

(٣) مسند أبي يعلى الموصلي: ٧: ٣٨. بزيادة في اللفظ فيه. الدر المنثور: ٤: ٣٧٦ فردوس الأخبار: ٢:

٣٧٠.

(٤) في (ح): صلى الله عليه وآله.

(٥) في جامع البيان: ١٢: ١٥٣ منسوب إلى مجاهد وكذا في الدر المنثور: ٤: ٤٩٩، وفي مجمع البيان:

٣: ٢١٠ منسوب إلى قتادة.

(٦) يوسف: ٦.

(٧) (تعالى) سقطت من (ح).

(٨) يوسف: ١٠١.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَام - ^(١): ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ﴾ ^(٢).
 وَقَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - لِنَبِيِّهِ - عَلَيْهِ السَّلَام - ^(٣): ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي
 أَرَيْنَاكَ﴾ ^(٤). وَقَالَ: ﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ ^(٥).
 وَقَالَ الرُّضَا ^(٦) - عَلَيْهِ السَّلَام -: رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ، وَحْيِي.
 وَقَالَ الْمُرْتَضَى ^(٧): يَجْرَدُ مَنَامَاتِ الْأَنْبِيَاءِ، لَا يُوجِبُ الْعَمَلُ، إِلَّا إِذَا قَارَنَهُ
 وَحْيِي، يَسْمَعُهُ مِنَ الْمَلَكِ، عَلَى الْوَجْهِ الْمَوْجِبِ لِلْعِلْمِ: إِنِّي سَأْرِيكَ فِي مَنَامِكَ وَقَتَ
 كَذَا مَا يَجِبُ أَنْ تَعْمَلَ بِهِ.
 وَذَهَبَ النَّظَامُ إِلَى إِبْطَالِ الرُّؤْيَا كُلِّهَا، مَا خَلَا رُؤْيَا يُوسُفَ، وَرَسُولِ اللَّهِ.
 وَالدَّهْرِيُّ تُبْطِلُ الرُّؤْيَا كُلَّهَا.
 وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ عَلَى التَّصَدِيقِ بِتَأْوِيلِ الرُّؤْيَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَالْإِسْلَامِ.
 وَزَعَمَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّ الرُّؤْيَا هِيَ تَمَنِّي ^(٨) يَقَعُ لِلْإِنْسَانِ، فَيَتَصَوَّرُ لَهُ مَا

(١) (عليه السلام) سقطت من (ح).

(٢) (الصفات: ١٠٢).

(٣) (عليه السلام) سقطت من (ح).

(٤) (الإسراء: ٦٠).

(٥) (الفتح: ٢٧).

(٦) الدر المنثور: ٧: ١٠٤ عن رسول الله (ص)، وكذا في فردوس الأخبار: ٢: ٣٩٩ وهو في الأسماء

والصفات: ١٣٧ منسوب إلى بعض أهل التفسير منهم ابن عباس وعمرو بن عبيد.

(٧) أمالي المرتضى: ٢: ٣٩٤.

(٨) في (ح): مَتَى. وهو تحريف.

يَتَمَنَّى، كَالْإِنْسَانِ يَقْدَرُ فِي نَفْسِهِ شَيْئًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُ فِكْرًا، وَتَخَيُّلاً.

وَسَأَلَ رَجُلٌ مُعَبَّرًا، فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، يَقْتَتِلَانِ، وَتَنَاقَرَتِ الْكَوَاكِبُ فِيمَا بَيْنَهُمَا! فَقَالَ لَهُ: مَعَ أَيُّهُمَا كُنْتَ؟ قَالَ: مَعَ الْقَمَرِ! فَقَرَأَ الْمُعَبِّرُ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾^(١)، كُنْتَ مَعَ الظُّلُمَةِ عَلَى النُّورِ. فَقُتِلَ الرَّجُلُ مَعَ مُعَاوِيَةَ فِي صَفِّينَ.

وَقَالَ رَجُلٌ لِعَلِيٍّ^(٢) بَنِ الْحُسَيْنِ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ -: رَأَيْتُ فِي مَنَامِي، كَأَنِّي أَبُولُ فِي يَدَيَّ! فَقَالَ: تَحْتَكَ مُحَرَّمٌ^(٣). فَنَظَرُوا، فَلَإِذَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ رِضَاعٌ.

وَقَالَ رَجُلٌ لِلرُّضَا^(٤) - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فِي الْمَنَامِ، يَقُولُ لِي: كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا دُفِنَ فِي أَرْضِكُمْ بَغْضِي، وَاسْتُحْفِظْتُمْ وَدِيْعَتِي، وَغُيِّبَ فِي تَرَاكُمُ لَحْيِي؟

فَقَالَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: أَنَا الْمَدْفُونُ فِي أَرْضِكُمْ، وَأَنَا بَضْعَةٌ مِنْ نَبِيِّكُمْ، وَأَنَا الْوَدِيعَةُ، وَاللَّحْمُ. الْخَبَرُ.



(١) الإسراء: ١٢.

(٢) ربيع الأبرار: ٤: ٣٣٧.

(٣) في (ك): محرم. بتشديد الرَّاء.

(٤) عيون أخبار الرضا: ٢: ٢٥٧. باختلاف يسير في اللفظ. أمالي الصدوق: ٥٧.

فصل [-١٢-]

[في معنى العلم الذي أوتي قارون وفي كنوزه]

قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ ^(١).

لم ^(٢) يُقُلْ قَارُونُ: أُوتِيْتُهُ بعِلْمٍ. وليس - في اللُّغَةِ - أن يقال: أُعْطِيْتُ كَيْتَ ^(٣) على علم، أن يكونَ الْعِلْمُ سَبَبًا لِلْعُطِيَةِ على أنَّ الْعِلْمَ كَثِيرٌ فَمِنْ أَيْنَ لَنَا أنَّ الْمُرَادَ بِهِ، الْكِيمِيَاءُ؟

ومعنى الآية: إِنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ بِمَثَلِ ذَلِكَ عَنْ كُلِّ مَنْ يُؤْتِيهِ اللَّهُ مَالًا، أَنَّهُ يَقُولُ مَثَلُ مَا قَالَ قَارُونُ، وَكَمَا قَالَ: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾، رَدًّا عَلَيْهِ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ ﴾ ^(٤). يعني: امْتِحَانٌ، لَا اسْتِخْقَاقٌ. وَلَا تَعَلُّقٌ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿ عِنْدِي ﴾، لِأَنَّهُ يَرِيدُ: أَنَّ هَذَا كَمَا قُلْتُمْ فِيهِ أَرَاهُ، وَأَتَوَقَّعُهُ.

(١) القصص: ٧٨.

(٢) في (ش): ولم. مع الواو.

(٣) في (ك): اعطيتك. وفي (ح): أعطيت كذا.

(٤) الزمر: ٤٩.

وقالت المعتزلة: الكيمياء باطل، لأن أصحابه^(١)، يدعون قلب الجنس. وعندنا أنه من المعجزات، ولا يؤخذ إلا بالوحي، مثل الطب، والتنجيم. وقالوا^(٢): إن موسى علم قارون منها الثلث، وعلم يوشع الثلث، وعلم ابن هارون الثلث، فخدعهما^(٣) قارون.

ويقال^(٤): إن موسى - عليه السلام - سأله امرأته^(٥) شيئاً، فقال: خذي من هذا النبت، فاجعليه على المس، فإنه سيصير ذهباً.

فسمع منه قارون، ونهاها عن ذلك، وأعطاه شيئاً، واشتغل به. وروى عن أمير المؤمنين - عليه السلام - أنه قال: هي أخت النبوة، وعصمة المروءة، والناس يتكلمون فيها بالظاهر، وإنّي لأعرف ظاهرها، وباطنها. وقد نسب إلى أئمتنا - عليهم السلام - في ذلك أشياء. والله أعلم.

٢٢ / قوله - سبحانه - ﴿وَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ

(١) في (أ): أصحاب. من دون الضمير (الماء).

(٢) في الجامع لأحكام القرآن: ١٣: ٣١٥ منسوب هذا القول للنقاش.

(٣) في (ش): خدعهما.

(٤) في الجامع لأحكام القرآن: ١٣: ٣١٥: إن موسى علم أخته التي هي زوج قارون، فأخذه قارون منها.

(٥) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ج): امرأة.

بِالْعُصْبَةِ^(١). يَحْتَمِلُ^(٢) أَنَّ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَام - كَانَ أَخْبَرَ قَارُونَ بِهَلَاكِ قَوْمِ
فِرْعَوْنَ، فَاسْتَسْلَفَ مِنْهُمْ، وَاسْتَعَارَ، فَلَمَّا هَلَكُوا خَلَصَ لَهُ جَمِيعُ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(٣).
لَا يَدُلُّ إِلَّا عَلَى غِنَاهُ.



(١) القصص: ٧٦.

(٢) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ح): يَحْتَمِلُ.

(٣) القصص: ٧٩.

فصل [-١٣-]

[في السحر والعين والحسد]

قوله - تعالى -: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾^(١).

ليس للسحر حقيقة، لأن هذه اللفظة، تدلُّ على بطلان معناها، وآيات القرآن، تدلُّ على كفر فاعله - إذا^(٢) اعتقد صحته - وفسقه، إن لم يعتقده. قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السُّحْرَ﴾^(٣)، وقوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُونَ مَا يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾^(٥)، وقوله: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾^(٦).

(١) الفلق: ٤.

(٢) في (ش): فإذا.

(٣) البقرة: ١٠٢.

(٤) البقرة: ١٠٢.

(٥) البقرة: ١٠٢.

(٦) طه: ٦٩.

فَمَنْ اَعْتَقَدَ قَلْبَ الْحَيَوَانِ مِنْ صُورَةٍ إِلَى صُورَةٍ، وَإِنْ شَاءَ^(١) الْأَجْسَامِ عَلَى وَجْهِ الْاِخْتِرَاعِ، وَطَاعَةَ الْجِنِّ وَالشَّيْطَانِ، وَنَحْوَهَا مِنْ^(٢) زَخَارِفِهِمْ^(٣)، فَقَدْ كَفَرَ. لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُهُ - مَعَ ذَلِكَ - الْعِلْمُ بِصَحَّةِ الْمَعْجَزَاتِ عَلَى النَّبَوَاتِ، لِأَنَّهُ أَجَازَ مِثْلَهُ مِنْ جِهَةِ السَّحْرِ.

وَالَّذِي يَتَحَقَّقُ مِنْ ذَلِكَ وَجْهٌ، مِنْهَا: التَّخْيِيلَاتُ. كَفَعَلَ الْمَشْعَبِذِ، يُرِي الشَّيْءَ بِخِلَافِ مَا هُوَ بِخَفَةِ يَدِهِ. وَمِنْهُ: التَّوَصُّلُ بِالْأَدْوِيَةِ الَّتِي جَرَتْ الْعَادَةُ أَنَّ عِنْدَ شَرْبِهَا يَحْدُثُ حَوَادِثُ. وَمِنْهَا: أَنْ يَدْخُنَ بِمَا يَصُلُّ الدُّخَانُ إِلَى دِمَاقِهَا، فَيُحَدِّثُ نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ. وَمِنْهَا: أَنْ يُؤَلَّدَ لِفِعْلِهِ فِي مَسْحُورٍ^(٤)، بِشَرْطِ الْمَاهِيَةِ. وَمِنْهَا: أَنْ يَفْعَلَ بِالنَّمِيمَةِ مَا يُؤَدِّي إِلَى الضَّرَرِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَفَاسِ الَّذِي...﴾^(٥) السُّورَةُ^(٦).

أَي: مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسَةِ الَّتِي تَكُونُ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ.

(١) فِي (ح): أَنْشَأَ. بِصِيغَةِ الْفِعْلِ الْمَاضِي.

(٢) (ش) وَ (هـ): وَ مِنْ.

(٣) فِي (أ): جَازَ لَهُمْ.

(٤) فِي (ش): مَسْجُور. بِالْجِيمِ الْمَعْجَمَةِ مِنْ تَحْتِ.

(٥) النَّاسِ: ٤، ٥.

(٦) سُورَةُ النَّاسِ: بِرَقْمِ: ١١٤ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

أو قلت: من شرّ ذي الوسواس، وهو الشيطان، كما جاء في الأثر^(١): إنّه يوسوس، فإذا ذكر العبد ربّه، خَسَسَ. فأما ﴿وَالنَّاسِ﴾^(٢) عطفٌ عليه، كأنّه قيل: من الشيطان الذي هذه صفته. أو قلت: من شرّ ذي الوسواس الخناس على العموم. ثم فسّر بقوله: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾^(٣).

قوله سُبْحَانَهُ - حكاية عن يعقوب -: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾^(٤).
قال ابن عباس^(٥)، وقتادة^(٦) والضحاك^(٧)، والسدي^(٨)، والحسن^(٩)،

(١) جمع البيان: ٥: ٥٧١.

(٢) الناس: ٦.

(٣) الناس: ٦.

(٤) يوسف: ٦٧.

(٥) جامع البيان: ١٣: ١٣. أيضاً: جمع البيان: ٣: ٢٤٩. الدر المنثور: ٤: ٥٥٧. الجامع لأحكام القرآن: ٩: ٢٢٦.

(٦) جامع البيان: ١٣: ١٣. أيضاً: جمع البيان: ٣: ٢٤٩. الدر المنثور: ٤: ٥٥٧. التفسير الكبير: ١٨: ١٧٤. الجامع لأحكام القرآن: ٩: ٢٢٦.

(٧) جامع البيان: ١٣: ١٣. أيضاً: جمع البيان: ٣: ٢٤٩. الدر المنثور: ٤: ٥٥٧. الجامع لأحكام القرآن: ٩: ٢٢٦.

(٨) جامع البيان: ١٣: ١٣. أيضاً: جمع البيان: ٣: ٢٤٩.

(٩) جمع البيان: ٣: ٢٤٩. التبيان في تفسير القرآن: ٦: ١٦٧. الدر المنثور: ٤: ٥٥٧. التفسير الكبير: ١٨: ١٧٣.

والبلخي^(١)، والرَّمَّانِي^(٢)، وأكثرُ المفسرينَ: إِنَّهُ خَافَ عَلَيْهِمُ الْعَيْنَ.
وَقَالَ - تعالى - فِي حَقِّ نَبِيِّنَا - عَلَيْهِ السَّلَام - ﴿وَإِنْ يَكَاذِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَيَرْجِعُنَّكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾^(٣)، وقال: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾^(٤).
وقد فَسَّرَهُ الصَّادِقُ^(٥) - عَلَيْهِ السَّلَام - فقال: هُوَ الْعَيْنُ، وَالْعَيْنُ^(٦) حَقٌّ.
وهُوَ قَوْلُ النَّبِيِّ^(٧) - عَلَيْهِ السَّلَام -^(٨) وَقَدْ عَوَّذَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَقَالَ فِي
عَوْدَتِهِ: وَأَعِذُكُمَا مِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَا مَمَّةَ.
وَالْمَعْوِذَتَيْنِ^(٩) لِأَجْلِهِمَا سَمَّيْنَا.
وقد اخْتَلَفَ الْمُتَكَلِّمُونَ فِي ذَلِكَ: فَأَنْكَرَهُ أَبُو عَلِيٍّ^(١٠)، وَأَبُو الْقَاسِمِ^(١١).

(١) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ١٦٧.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ١٦٧.

(٣) القلم: ٥١. والعبارة: «وَقَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ نَبِيِّنَا... بِأَبْصَارِهِمْ» سقطت من (ح).

(٤) الفلق: ٥.

(٥) مجمع البيان: ٣: ٢٤٩.

(٦) في (هـ): للعَيْن.

(٧) مجمع البيان: ٣: ٢٤٩. التبيان في تفسير القرآن: ٦: ١٦٧.

(٨) في (ح): صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

(٩) المعوذتان هما: سورة الفلق، وسورة النَّاس. وكان النَّبِيُّ - عَلَيْهِ السَّلَام - يَعُوذُ بِالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ -
عَلَيْهِمَا السَّلَام - بِالْمَعْوِذَتَيْنِ. انظر: مجمع البيان: ٥: ٥٦٩.

(١٠) هو أبو علي الجبائي. مجمع البيان: ٣: ٢٤٩. التبيان في تفسير القرآن: ٦: ١٦٧.

(١١) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ١٦٧.

وَقَالَ الْجَاهِظُ^(١): لَا يُنْكَرُ أَنْ يَنْفَصَلَ مِنَ الْعَيْنِ الصَّائِبَةُ إِلَى الشَّيْءِ
الْمُسْتَحْسَنِ أَجْزَاءٌ لَطِيفَةٌ، وَيُؤَثَّرُ فِيهِ كَالْخَاصِيبَةِ.

وَلَوْ كَانَ، كَمَا قَالَ، لَمَا اخْتَصَّ ذَلِكَ بِبَعْضِ الْأَشْيَاءِ دُونَ بَعْضٍ، وَلَئِنْ
الْأَجْزَاءَ، جَوَاهِرُ مُتَمَاثِلَةٍ.

وَقَالَ الْحَسَنُ^(٢)، وَالرُّمَّانِيُّ^(٣)، وَالْقَاضِي^(٤): إِنَّ الْعَيْنَ تَحْصُلُ بِالْعَادَةِ مِنْ فِعْلِ
اللَّهِ، كَمَا يَحْصُلُ الشُّفَاءُ عِنْدَ الْأَدْوِيَةِ. وَهُوَ اخْتِيَارُ الْمُرْتَضَى^(٥).

وَقَالَ الطُّوسِيُّ^(٦): لَيْسَ يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَجْرَى الْعَادَةِ، بِضَرْبٍ مِنَ الْمَصْلَحَةِ أَنَّهُ
مَتَى مَا نَظَرَ إِنْسَانٌ إِلَى غَيْرِهِ عَلَى وَجْهِ مَخْصُوصٍ، اقْتَضَتْ الْمَصْلَحَةُ إِهْلَاكَهُ، أَوْ
إِمْرَاضَهُ، أَوْ إِتْلَافَ مَالِهِ.



(١) قول الجاهظ - هذا - بنصّه في: مجمع البيان: ٣: ٢٤٩.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ١٦٧.

(٣) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ١٦٧.

(٤) مجمع البيان: ٣: ٢٤٩، التفسير الكبير: ١٨: ١٧٣.

(٥) مجمع البيان: ٣: ٢٤٩.

(٦) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ١٦٧.

فصل [-١٤-]

[في معنى اللوح وفي معنى أم الكتاب]

قوله - تعالى -: ﴿ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾^(١).

قال أبو جعفر^(٢) بن بابويه: اللوح، والقلم، ملكان.

والملائكة لا تُسَمَّى أعلاماً، ولا ألواحاً.

وَقَالَ الشَّيْخُ الْمَفِيدُ^(٣): اللوح، كتاب الله - تعالى - كُتِبَ فِيهِ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. يَوْضَحُهُ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾^(٤) والقلم هو ما أَحَدَّثَ اللَّهُ بِهِ^(٥) الكتابةَ فيه، وجعل اللوح، أصلاً، لتعرف الملائكة منه من غيب، أو وحي. وإِنَّمَا سَمِيَ اللُّوحُ الَّذِي يُكْتُبُ فِيهِ، لِأَنَّهُ نُحِثَ عَلَى تِلْكَ الْهَيَاةِ. وَكَذَلِكَ

(١) البروج: ٢٢.

(٢) شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٢٢٠. معاني الأخبار: ٣٠ عن جعفر الصادق (ع).

(٣) شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٢٢٠.

(٤) الأنبياء: ١٠٥.

(٥) (به) سقطت من (ح).

قوله: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾^(١). ورجلٌ عظيمُ الألواح، أي: اليدين، والرجلين. ولو عني به ما ذكره، لعرفه، لأنه مقصودٌ، مخصوصٌ. وإنما ينكرُ الشيء متى ما كان ذا جنسٍ، وأشباه.

وأصل اللوح: التلألؤ. من: لاح الشيء: يلوح، ولاح البرق. فمعنى ﴿لَوْحٌ مَحْفُوظٌ﴾: إنه قرآن شريفٌ / ٢٣ / في نظمٍ عجيبٍ، يتلألاً حسناً محفوظاً.

قوله - سبحانه - : ﴿وَإِنَّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾^(٢). إنه لا تعلق فيه. وأُمُّ كلِّ شيء: أصله. يقال: أُمُّ القرى، أُمُّ الولد، ﴿فَأَمَّهُ هَاطِئَةً﴾^(٣). وقد فسره^(٤) الله - تعالى - فقال: ﴿مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٥).

قوله - سبحانه - : ﴿وَمَا مِنْ غَائِيَةٍ فِي السَّمَاءِ﴾^(٦).

(١) القمر: ١٣.

(٢) الزخرف: ٤.

(٣) القارعة: ٩.

(٤) في (ها): فسر.

(٥) آل عمران: ٧.

(٦) النمل: ٧٥.

فَاللُّوحُ لَا يُسَمَّى كِتَابًا، وَإِذَا فُتِّرَ بِهِ، فَالْتَمَعْتُ بِهِ عَادِلٌ عَنِ الظَّاهِرِ، ثُمَّ: إِنَّ اللَّهَ وَصَفَهُ^(١) بِذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ، فَقَالَ: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾^(٢) ﴿حَمِّ، وَالْكِتَابِ السُّمِينِ﴾^(٣). فَكَأَنَّهُ قَالَ: لَا غَائِبَةَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، إِلَّا وَذَلِكَ مُبَيَّنٌّ فِي الْقُرْآنِ، لِقَوْلِهِ: ﴿مَا قَرَرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٤). وَيَدُلُّ عَلَيْهِ عَقِيبُ الْآيَةِ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ﴾^(٥).



قوله: سبحانه: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ﴾^(٦).
وَاللُّوحُ لَا يُسَمَّى إِمَامًا، وَيُسَمَّى الْقُرْآنُ إِمَامًا. وَقَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي كَيْفِيَّةِ ذَلِكَ:

فَقَالَ الْبَلْخِيُّ^(٧)، وَالْجَبَّارِيُّ، وَالرَّمَّانِيُّ: إِنَّهُ عَلَامَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ لِلْمَلَائِكَةِ، إِذَا

(١) فِي (ش) وَ(ك) وَ(هـ) وَ(أ): وَضَعَهُ. بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةُ بَعْدَهَا عَيْنُ مَهْمَلَةٍ.

(٢) إِبْرَاهِيمَ: ١.

(٣) الزَّخْرَفُ: ١، ٢.

(٤) الْأَنْعَامُ: ٣٨.

(٥) النَّعْمُ: ٧٦.

(٦) يَسَ: ١٢.

(٧) أَوَائِلُ الْمَقَالَاتِ: ١٥٨ - ١٥٩ وَفِيهِ: وَهَذَا مَذْهَبُ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَلْخِيِّ وَجَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعَدْلِ.

وَفِي الْبَدَةِ وَالتَّارِيخِ لِأَبِي زَيْدِ الْبَلْخِيِّ: ١: ١٦١: «قَالَ أَكْثَرُ الْمُفْسِّرِينَ».

سَمِعُوهَا، عَلِمُوا أَنَّهُ أَحْدَثَ أَمْرًا، كَمَا قَالَ: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ إِنِّي نَارٌ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(١).

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْأَمْرَ خَاصٌّ فِي الْمَوْجُودِينَ الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾^(٢)، وَمِنْ جَرَى مَجْرَاهُمْ لِأَنَّهُ لَا يُؤْمَرُ الْمَعْدُومُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّهُ أَمَرَ لِلْمَعْدُومِ مِنْ حَيْثُ هُوَ - اللَّهُ - مَعْلُومٌ، فَصَحَّ أَنْ يُؤْمَرَ، فَيَكُونُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّهَا خَاصَّةٌ فِي الْمَوْجُودَاتِ مِنْ إِمَانَةِ الْأَحْيَاءِ، وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَمَا جَرَى مَجْرَى ذَلِكَ.

[و] ^(٣) الْجَوَابُ، الْأَوَّلُ، صَحِيحٌ، وَمَا سِوَاهُ مُغْتَرَضٌ عَلَيْهِ.

وَقَالَ الطُّوسِيُّ^(٤): إِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ الْمَثَلِ، وَمَعْنَاهُ: إِنَّ^(٥) مَنْزِلَةَ الْفِعْلِ فِي السُّهُولَةِ، وَانْتِفَاءِ التَّعَدُّرِ، كَمَنْزِلَةِ مَا يُقَالُ لَهُ: كُنْ، فَيَكُونُ. كَمَا يُقَالُ: قَالَ فُلَانٌ بِرَأْسِهِ: كَذَا، وَقَالَ بِيَدِهِ: كَذَا. إِذَا حَرَّكَ رَأْسَهُ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ. وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا فِي الْحَقِيقَةِ^(٦)، قَالَ

(١) فَصَّلْتُ: ١١.

(٢) الْبَقَرَةُ: ٦٥.

(٣) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ (ش) وَ(ك) وَ(هـ) وَ(أ).

(٤) التَّبْيَانُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ: ٩: ١١٠ - ١١١.

(٥) فِي (ك): إِنَّهُ.

(٦) فِي (أ): فِي الْحَقِيقَةِ قَدَر.

الشَّاعِرُ^(١):

إِمْتَلَأَ الْحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي مَهْلًا رُوَيْدًا قَدْ مَلَأَتْ بَطْنِي
وهذا وجهٌ صحيحٌ.



(١) الكامل: ٩١: ٢ وفيه: «قد حَقَّ الحَوْضُ... سَلًا رُوَيْدًا» ولم ينسبه. مجالس ثعلب: ١: ١٥٨ وفيه: «سَلًا رُوَيْدًا الزَّاهِر: ٢: ٣٣٥ منسوباً إلى أبي النجم وفيه: «سَلًا رُوَيْدًا...» الخصائص: ٢٣: ١ ولم ينسبه: متشابه القرآن: ١: ١٠٨ بلا عزو. الثَّيَّان في تفسير القرآن: ١: ٤٣١، ٨: ٨٥ بلا عزو.

فصل [-١٥-]

[في معنى الكرسي وفي الروح]

قوله - تعالى ^(١) - ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ^(٢).

إن كان أراد كُرْسِيًّا بعينه، فهو كما قال - تعالى - ويجوز أن يكون مقدرة ^(٣)، وسلطانه. يُقال: فلان كريم الكرسي. أي: الأصل. قال الشاعر ^(٤):

نَحَفْتُ بِهِ بَيْضَ الْوَجْهِ وَعَصْبَةً كُرَاسِي بِالْأَحْدَاثِ حِينَ تَنْوُبُ

ويقال: وَسِعَ عِلْمُهُ السَّمَاوَاتِ، وَالْأَرْضَ. والكراسي ^(٥): العلماء.

(١) في (ح): سبحانه.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

(٣) في (هـ): بقدرته.

(٤) جامع البيان: ٣: ١١. نكت الانتصار لنقل القرآن: ١٥٣ التبيان في تفسير القرآن: ٢: ٣٠٩.

أساس البلاغة (كرس). يجمع البيان: ١: ٣٦١ وفيه: «نحفت بهم... تنوب» وكلها بلا عزو،

وكذا: في البدء والتاريخ: ١: ١٦٧. الجامع لأحكام القرآن: ٣: ٢٧٧. الأساس لعقائد

الأكياس: ٧٧ معزو إلى أبي ذؤيب الهذلي وليس في ديوانه.

(٥) أساس البلاغة (كرس). لسان العرب (كرس).

وَالْكَرَّاسَةُ: جُزْءٌ مِنَ الْعِلْمِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(١).

اختلف النَّاسُ فِي الرُّوحِ: أَنَّهُ جِسْمٌ، أَوْ عَرَضٌ؟

ولغة العربِ، تدلُّ عليهما. قولهم: كُلُّ ذِي رُوحٍ، فحكمها كذا. وقولهم -

فَيَمُنْ مَاتَ -: خَرَجَتْ مِنْهُ الرُّوحُ. وهذه صُورَةٌ لَمْ تَلْجُهَا^(٢) الرُّوحُ.

وَقَالَ الْبَلْخِيُّ^(٣): هُوَ الْحَيَاةُ الَّتِي يَتَهَيَّأُ^(٤) بِهَا الْمَحَلُّ، لِوُجُودِ الْقُدْرَةِ، وَالْعِلْمِ،

وَالِاخْتِيَارِ. وَاخْتَارَهُ الشَّيْخُ الْمَفِيدُ^(٥).

وَقَالَ أَكْثَرُ الْمُتَكَلِّمِينَ: إِنَّهُ جِسْمٌ، رَقِيقٌ. هَوَانِي^(٦) مَرْدَدٌ فِي مَخَارِقِ الْحَيَوَانِ،

بِهَا يَتَمُّ كَوْنُ الْحَيِّ حَيًّا^(٧). وَاخْتَارَهُ الْمُرْتَضَى^(٨)، وَالطُّوسِيُّ^(٩). يَوْضَحُ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

(١) الإِسْرَاءُ: ٨٥.

(٢) فِي (ش) وَ(ك) وَ(أ): تَلْجُهَا.

(٣) مَجْمَعُ الْبَيَانِ: ٣: ٤٣٧. الْبَدءُ وَالتَّارِيخُ: ٢: ١٢٦، ١٢٩.

(٤) فِي (ش) وَ(ك) وَ(أ): تَهَيَّأَ. بَنَاءُ الْمُضَارَعَةِ الْمُتَّاءِ مِنْ فَوْقِ.

(٥) شَرْحُ عِفَانَدِ الصَّدُوقِ أَوْ تَصْحِيحُ الْإِعْتِقَادِ: ٢٢٥.

(٦) فِي (هـ): هَوَاءٌ. مِنْ دُونَ يَاءِ التَّنْسِبِ.

(٧) (حَيًّا) سَاقِطَةٌ مِنْ (أ).

(٨) أَمَالِي الْمُرْتَضَى: ١: ١٢.

(٩) التَّيْبِيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ: ٦: ٥١٥.

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾^(١). والبلوغُ، فعلٌ، والفعلُ لا يتأتى من العَرَضِ.

وَقَالَ يُونَانِي^(٢) لِحَبْلِهِمْ: أَخْبِرْنِي عَنْ مَعْبُودِكَ هَذَا، أَرَأَيْتَهُ قَطُّ؟

قَالَ: لَا. قَالَ: فَلِمَسْتُهُ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَشَمَمْتُهُ؟

قَالَ: لَا. قَالَ: فَذُقْتُهُ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَسَمِعْتُهُ؟

قَالَ: لَا. قَالَ: فَمِنْ أَيْنَ عَرَفْتُهُ؟

قَالَ: جَهَنَّمُ: فَهَلْ رَأَيْتَ رُوحَكَ، أَوْ شَمَمْتُهُ، أَوْ ذُقْتُهُ، أَوْ سَمِعْتُهُ، أَوْ لَمَسْتُهُ؟

قَالَ: لَا. قَالَ: فَكَيْفَ عَرَفْتَ أَنَّ لَكَ رُوحاً؟



(١) الواقعة: ٨٣.

(٢) الاحتجاج: ١: ٨٤. الرد على الزنادقة والجهمية لأحمد بن حنبل (ضمن كتاب عقائد السلف):

فصل [-١٦-]

[المعارف ليست ضرورية إلا لمعرفة الله]

قوله - تعالى - : ﴿فَهُمْ فِي رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾^(١).

يدلُّ على بطلان قول من يقول: إنَّ المعارفَ، ضروريةٌ، لأنَّه - تعالى - أخبرَ أنَّهم في شكِّهم يتردَّدونَ. وهذه صفةُ الشَّاكِّ، المتحرِّر في دينه، الَّذي ليسَ على بصيرةٍ من أمره.

قوله - سبحانه - : ﴿هُمْ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(٢).

يدلُّ على بطلان قول من قال: إنَّ المعارفَ، ضروريةٌ، لأنَّ الله - تعالى - أخبرَ عنهم أنَّهم لم يَكُونُوا مُشْرِكِينَ عندَ أنفسهم في دارِ الدُّنيا، وأنَّ اللهَ كَذَّبَهُمْ،

(١) التوبة: ٤٥.

(٢) الأنعام: ٢٣.

وَأَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَإِنْ اعْتَقَدُوا خِلَافَهُ فِي الدُّنْيَا.
فَأَمَّا مَعَارِفُهُمْ فِي الْآخِرَةِ [فهي] ^(١) ضَرُورِيَّةٌ، حَاصِلَةٌ عَلَى وَجْهِ هُمْ
مُلْجَأُونَ إِلَيْهَا. فَعَلَى الرَّجْهَيْنِ جَمِيعًا، لَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ مِنْهُمْ الْقَبِيحُ لَا مُحَالَةً.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُبْلِكُونَ إِلَّا
أَنفُسَهُمْ﴾ ^(٢). فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى قَوْلٍ مِنْ قَالَ: إِنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ، ضَرُورِيَّةٌ، وَإِنَّ مَنْ
لَا يَعْرِفُ [اللَّهَ، وَلَا يَعْرِفُ] ^(٣) نَبِيَّةً، لَا ^(٤) حُجَّةَ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى / ٢٤ / بَيَّنَّ أَنَّ
هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ، قَدْ أَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ، بَنَهِبَهُمْ عَنْ قَبُولِ الْقُرْآنِ، وَتَبَاعُدِهِمْ عَنْهُ،
وَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ بِأَهْلَاكِ أَنْفُسِهِمْ بِذَلِكَ. فَلَوْ كَانَ مَنْ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ. وَلَا نَبِيَّةً، وَلَا
دِينَهُ، لَا ^(٥) حُجَّةَ عَلَيْهِ، لَكَانَ هَؤُلَاءِ مَعْذُورِينَ، وَلَمْ يَكُونُوا هَالِكِينَ. وَذَلِكَ
خِلَافُ مَا ^(٦) نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ.

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) الأنعام: ٢٦.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٤) في (ش): ولا، مع الواو.

(٥) في (ش): ولا، مع الواو.

(٦) في (هـ): مَنْ

(٧) (به): ساقطة من (أ).

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُخْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(١).

في الآية دلالة على أن المعارف، ليست ضرورية، لما حَسِبُوا غيرَ ذلك، لأنَّ الضروريات، لا شكَّ فيها.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٢).

دالٌّ على أن معرفة الله، باكتساب، لأنها لو كانت ضرورية لَمَا أَمَرَ بِهَا.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾^(٣).

فيها دلالة على فساد قول من يقول: إنَّ المعارف، ضرورة، لأنها لو كانت ضرورة، لما حاجَّ إبراهيمُ للكافر، ولا ذكرَ له الدَّلالاتِ على إثباتِ الصَّانع، وفيها دلالة على فساد التَّقليد، وحسنِ المحاجَّة، والجدالِ.



(١) الكهف: ١٠٤.

(٢) محمد: ١٩.

(٣) البقرة: ٢٥٩.

فصل [-١٧-]

[في الحث على النظر والتدبر]

إِعلم أَنَّ اللهَ - تعالى - قد حثَّ على النَّظَرِ في طريقِ معرفته، فقال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾^(١)، ﴿أَفَلَا يَتَّبِعُونَ﴾^(٢)، ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾^(٣)، ﴿أَفَلَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤)، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٥)، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٦)، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٧)، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٨)، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

(١) الغاشية: ١٧.

(٢) القصص: ٧٢، الزخرف: ٥١، الذَّارِيَات: ٢١.

(٣) السجدة: ٢٦.

(٤) يونس: ٣، هود: ٢٤، ٣٠، النحل: ١٧، المؤمنون: ٨٥، الصافات: ١٥٥.

(٥) البقرة: ٧٦. وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم.

(٦) الرعد: ٤.

(٧) الرعد: ٣، الروم: ٢١، الزمر: ٤٢، الجاثية: ١٣.

(٨) يونس: ٦٧.

(٩) النمل: ٥٢.

(١٠) الحجر: ٧٧، العنكبوت: ٤٤.

لِلْمُتَوَسِّمِينَ^(١)، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾^(٢)، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً﴾^(٣)، ﴿إِلَّا تَذِكْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾^(٤)، ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾^(٥)، ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ﴾^(٦)، ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ﴾^(٧)، ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾^(٨)، ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾^(٩)، ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾^(١٠)، ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ﴾^(١١)، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ﴾^(١٢).

وَقَالَ النَّبِيُّ^(١٣) - عليه السلام -: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ، فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ. وقال^(١٤) - عليه السلام -: أَعْرِفُكُمْ بِنَفْسِهِ، أَعْرِفُكُمْ بِرَبِّهِ.

(١) الحجر: ٧٥.

(٢) ق: ٣٧.

(٣) العنكبوت: ٥١.

(٤) طه: ٣.

(٥) الروم: ٨.

(٦) ق: ٦.

(٧) الأعراف: ١٨٥.

(٨) يونس: ١٠١.

(٩) عبس: ٢٤.

(١٠) الطارق: ٥.

(١١) الغاشية: ١٧.

(١٢) الفرقان: ٤٥.

(١٣) الاحتجاج: ١: ٨٧. غرر الحكم ودرر الكلم للآمدني: ٢٣.

(١٤) الاحتجاج: ١: ٨٧. أمالي المرتضى: ٢: ٣٢٩. غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٣.

وَقُرْبَ^(١) إِلَى زَيْنِ الْعَابِدِينَ - عَلَيْهِ السَّلَام - طُهُورُهُ فِي وَقْتِ وَزْدِهِ، فَوْضَعَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ، لِيَتَوَضَّأَ، فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَجَعَلَ يَفْكُرُ فِي خَلْقِهَا، حَتَّى أَضْبَحَ.

وَتَرْبَى^(٢) إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَام - فِي غَارٍ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْهُ، رَأَى الْكَوَاكِبَ، ثُمَّ الْقَمَرَ، ثُمَّ الشَّمْسَ، فَقَالَ - عَلَى سَبِيلِ الْفِكْرِ، أَوْ قَبْلَ الْبُلُوغِ، أَوْ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ، أَوْ عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِفْهَامِ -: ﴿هَذَا رَبِّي﴾^(٣).
قَوْلُ^(٤) الشَّاعِرِ^(٥):

مَا رَاحَ يَوْمٌ عَلَى حَيٍّ وَلَا يَنْكُرَا إِلَّا رَأَى عِزَّةً فِيهِ إِنْ اِعْتَبَرَا^(٦)
وَجَاءَ سَوْفِطَانِي^(٧) إِلَى مَتَكَلِّمٍ مُنَاطِرًا - وَهُوَ رَاكِبٌ - فَأَمَرَ الْمَتَكَلِّمَ أَنْ تُغَيِّبَ^(٨) دَابَّتَهُ، فَلَمَّا أَرَادَ الْإِنْصِرَافَ، لَمْ يَجِدْهَا، فَقَالَ لِلْمَتَكَلِّمِ: فَقَدْتُ دَابَّتِي! فَقَالَ: أَوَرَأَيْتَ جِئْتُ؟ فَلَعَلَّكَ جِئْتَ رَاجِلًا، وَتَحَيَّلَ إِلَيْكَ الرُّكُوبُ، أَوْ^(٩) تَكُونُ

(١) الاحتجاج: ١: ٨٧.

(٢) في (ك): تَرَى.

(٣) الأنعام: ٧٦، ٧٧، ٧٨.

(٤) (قول) سقطت من (هـ) و(أ) و(ج). وفي (ح): شاعر. من دون (أل).

(٥) الكامل: ٢: ١٤ معزوأ في جملة أبيات إلى ابن عيينة.

(٦) في (هـ): مَا رَاحَ يَوْمًا.

(٧) فرق وطبقات المعتزلة: ٩٤ منسوباً إلى أبي القاسم البلخي.

(٨) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يَغَيِّبُ. بياض المضارعة المثناة من تحت.

(٩) في (ش) و(ك) و(أ): وَتَكُونُ. مع الواو.

ظاناً، أو ناسياً؟

قال: لستَ بِنَائِمٍ، وَلَا مَغْلُوبٍ!

فقال المتكلمُ: كَيْفَ تَدَّعِي أَنَّهُ لَا حَقِيقَةَ لشيءٍ، وَأَنَّ الْأَشْيَاءَ بَظَنُّ،

وَبِحَسْبٍ، وَأَنَّ حَالَ الْيَقْظَانِ^(١) كَحَالِ النَّائِمِ!

قال: فوجمَ السُّوفِسْطَانِي^(٢)، وَرَجَعَ عَنْ مَقَالِهِ^(٣).

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾^(٤).

قال ذلك لقوم، كانوا غيرَ مقرِّينَ، بما أُخْبِرُوا به من شأنِ الأممِ، قبلهم،

لأنَّ الكثيرَ منهم، كَانَ مَقَرّاً بِذَلِكَ. وَمَنْ كَانَ مُنْكَرّاً مِنْهُمْ، فَإِنَّهُ دُعِيَ - بِهَذِهِ الْآيَةِ -

إِلَى النَّظَرِ، وَالتَّدَبُّرِ، ليعرفَ، بِذَلِكَ مَا عَرَفَهُ غَيْرُهُ.

وسأل ابنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ^(٥)، الصَّادِقَ - عَلَيْهِ السَّلَام - دليلاً على حدوثِ^(٦)

العالمِ.

(١) في (هـ): اليقضان. بالضاد المعجمة.

(٢) في (هـ): السوفسطاني.

(٣) فرق وطبقات المعتزلة: ٩٤. منسوباً إلى أبي القاسم البلخي.

(٤) الأنعام: ٦.

(٥) التوحيد: ٢٩٧. الكافي: ٧٧. الاحتجاج: ٢: ٧٦.

(٦) في (ش) و(ك) و(أ): حدث.

فقال - عليه السلام - ما وجدتُ شيئاً صغيراً، ولا كبيراً، إلّا وضُمَّ إليه مثله، صارَ أكبر، وفي ذلك زوالٌ، وانتقالٌ عن الحالة الأولى، ولو كانَ قديماً لما زال، ولا حالٌ، لأنَّ الذي يزولُ، ويحوّلُ، يجوزُ أن يوجدَ، ويبطلَ، فيكونُ وجوده بعدَ عدمه [دخولاً]^(١) في الحديث، وفي كونه في الأزَلِ دخوله في القَدَم، ولن يجتمع صفةُ الأزَلِ، والحديث، في شيء واحد.

وَقَالَ [الصَّادِق] ^(٢) - عليه السلام - لابن أبي العوجاء - وقد سمع منه: لستُ بمصنوع -: فلو لم تكن مصنوعاً، كيف كنتَ تكونُ؟
وقيلَ ^(٣) للرُّضَا ^(٤) - عليه السلام -: ما الدليلُ على حدوثِ ^(٥) العالم؟
قال: أنتَ لم تكنَ ثمَّ كنتَ، وقد علمتَ أنَّك [لا] ^(٦) تكونُ ^(٧) نفسك، ولا كونَكَ من هو مثلكَ.

وأصغى الباقر ^(٨) - عليه السلام - إلى إتحالِ بعضِ المعطَّلَةِ، ثمَّ قال:

(١) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ). والخبر في التوحيد: ٢٩٣. الكافي ١: ٧٦، الاحتجاج: ٢: ٧٢.

(٣) التوحيد: ٢٩٣. أمالي الصدوق: ٣١٤. الاحتجاج: ٢: ١٧١. الإرشاد: ٣١٦.

(٤) في (ك) و(أ): الرضا. من دون حرف الجر (اللام).

(٥) في (ش) و(ك) و(أ): حدث.

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها المقام.

(٧) في (ك): تكن.

(٨) التوحيد: ٢٥ - ٢٥١ بلفظ مختلف. الاحتجاج: ١: ٨٩.

أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ مَا تَقُولُهُ، وَتُثْبِتُهُ مِنْ هَذِهِ، حَقًّا يَضُرُّنَا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُهُ^(١) حَقًّا، وَمَا تَقُولُهُ أَنْتَ بَاطِلًا، يُمَكِّنُكَ أَنْ تَسْتَقْبَلَ الْعَمَلَ بَعْدَ الْمَوْتِ؟ قَالَ: لَا.

قال: فأني الحالين أفضل عِنْدَكَ؟ [حَالٌ تُوْجَدُ عِنْدَكَ]^(٢) لِلْحَاجَةِ إِلَيْهَا، أَوْ حَالٌ تُخْزِي، وَتُورِثُ النَّدَمَ.

وحسبُ العاقلِ، هذا، من عِزِّ أوليَاءِ الله، وَخِزْيِ أعدائِهِ.

شعر^(٣):

جَمِيعُ مَا نَشْهَدُهُ مُؤَلَّفٌ مُرَكَّبٌ، مَنْوَعٌ، مُصَنَّفٌ^(٤)



(١) في (ك): تقوله. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٣) (شعر) ساقطة من (أ). وهي في (هـ): شاعر.

(٤) لم نقف على قائله ولا مورد أخذه.

فصل [- ١٨ -]

[في كون العاقل مطالباً بالحجة وفي ذم التقليد]

قوله - تعالى -: ﴿لَمْ يُخَاجُنْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(١).

فيها دلالة على أن العاقل، لا يعذر في الإقامة على الدعوى^(٢) بغير حجة، لما^(٣) فيه من البيان^(٤) على الفساد، والانتقاض، ولأن العقل طريق إلى العلم، فكيف يضل عن الرشد من قد جعل إليه السبيل؟

قوله - سبحانه -: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ الآية^(٥).

(١) آل عمران: ٦٥.

(٢) في (ل): الذنى.

(٣) في (ش) و(ك) و(ل) ها.

(٤) في (ح): البيان. بنون موحدة من فوق قبل الألف. وهو محريف.

(٥) آل عمران: ٦٤، وتامها: ﴿أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَلَا تَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَ عَدِيُّ^(١) بْنُ حَاتِمٍ: مَا كُنَّا^(٢) نَعْبُدُهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

فَقَالَ - عَلَيْهِ السَّلَام -: أَمَا^(٣) كَانُوا يُحِلُّونَ لَكُمْ، وَيُحَرِّمُونَ، فَتَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِمْ؟ قَالَ: نَعَمْ.

فَقَالَ - عَلَيْهِ السَّلَام -: هُوَ ذَاكَ.

الصَّادِقُ^(٤) - عَلَيْهِ السَّلَام - فِي هَذِهِ الْآيَةِ: وَاللَّهُ مَا صَلُّوا^(٥)، وَلَا صَامُوا، وَلَكِنْ أَحَلُّوا لَهُمْ حَرَامًا، وَحَرَّمُوا عَلَيْهِمْ حَلَالًا، فَعَبَدُوهُمْ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.



قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ الْآيَتَانِ^(٦).

(١) المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب - عليه السلام -: ١٣٩. مجمع البيان: ١: ٤٥٥.

(٢) في (أ): أَكُنَّا. مع همزة الاستفهام

(٣) (أنا) ساقطة من (أ).

(٤) الكافي: ١: ٥٣، ٢: ٣٩٨. شرح عقائد الصُّدُوقِ أو تصحيح الاعتقاد: ٢١٩ مجمع البيان: ١:

٤٥٥.

(٥) في (أ): أَصَلُّوا

(٦) الْآيَتَانِ: ١٧٠، ١٧١ من سورة البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْقَيْنَا

عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَفْقَهُونَ شَيْئًا وَلَا يَتَذَكَّرُونَ. وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ

بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ هُمُ لَا يَفْقَهُونَ﴾

قال ابن عباس^(١) - في هذه^(٢) الآية -: دعا النبي - عليه السلام - الكفار، واليهود، إلى الإسلام، فقالوا^(٣): بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا. الصادق^(٤) - عليه السلام - من أخذ دينه من أفواه الرجال، أزالته الرجال، ومن أخذ دينه من الكتاب، والسنة، زالت الجبال، ولم يزل. إن الله - تعالى - ذمهم على تقليد آبائهم، وبخهم على ذلك، ولو جاز التقليد، لم يتوجه^(٥) إليهم توبيخ، ولا لوم. وقد ذم الله التقليد في آيات: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(٦)، ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾^(٧)، ﴿قُلِمَ تُحَاجُّونَ فِيهَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾^(٨)، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٩)، ﴿وَلَا تَقِفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾^(١٠)، ﴿وَلَيْتَنِ اتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي﴾^(١١). وحكى

(١) مجمع البيان: ١: ٢٥٤. الدر المنثور: ١: ٤٠٥. الجامع لأحكام القرآن: ٢: ٢١٠.

(٢) (هذه) ساقطة من (أ).

(٣) في (ك): فقال.

(٤) شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٢١٩.

(٥) في (أ): نتوجه. بنون المضارعة المؤخدة.

(٦) الحق: ٣.

(٧) يونس: ٣٦.

(٨) آل عمران: ٦٦.

(٩) الأنعام: ١٠٤.

(١٠) الإسراء: ٣٦.

(١١) البقرة: ١٢٠.

عن إبراهيم - عليه السلام - : ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ؟ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ : لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾^(١).



فصل [- ١٩ -]

[في معرفة الله]

قوله - تعالى -: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(١).

وقيل للنبي^(٢) - عليه السلام - : بَمَ^(٣) عرفت ربك؟ قال^(٤): بما عرّفني ربي.

قيل: وكيف عرّفك؟

قال: لا تُشبهه صورة، ولا يُحسّ^(٥) بالحواس، ولا يُقاس بقياس^(٦)

الناس^(٧).

وقال - عليه السلام - لآخر -: بالنوم مرة، وباليقظة أخرى، فلو لا مدبر،

وصانع، يأتي بأحد هما مرة، وبالأخر، أخرى، لبقيت على صفة واحدة، فلما

(١) الذاريات: ٢١.

(٢) الكافي: ١: ٨٦. التوحيد: ٢٨٥. الهداية: ٤. أمالي المرتضى: ١: ١٤٩.

(٣) في (هـ): بَمَ.

(٤) (قال): ساقطة من (أ).

(٥) في (هـ): يُحَسّ.

(٦) (بقياس الناس): ساقطة من (أ).

(٧) في (هـ): بالناس.

رأيتُ زوالَ الصِّفَةِ الأولى، وحدوثَ الصِّفَةِ الأخرى، عرفتُ أَنَّهُ لأجلِ مدبِّرِ صانعٍ فَعَلَهُ.

وقال^(١) - عليه السلام - لآخرَ -: بفسخِ العزائمِ، وحلِّ العقودِ.

وقال^(٢) - عليه السلام -: إعرفوا اللهَ بالله. أي: ينصبُ أدلَّتِهِ على نفسه.

وقيلَ للصَّادق^(٣) - عليه السلام -: ما الدَّلِيلُ على أَنَّ للعالمَ صانعاً؟ قال:

أكبرُ الأدلَّةِ، في نفسي، لأنِّي وجدتها لا^(٤) تعدو أحدَ أمرين: إمَّا أن أكونَ خلقتها، وأنا موجودٌ، وإيجادُ الموجودِ، محالٌ. وإمَّا أن أكونَ خلقتها، وأنا معدومٌ، فكيفَ يخلقُ لا شيءٌ؟ فلمَّا رأيتها فاسدينِ مِنَ الجهتينِ جميعاً، علمتُ أَنَّ لي صانعاً، ومدبِّراً.

عُمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الخراساني: قَالَ الرُّضَا^(٥) - عليه السلام - للزُّنْدِيقِ الَّذِي سَأَلَهُ

عَنِ الدَّلِيلِ^(٦) عَلَى اللَّهِ - تَعَالَى -: إِنِّي لَمَّا نَظَرْتُ إِلَى جَسَدِي، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ^(٧) زِيَادَةٌ،

(١) الخصال: ١: ٣٣ باختلاف يسير في اللفظ. وفي التوحيد: ٢٨٨، ٢٨٩ عن أمير المؤمنين عليه

السلام في جملة حديث. البدء والتاريخ: ١: ٧٢ منسوبة إلى عالم من بني إسرائيل.

(٢) الكافي: ١: ٨٥. التوحيد: ٢٨٢ عن أمير المؤمنين (ع) في جملة حديث.

(٣) التوحيد: ٢٩٠.

(٤) العبارة: «لا تعدو... خلقتها» ساقطة من (أ).

(٥) الكافي: ١: ٧٨. التوحيد: ٢٥١، عيون أخبار الرضا: ١: ١٣٢. الاحتجاج: ٢: ١٧١ - ١٧٢.

(٦) في (أ): الذي ليل.

(٧) في (ش) و(هـ): فيها.

ولا نقصان في العرض والطول، ودفع المكاره عنه، وجر المنافع إليه، علمت أن لهذا البنيان بانياً، فأقررت - مع ما أرى من دَوْرَانِ الفلك - بقدرته، وإنشاء السحاب، وتصريف الرياح^(١)، ومجرى الشمس، والقمر، والنجوم، وغير ذلك من الآيات البيّنات، علمت أن لها مقدراً، ومُنشئاً.

هشام بن الحكم: قَالَ الصّادق^(٢) - عليه السلام - لرجلٍ من الزنادقة -: الدليل^(٣) على الله، وجود الأفاعيل، التي دلت على أن صانعاً صنعها.

وقال^(٤) لآخر: إِنِّي لَأَرَأَيْتُ حُصْنًا مُنْزَقًا، أَمْلَسَ، لَا قُرْجَ فِيهِ، وَلَا خَلَلَ، ظَاهِرُهُ مِنْ فُضَّةٍ سَائِلَةٍ، وَبَاطِنُهُ مِنْ ذَهَبٍ^(٥) مَائِعَةٍ: يَنْفَلِقُ مِنْهُ طَاوُوسٌ، وَغَرَابٌ، وَنَسْرٌ، وَعَصْفُورٌ، فَعَلِمْتُ أَنَّ لِلْخَلْقِ صَانِعًا.

ابن جبير: عرفتُ ربِّي بالظّاهر، بإتقانِ التّصوير، والباطنِ بنقضِ التّدبير. أعرابيٌّ: وَيَحْكُ أِنَّ الْبَعْرَةَ تَدُلُّ عَلَى الْبَعِيرِ، وَالرَّوْثَةَ^(٦) تَدُلُّ عَلَى الْحَمِيرِ، وَآثَارُ الْقَدَمِ تَدُلُّ عَلَى الْمَسِيرِ، فَهَيْكَلٌ عُلُويٌّ، بِهِذِهِ اللَّطَافَةُ، وَمَرْكَزٌ سَفَلِيٌّ بِهِذِهِ

(١) في (هـ) و(أ): الرياح.

(٢) الكافي: ١: ٨١، التوحيد: ٢٤٤. الاحتجاج: ٢: ٦٩.

(٣) في (هـ) العبارة هكذا: «ما الدليل على الله؟ قال: وجود الأفاعيل...»

(٤) الاحتجاج: ٢: ٧٢ بزيادة في اللفظ فيه. وكذا في الإرشاد: ٣١٦.

(٥) الذّهبية: القطعة من الذهب. [المعجم الوسيط: (ذهب)].

(٦) العبارة: «الرّوثة تدلّ... على المسير» ساقطة من (أ).

الكثافة، أما يدلّ أن على الصّانع الخبير؟

آخر: وجدتُ أضداداً بمجموعة / ٢٦ / فقلتُ: أُجمعتُ بالطّبع أم بالصّنع؟
فنظرتُ فلم يكن في الطّبع قبولُ الأفراد، فعَلِمْتُ أنّها من صُنعِ صّانعٍ، رأيتُ
الورقةَ، والنّورة^(١)، أكلتُ النّحلةَ، والشّرفة^(٢)، فتولّد من أحدهما، خلافاً ما تولّد
من الآخر، فدَلّني ذلك على أنّها من صُنعِ حَكِيمٍ لطيفٍ.

الأصبعُ: قَالَ رجلٌ لأمير المؤمنين - عليه السلام -^(٣): لقد قَدِمَ إلى حِينَا
رجُلٌ زنديقٌ، يَتَكَلَّمُ بكلامٍ لا نعرفه، وإِنَّا نخافُ^(٤) أن يُبْطِلَ^(٥) علينا ديننا، فإِن
رأيتَ أن تعلّمنا كلاماً، تُبْطِلُ^(٦) به حجّته، وتدحضُ^(٧) به مقالته، فافعل.

قال: فدعا - عليه السلام - بدواةٍ وبياضٍ، وكتبَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. من عليّ بن أبي طالبٍ، وصيّ محمّد النّبيّ إلى عدوّ
الله، ومضِلّ عبادِهِ. أمّا بعدُ:

(١) النّورة: الزّهرة البيضاء. جمعها: نورٌ. [المعجم الوسيط: (نور)].

(٢) الشّرفة: دودة القزّ. جمعها: سَرَف. [المعجم الوسيط (سَرَف)]. وفي (هـ): الشّرفة.

(٣) (عليه السلام) ساقطة من (أ).

(٤) في (هـ): تخاف. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٥) في (هـ): تبطل. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٦) في (هـ): نبطل. بنون المضارعة الموحدة من فوق.

(٧) في (ش) و(ك): ندحض. بنون المضارعة الموحدة من فوق.

فَوْقَ ذَا الْعَالَمِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ عَالَمٌ آخِرٌ وَمَلِكٌ يَلِيهِ
 عَالَمٌ وَاسِعٌ كَبِيرٌ عَظِيمٌ لَيْسَ نَفْسٌ تَطِيقُ أَنْ تَتَلَبَّاهُ
 ابْنَ مَاءِ الْغَيْومِ وَالرَّهْمَدُ وَالْبَرْقُ إِذِ^(٢) الْجَوُّ لَا يُرَى الْغَيْمُ فِيهِ
 ابْنَ مَأْوَى الظَّلَامِ فِي مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِذِ^(٣) الصُّبْحُ دَائِبًا يَقْتَضِيهِ
 ابْنَ مَأْوَى الْحُرُورِ إِيمَامَ قَرٍّ حِينَ يَأْتِي الشُّتَا بِبَرْدِ كَرِيهِ
 ابْنَ فَيْضِ الْمُرُورِ إِنْ نَقَصَ الْمَاءُ فَيَعْمَا إِصْطِبَارُ مَنْ يَسْتَقِيهِ
 ابْنَ مَأْوَى النَّهَارِ فِي حِنْدِسِ اللَّيْلِ إِذَا اللَّيْلُ دَائِبًا يَحْتَوِيهِ
 ابْنَ مَأْوَى الثَّلُوجِ إِيمَامَ حَرٍّ مَهْجُ الْوَهْجِ كَرِيَةً يَعْتَرِيهِ
 ابْنَ ذَا كُلِّهُ يَكُونُ إِذَا مَا عَزَّ يَوْمًا أَوْ اِشْتَكَى طَالِيهِ
 كُلُّ هَذَا الَّذِي^(١) يَدُلُّ [أَنَّ] لَذَا الْخَلْقِ حَكِيمًا مَدْبُورًا يَتَنَدَّبِيهِ
 فَلَمَّا قَرَأَ الرَّنْدِيقُ الْكِتَابَ، هَرَبَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَنْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾^(١)

(١) (أَنَّ) سقطت من ش.

(٢) في (هـ) و(أ): إذا.

(٣) في (ك) و(هـ) و(أ): إذا.

(٤) الروم: ٢٧.

الاشياء كلها سواء، عنده، والوجه فيه ما قال ابن عباس^(١): ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾. أي: هيّن عليه أوّل خلقه. قال ذو الرّمّة^(٢):

أخي قفراتٍ ديّت في عظامه شفاقاتُ أعجاز الكرى وهو أخضع
يريد: خاضع^(٣). وقال معن بن أوس^(٤):

لعمرك ما أدري وإنّ لأوجّل على أئنا تمدو المنية أوّل
أي: وجّل^(٥).

ويحتمل أنّه جواب قول: ﴿قال من يُخَيِّ العظام وهي رميمٌ. قل يُخَيِّهَا
الذي أنشأها أوّل مرّة﴾^(٦)، لأنّ الإنشاء أصعب من الإعادة^(٧).



(١) نسب في مجمع البيان: ٤: ٣٠٢ إلى ابن عباس غير هذا الرأي. وهو في الدر المنثور: ٦: ٤٩١
منسوب إلى ابن عباس. وهو في الجامع لأحكام القرآن: ١٤: ٢١ منسوب إلى الربيع والحسن
ونسب إلى ابن عباس غيره.

(٢) ديوان شعر ذي الرّمّة: ٣٤٨. شفاقات: بقايا. أعجاز الكرى: أواخر النّوم.

(٣) العبارة: (يريد: خاضع) سقطت من (ج).

(٤) ديوان معن بن أوس المزني: ٩٣. وفيه: تغدو... بالغين المعجمة.

(٥) في (أ): أجل. وفي (ج): يريد في الأول: خاضع. وفي الثاني: وجل.

(٦) يس: ٧٨، ٧٩.

(٧) في (هـ): العادة.

فصل [-٢٠-]

[في قدرة الله]

قوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ...﴾^(١) إلى قوله: ﴿...عَزِيزٌ﴾^(٢)، وقوله: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ...﴾^(٣) إلى قوله: ﴿...قَدِيرٌ﴾^(٤). وقوله: ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾^(٥)، ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٦).
 عامٌّ. فهو قادرٌ على الأشياء كلها على ثلاثة أوجه:
 على المعدومات بإيجادها، وإنشائها.
 وعلى الموجودات بتغييرها، وإفنائها.
 وعلى مقدورات غيره، بأن يقدرُ عليها، أو يمنعُ منها.

(١) الحج: ٧٣.

(٢) الحج: ٧٤.

(٣) الروم: ٥٠.

(٤) الروم: ٥٠.

(٥) الزمر: ٥.

(٦) البقرة: ٢٠، ١٠٦، ١٠٩، ١٤٨، ٢٥٩.

وقيل: خاص في مقدوراتهِ. وَلَفْظُ «كُلَّ» يستعملُ للتَّخصيصِ، كقوله: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(١)، ﴿وَأَوَيْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢).

سأل أبو شاكر^(٣) الديباني هشام بن الحكم: أَمِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ - تعالى - أَنْ يُدْخِلَ السَّمَاوَاتِ، وَالْأَرْضِينَ، وَمَا بَيْنَهُمَا فِي بَيْضَةٍ، لَا تَكْبُرُ الْبَيْضَةُ، وَلَا تَصْغُرُ الدُّنْيَا.

قال: فذكرتُ ذلكَ لأبي عبدِ الله - عليه السلام - فقال: كم لك من الحواس؟ قلتُ: خمس.

قال: فأيُّهنَّ أضعفُ؟ قلتُ: العينُ

قال: العينُ، بِمِ^(٤) تبصرُ؟ قلتُ: بالنَّظَرِ.

قال: فكَم مقدارُ النَّظَرِ في رأيِ العينِ؟

قلتُ: أقلُّ من عَدْسَةٍ.

قال: فابْصُرْ، ما تَرَى أَمَامَكَ؟ صِفْ لي.

قلتُ: دوراً، وقصوراً، وأنهاراً، وأشجاراً، والسَّماءَ، والأَرْضَ. قال: إِنَّ

(١) الأحقاف: ٢٥.

(٢) النمل: ٢٣.

(٣) التَّوْحِيد: ١٢٢-١٢٣. الكافي: ١: ٧٩. الإرشاد: ٣١٦ باختلاف اللفظ عن الصادق (ع).

(٤) في النسخ جميعها: بها. والصواب ما أثبتناه لدخول حرف الجر (الباء) على (ما) الاستفهامية.

الَّذِي أَرَاكَ ذَلِكَ، بِأَقْلٍ مِنْ عَدْسَةٍ، فَكَذَلِكَ بِحِكْمٍ فِي الْبَيْضَةِ.

وَسُئِلَ الصَّادِقُ^(١) - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَنْ ذَلِكَ بَعِيْنِهِ، فَقَالَ:

إِنَّ اللَّهَ لَا يُنْسَبُ إِلَى الْعَجْزِ^(٢)، وَالَّذِي سَأَلْتَنِي لَا يَكُونُ.

وَجَمَعَ^(٣) الْجَعْدُ^(٤) بَنُ دُرْهَمٍ مَاءً، وَتَرَاباً فِي قَارُورَةٍ، فَاسْتَحَالَ دُوداً، فَقَالَ:
أَنَا خَلَقْتُ ذَلِكَ.

فَبَلَغَ ذَلِكَ الصَّادِقَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، فَقَالَ: فَلْيَقُلْ: كَمْ هُوَ؟ وَكَمْ الذَّكَرَانُ
مِنْهُ، وَالْإِنَاثُ؟ وَكَمْ وَزْنُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا؟ وَلْيَأْمُرِ الَّذِي يَسْعَى إِلَى هَذَا الْوَجْهِ أَنْ
يَنْصَرِفَ إِلَى غَيْرِهِ. فَاِنْقَطَعَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٥).

قَوْلٌ مِنْ قَالٍ إِنَّ ﴿كُنْ﴾ سَبَبٌ لِلْحَوَادِثِ الَّتِي يَفْعَلُهَا^(٦) اللَّهُ - تَعَالَى -

(١) التوحيد: ١٣٠ منسوباً إلى أمير المؤمنين (ع) عن أبي عبد الله الصادق (ع).

(٢) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ح): عجز.

(٣) في (هـ): مجمع.

(٤) التوحيد: ٢٩٥ - ٢٩٦ منسوباً إلى ابن أبي العوجاء. أمالي المرتضى: ١: ٢٨٤.

(٥) البقرة: ١١٧، آل عمران: ٤٧، ٥٩. الأنعام: ٧٣. النحل: ٤٠. مريم: ٣٥. يس: ٨٢. غافر: ٦٨.

(٦) في (ش): يفعله.

فَاسِدٌ مِنْ وَجْوهٍ:

أحدهما: إِنَّ القَادِرَ بِقُدْرَةٍ، إِذَا قَدَرَ أَنْ يَفْعَلَ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ، فَالْقَادِرُ لِلنَّفْسِ، بِذَلِكَ، أَوَّلَى.

ومنها^(١): إِنَّ ﴿كُنْ﴾ مَحْدَثَةٌ، فَلَوْ احتاجت إلى ﴿كُنْ﴾ أخرى، لتسلسل^(٢).
وذلك فاسدٌ.

ولو استند ذلك إلى ﴿كُنْ﴾ قديمة، لوجب قَدَمُ المكونِ لأنه كانَ يجبُ أن يكونَ عَقِيبُهُ، لأنَّ الفاءَ يوجبُ^(٣) التَّعْقِيبَ، وذلك يؤدِّي إلى قَدَمِ المكوّناتِ.

ومنها^(٤): إِنَّهُ لو وُلِدَتْ، لَوُلِدَتْ مِثْلَ فِعْلِنَا، كَالاعْتِمَادِ، وَإِنَّمَا اسْتُعْمِلَ^(٥) الْقَدِيمُ - تعالى - لفظَ الأمرِ، فيما ليسَ بأمرٍ - ها هنا - لِيَذُلَّ - بذلك - على أن فعله ٢٧ / بمترلة المأمورِ في أَنَّهُ لا كُفْلَةً على الأمرِ. فكذلك - ها هنا - لا^(٦) كُفْلَةً على الفاعلِ.

(١) في (ح): ثانيها.

(٢) في (هـ): لتسلسل، بالشين المعجمة في الموضعين.

(٣) في (هـ) و(ح): توجب. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٤) في (ح): ثالثها.

(٥) في (ش): يستعمل. بصيغة المضارع.

(٦) في (ك): ألا.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(١).

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ^(٢): فِي هَذِهِ الْآيَةِ، دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْحَيَاةِ، إِلَّا اللَّهُ، لِأَنَّهُ يُمَدِّحُ^(٣) بِكَوْنِهِ قَادِرًا عَلَى الْإِحْيَاءِ، وَالْإِمَاتَةِ، فَلَوْ كَانَ غَيْرُهُ قَادِرًا عَلَى الْحَيَاةِ، لَمَا كَانَ لَهُ فِي ذَلِكَ مَدْحٌ.

وَفِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى كَوْنِهِ قَادِرًا عَلَى الْإِعَادَةِ، لِأَنَّهُ مِنْ قَدَرِ عَلَى النَّشْأَةِ الْأُولَى، يَقْدِرُ عَلَى النَّشْأَةِ الثَّانِيَةِ.



قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾^(٤)، وَقَوْلُهُ: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾^(٥).

يَقْتَضِي أَنَّ لَهُ قُوَّةً، وَأَنَّ قُوَّتَهُ، أَشَدُّ مِنْ قُوَّتِهِمْ، وَتَقْتَضِي أَنَّ قُوَّتَهُ، شَدِيدَةٌ، وَالشَّدَّةُ إِنَّمَا هِيَ الصَّلَابَةُ، وَلَا يَجُوزُ وَصْفُ الْأَعْرَاضِ بِالشَّدَّةِ، وَالصَّلَابَةِ، عَلَى الْحَقِيقَةِ. وَإِنَّ الْقُوَّةَ إِنَّمَا تَسْتَعْمَلُ^(٦) فِي الْأَجْسَامِ، دُونَ الْأَجْزَاءِ. وَالْجَوْهَرِ،

(١) يونس: ٥٦.

(٢) هو أبو علي الطبرسي: مجمع البيان: ٣: ١١٦.

(٣) فِي (ح): تَمْدَحُ.

(٤) فَصَّلَتْ: ١٥.

(٥) فَصَّلَتْ: ١٥.

(٦) فِي (ك) وَ(أ): يَسْتَعْمَلُ. بِالْيَاءِ الْمُنْتَهَا مِنْ تَحْتِ.

المتحمل^(١) الأعراض، يقال إنما هو ذو قوة شديدة، وهو أشدُّ بأساً منّا على الأمر، إذا كانت جوارحه، مكتنزة^(٢)، صلبة الأعضاء^(٣) غير رخوة.

ومعناه: إنه - تعالى - أقوى منهم، وأقدر، لأنَّ لفظة «أشدُّ» تستعمل على هذا الوجه، فيقال: هذا أشدُّ بياضاً من هذا. كما يقال: هذا أفضل من هذا.

وقال أمير المؤمنين^(٤) - عليه السلام - في «الدُّرَّةِ الَّتِي مِمَّةٍ»: ليس بقادرٍ من قارنُهُ ضدُّ، أو ساوَاهُ ندُّ.

وقال^(٥) - عليه السلام - في (خطبة العشرات): الحمد لله المتجلى لخلقه، بخلقه.

ويقال^(٦):

القادرُ بالحقِّ على الإطلاق^(٧) من أوجد الأضدادَ في الأخلاقِ
الصَّاحِبُ^(٨):

(١) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): المحتمل. بالخاء ثم التاء.

(٢) في (ش): مكتنزة، وفي (أ) و(ط): متكنزة.

(٣) في (هـ) و(أ): الأجزاء.

(٤) هو في تحف العقول: ١٧٤ منسوب للإمام الحسين بن علي (ع).

(٥) نهج البلاغة شرح محمد عبده: ١: ٢٠٦.

(٦) لم أقف على قائله ولا مظنة وجوده.

(٧) في (هـ): بالإطلاق.

(٨) ديوان الصاحب بن عباد: ٥٣.

الصُّنْعُ لِإِبْدَالِهِ مِنْ صَانِعٍ لَاسِيَّامَا مَعَ كَثْرَةِ الْبِدَائِعِ
وَلِأَنَّهُمَا نَمَّ^(١) بِلَا مَنَازِعٍ فَالْمَلِكُ لَا يَبْقَى عَلَى التَّوَانِعِ

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...﴾^(٢) إِلَى قَوْلِهِ :
﴿...فَسَيَقُولُونَ: اللَّهُ﴾^(٣).

فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى التَّوْحِيدِ، لِأَنَّ مَا ذَكَرَهُ فِي الْآيَةِ، يَوْجِبُ [أَنَّ]^(٤) الْمُدَبِّرَ،
وَاحِدٌ، لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ ذَلِكَ إِتِّفَاقًا، لِإِحَالَةِ الْعَقْلِ ذَلِكَ^(٥)، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ
بِالطَّبِيعَةِ^(٦)، لِأَنَّهَا فِي حَكْمِ الْمَوَاتِ - وَلَوْ^(٧) كَانَتْ مَعْقُولَةً.

فَلَمْ يَبْقَ - [بَعْدَ]^(٨) ذَلِكَ - إِلَّا أَنَّ الْفَاعِلَ - لِذَلِكَ^(٩) - قَادِرٌ، عَالِمٌ، يَدَبِّرُهُ عَلَى

(١) فِي (هـ): نمر. بِالتَّاءِ الْمَثْلَةِ. فِي (ش) وَ(ك) وَ(أ): نمر. بِالتَّاءِ الْمَثْلَةِ مِنَ فَوْق. فِي (ج): نَحْنُ.
وَمَا أَثْبَتَاهُ رَوَايَةُ الدِّيَوَانِ.

(٢) يُونُس: ٣١.

(٣) يُونُس: ٣١.

(٤) مَا بَيْنَ الْمُعْرِفَتَيْنِ سَاقِطَةٌ مِنْ (ش).

(٥) فِي (هـ): مَعَ ذَلِكَ.

(٦) فِي (ك) وَ(ج): فِي الطَّبِيعَةِ.

(٧) فِي (ك): لَوْ.

(٨) مَا بَيْنَ الْمُعْرِفَتَيْنِ سَاقِطَةٌ مِنْ (ش).

(٩) فِي (أ): كَذَلِكَ.

ما يشاء، وهو الله - تعالى - مع^(١) أَنَّ الطَّبِيعَةَ مَدْبُورَةٌ، مَفْعُولَةٌ، فَكَيْفَ تَكُونُ هِيَ
الْمَدْبُورَةُ؟



قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٢). يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون أراد به (خلق): قَدَّرَ. فعلى هذا تكون الآية عامة، لأنه -
تعالى - مَقْدَرُ كُلِّ شَيْءٍ.

أو أراد^(٣): أَنَّهُ أَحْدَثَ كُلَّ شَيْءٍ. فعلى هذا، تكون^(٤) خاصاً. لأنه لم يُحْدِثْ
أشياء كثيرة من مقدرات غيره، وما هو معدوم لم يوجد^(٥).



(١) (مع) ساقطة من (أ).

(٢) الفرقان: ٢.

(٣) في (أ): إرتد.

(٤) في (أ): تكون. بنون المضارعة الموحدة من فوق. وفي (ح): يكون. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٥) في (هـ): يوجد. مع الضمير (الماء).

فصل [- ٢١ -]

[في علم الله]

قوله - تعالى -^(١): ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢)، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾^(٣)، ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾^(٤).

الوصف - بأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض، ولا في السماء، وأنه يعلم ما لا يعلمه غيره - يدل على أنه يعلمه من كل وجه، من حيث كان عالماً لنفسه. والعالم للنفس يجب أن يعلم كل ما يصح أن يكون معلوماً. وما يصح أن يكون معلوماً، لانهائية له. فوجب أن يكون عالماً به.

ولأنها يجوز أن يعلم الشيء من وجه^(٥) دون وجه^(٦)، من كان عالماً بعلم،

(١) في (ج): سبحانه.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) آل عمران: ٥.

(٤) غافر: ١٦.

(٥) في (أ): وجهه.

(٦) في (أ): وجهه.

يستفيد العلمَ حالاً بعدَ حالٍ. فأما من^(١) كَانَ عالماً لنفسِهِ، فلا يجوزُ أن يخفى عليه شيءٌ بوجهٍ من الوجوه.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^(٢).
أي: إنه عالمٌ بغيرِ تعليمٍ، بدلالةِ أَنَّهُم أثبتوا لله، ما نفوه عن أنفسهم، بقولهم: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾.

ويقال: إنه ﴿الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾، أي: العالمُ. وهو من صفاتِ ذاته، فلمَّا بالغَ فيه، أفادَ أَنَّهُ عالمٌ بجميعِ أجناسِ المعلوماتِ، ممَّا يصحُّ أن يكونَ معلوماً.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٣)، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...﴾ الآية^(٤)، وقوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾^(٥).

(١) (مَنْ) ساقطة من (أ).

(٢) البقرة: ٣٢.

(٣) البقرة: ٢٩. الحديد: ٣.

(٤) الأنعام: ٥٩.

(٥) الأنعام: ٥٩.

عام، يدلُّ أنه يعلم الأشياء كلها، قديمها، وحديثها، موجودها،
ومعدومها.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(١)، وقوله:
﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾^(٢)، وقوله: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا
تَكْتُمُونَ﴾^(٣).

فيها دلالة على أنه عالم بذاته.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٤).
معناه: أنه يعلم جميع المعلومات، لكونه عالماً لنفسه. و«فَعِيلٌ» يدلُّ على
المبالغة.

(١) غافر: ١٩.

(٢) الأنعام: ٣.

(٣) الأنبياء: ١١٠.

(٤) المائدة: ٩٧.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(١).

معناه: أَنَّ مَعْلُومَاتِهِ، مُمَيَّزَةٌ، بِمَنْزِلَةِ مَا قَدْ أَحَاطَ بِهِ.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٢).

أي: يَحِيطُ عِلْمُهُ / ٢٨ / بما تعملونه، وإِنَّه قَادِرٌ عَلَى جَزَاءِ مَا تَعْمَلُونَهُ مِنْ

ثَوَابٍ، أَوْ عِقَابٍ^(٣).

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾^(٤).

إِنَّمَا خَصَّ ﴿الْمُفْسِدِينَ﴾ بِأَنَّهُ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِهِمْ، عَلَى جِهَةِ التَّهْدِيدِ لَهُمْ،

وَالْوَعِيدِ بِمَا يَعْلَمُ، مِمَّا وَقَعَ مِنْ فَسَادِهِمْ، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ أَنَا أَعْلَمُ بِشَرِّ فُلَانٍ، وَمَا

يَجْرِي إِلَيْهِ مِنَ الْفَسَادِ.

(١) الطلاق: ١٢.

(٢) الأنفال: ٤٧.

(٣) في (ح): وعقاب. مع واو العطف.

(٤) آل عمران: ٦٣.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾^(١).

صورته، صورة الاستفهام، والمرادُ به، التوبيخ، ومثله: ﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ﴾^(٢).

فإن قيل: لم قال: ﴿ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾، وقد كانوا يَعْلَمُونَهُ، فكتُمُوهُ، وظاهرُ هذا الخطاب، لمن لا يعلم؟

الجواب: من قال: إِنَّهُمْ ظَنُّوا، فالجوابُ ظاهرٌ. ومن قال: إِنَّهُمْ عَلِمُوا، وإنَّما جحدوه، نقولُ^(٣):

معناه: إِنَّ مَازَلْتُمْ، منزلةُ المعارضِ^(٤) على ما يعلمُ أَنَّ اللهَ أَخْبَرَ بِهِ، فما ينفعُهُ ذلك، مع إقراره، فَإِنَّ اللهَ، أَعْلَمُ مِنْهُ، وَأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، لِأَنَّ مَا دَلَّ عَلَى أَنَّهُ أَعْلَمُ، دَلَّ أَنَّهُ عَالِمٌ لِنَفْسِهِ.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ﴾^(٥).

(١) البقرة: ١٤٠.

(٢) النازعات: ٢٧.

(٣) في النسخ جميعها: «نقول» وحقه الجزم: «نقل» لأنه جواب الشرط الجازم «مَنْ».

(٤) في (ك): المعارض.

(٥) الإسراء: ٢٥.

معنى ذلك: إنَّ معلوماته، أكثرُ من معلوماتهم.

وقد يقال: ﴿أَعْلَمُ﴾، بمعنى: أثبت فيما به يعلم.

فنحن - من هذا - نقول: إنَّ الله - تعالى - أعلمُ بأنَّ الجسمَ، حادثٌ^(١) من الإنسانِ العالمِ به، وكذلك كلُّ شيءٍ يمكنُ أن يُعَلَّمَ متغايِره^(٢)، فإنَّ الله^(٣) - تعالى - عالمٌ به على تلك الوجوه، وإن خفيَ على الواحدٍ منَّا بعضها.

ومعنى ﴿بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾: أي: بما تُضمِرونه، وتُخفونه عن غيركم، فالله أعلمُ به منكم، وفي ذلك غايةُ التهديد.

قوله - سبحانه -: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٤).

المعنى: إنَّه أعلمُ به^(٥)، ممَّن يعلمه، لأنَّه يعلمُ من وجوه، تخفى^(٦) على غيره،

(١) في (أ): حديث.

(٢) في (ش) و(ك): مُتغَايِرَةٌ. بـالتاء المنقوطة. وفي (هـ) و(ط): مُتَغَايِرٌ.

(٣) في (ك) و(هـ) و(ح): فَالله. وفي (أ): الله.

(٤) الأنعام: ١١٧.

(٥) (به) سقطت من (ح).

(٦) في (ش) و(ك) و(أ): يَخْفَى. بـياء المضارعة المثناة من تحت.

لأنه - تعالى - عالمٌ يعلم^(١) ما كانَ، وما يكونُ، وما هو كائنٌ إلى يومِ القيامةِ، وعلى جميع الوجوه التي يصحُّ أن يعلمَ الأشياءَ عليها، وليس كذلك غيره، لأنَّ غيره^(٢) لا يعلمُ جميعَ الأشياءِ، وما يعلمُهُ، لا يعلمُهُ من جميعِ وجوهِهِ.

وأما من هو غيرُ عالمٍ - أصلاً - فلا يقالُ: اللهُ، أعلمُ منه، لأنَّ لفظةَ ﴿أَعْلَمُ﴾، تقتضي^(٣) الاشتراكَ في العلمِ، وزيادةً لمن وُصِفَ بأنَّه أعلمُ. وهذا لا يصحُّ ممَّن ليس بعالمٍ أصلاً، إلَّا مجازاً.

ولا يصحُّ أن يقالَ: هو - تعالى - أعلمُ بأنَّ الجسمَ، حادثٌ من كلِّ مَنْ يعلمُهُ حادثاً، لأنه قد ذُكِرَ الوجهُ الَّذِي يُعَلِّمُ منه، وهو أنَّه حادثٌ.

فإن أريدَ - بذلك - المبالغةُ في الوصفِ، وأنَّ هذه الصِّفَّةَ فيه، أثبتُ من غيره، جازَ أن يقالَ فيه ذلك.



(١) في (ك) و(ح): يعلم. بحرف الجر (الباء) مع المصدر (علم).

(٢) (لأنَّ غيره) ساقطة من (أ).

(٣) في (ك) و(هـ) و(أ): يقتضي. بياء المضارعة المثناة من تحت.

فصل [- ٢٢ -]

[في علم الله]

وقد تعلق من ذهب في حدوث العلم، بأنه^(١) لا يعلم الشيء قبل كونه،

بآيات منها:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ

الصَّابِرِينَ﴾^(٢).

﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾^(٣).

﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾^(٤).

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾^(٥).

﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾^(٦)، ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ

(١) في (ش) و(ك) و(هـ) و(ل): وأئذ.

(٢) آل عمران: ١٤٢.

(٣) البقرة: ١٤٣.

(٤) سبأ: ٢١.

(٥) محمد: ٣١.

(٦) الأنفال: ٦٦.

تَعْمَلُونَ^(١).

قال: لا يجوز أن يقول^(٢) مثل ذلك، وهو عالم^(٣) به!!

الجواب: إنه لو لم يتقدم العلم بحالهم، وحال ما كلفهم، لقبح التكليف أصلاً، لأنه يحسن من المكلف أن يأمر بما يعلم حسنه، وأن المكلف، يتمكن من فعله، على الوجه الذي كلف، فكيف يصح - مع هذا - أن يكون علمه بحالهم حادثاً بعد التكليف، وعند فعلهم ما كلفوا.

على أن ليس في ظواهر الآيات، ما يُنبئ عن كونه^(٤) غير عالم بما سيكون منهم. والعالم بالشئ، إنما يكون عالماً به، إذا علمه على ما هو به.

فالله - تعالى - إنما يعلم^(٥) المجاهد^(٦) مجاهداً، إذا جاهد^(٧)، ويعلمه مؤمناً إذا آمن، وليس - في ذلك - نفي كونه عالماً من سيؤمن، وسيجاهد، وهو موضع النزاع.

(١) يونس: ١٤.

(٢) في (ش): تقول. بناء المضارعة المثناة من فوق. في (ك) و(أ): تقول. بنون المضارعة الموحدة.

(٣) في (أ): أعلم.

(٤) في (أ): كونهم.

(٥) في (أ): يعمل.

(٦) في (أ): المجاهدين.

(٧) في (أ): جاهدوا.

وَقَالَ المرتضى: قوله: ﴿لِنَعْلَمَ﴾، يقتضي^(١) حقيقته أن يعلم هو، وغيره، ولا يحصل علمه مع علم غيره، إلا بعد حصول الإتياع، فأما قبل حصوله، فإنها يكون هو - تعالى - العالم - وحده - فصَحَّ - حيثُذ - ظاهر الآية.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾^(٢) إلى قوله: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾^(٣)، وقوله: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾^(٤).
فلا يوجبان الشك، وإن الله - تعالى - قد عَلِمَ أَنَّ فِرْعَوْنَ، لا يتذكَّر، ولا يخشى، والكفَّار لا ينجحون إلى السلم، ولكنَّهُ - تعالى - أراد أن يُطِيبَ - بذلك - نفوس المخاطبين، ويُقَوِّي قلوبهم، كما تقول^(٥) للأجير: أفرغ من عملك، لعلَّكَ تأخذ أجرَكَ. أي: لتأخذه.

قوله - سُبْحَانَهُ - : / ٢٩ / ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٦)، و﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٧).

(١) العبارة: «يقتضي حقيقته أن يعلم» ساقطة من (أ).

(٢) طه: ٤٣.

(٣) طه: ٤٤.

(٤) الأنفال: ٦١.

(٥) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يقول، بياض المضارعة المثناة من تحت.

(٦) البقرة: ٢١. وفي أكثر من موضع من القرآن الكريم.

(٧) آل عمران: ١٣٢. وفي أكثر من موضع من القرآن الكريم.

فيها معنى الشك، لكنه للعباد، دون الله - تعالى -.

قوله - سبحانه - : ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفَ بِأَسِّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(١).

قال الحسن^(٢)، والبلخي^(٣)، والزجاج^(٤)، وأكثر المفسرين^(٥): إِنَّ ﴿عَسَى﴾ من الله، واجب. ووجه ذلك: إِنَّ إطلاع الكريم، إنجاز، وإثنا الإطلاع، تقوية أحد الأمور على الآخر، دون قيام الدليل على التكافؤ^(٦)، والجواز. وخرج ﴿عَسَى﴾ - في هذا - من معنى الشك، كخروجها في قول القائل: أطلع ربك في كل ما أمرك به، ونهاك عنه، عسى أن تُفْلِحَ بطاعتك.

قوله - سبحانه - : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾^(٧).

أي: ليس الله ممن ينسى، ويخرج عن كونه عالماً، لأنه - تعالى - عالم لنفسه.

(١) النساء: ٨٤.

(٢) مجمع البيان: ٢: ٨٣.

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ٢: ١٩٩.

(٤) انظر مثلاً: جامع البيان: ٥: ١٨٥ ومجمع البيان: ٢: ٨٣. الدر المنثور: ٧: ٤٣١.

(٥) في النسخ جميعها: تكافي.

(٦) مريم: ٦٤.

وتقديره - هاهنا: وما نَسِيكَ^(١)، وإن^(٢) أٰخَرَ الوحي عنكَ.

ويقال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾، أي: لا يُنْسِيهِمْ. كما يقال للملك، والسَّيِّد:
قد نَسَيْتَنَا، فما تذكُرْنَا. يعنون: أَنَّهُ لا يأتينا منك خيرٌ.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ^(٣).

قال ابن عَبَّاسٍ^(٤): نَزَعْنَا فِي الْعِقَابِ، ﴿كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ﴾^(٥). أي: كما
تركتم ذكرَ لِقَاءِ ﴿يَوْمَكُمْ هَذَا﴾^(٦).

ويقال: أي: لم يقبلوا الطَّاعَةَ، ولم يؤمنوا به، فينفعهم^(٧) في الآخرة.
أي: فما أعطاهم الثَّوَابَ.

(١) في (أ): أي: لا تنساهم، بدلاً من: وما نَسِيكَ.

(٢) العبارة: «وإنَّ أٰخَرَ... لا يشيهم» ساقطة من (أ).

(٣) الجائز: ٣٤.

(٤) جامع البيان: ٢٥: ١٥٨ أيضاً؛ مجمع البيان: ٥: ٨١.

(٥) الجائز: ٣٤.

(٦) الجائز: ٣٤.

(٧) في (ك): فيقعمهم.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾^(١).

أي: تركوا الله في معرفته، وعبادته، فتركهم عند الجزاء.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾^(٢)، وقوله: ﴿لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾^(٣)، وقوله: ﴿وَلِتَبْلُوكُمْ﴾^(٤). يحتمل أمرين:

أحدهما: ليعاملكم معاملة المبتلي، المختبر لكم، مظهرة^(٥) في العذل.

وأخرج كلام المبتلي^(٦) لهذه العلة، لأنه - تعالى - عالم بالآشياء، قبل كونها، فلا يبتلي ليستفيد علماً.

والثاني: ليبتلي أولياء الله ما في صُدُورِكُمْ، إلا أنه أضاف الابتلاء إلى الله - عز وجل - تفخيماً لشأنه.

(١) التوبة: ٦٧.

(٢) آل عمران: ١٥٤.

(٣) المائدة: ٤٨.

(٤) البقرة: ١٥٥: محمد: ٣١.

(٥) في (ك) و(هـ): مظهره. بالهاء غير المنقوطة.

(٦) في (ح): المختبر.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾^(١).

التَّعَجُّبُ، لا يجوزُ على الله - تعالى - لأنَّه عالمٌ بجميع الأشياءِ، لا يخفى عليه شيءٌ. والتَّعَجُّبُ يكونُ ممَّا لا يُعرَفُ سببُهُ، وإنَّما الغرضُ بالآيةِ أن يدُلَّنَا على أنَّ الكفَّارَ، حلُّوا محلَّ من يُتَّعَجَّبُ منه، فهو تعجيبٌ لنا منهم.

وَقَالَ الحسن^(٢)، وقائدة^(٣)، ومجاهد^(٤): إِنَّ «مَا» في قوله: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ﴾ لِلتَّعَجُّبِ^(٥).

وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ^(٦)، وابنُ جَرِيحٍ^(٧)، وابنُ زَيْدٍ^(٨)، والسُّدِّيُّ^(٩): إِنَّمَا للاستفهام.

وَقَالَ الكسائيُّ^(١٠): هو استفهامٌ على وجهِ التَّعَجُّبِ، كأنَّه توبيخٌ لهم،

(١) البقرة: ١٧٥.

(٢) جامع البيان: ٢: ٩١. أيضاً: جمع البيان: ١: ٢٥٩. الجامع لأحكام القرآن: ٢: ٢٣٦.

(٣) جامع البيان: ٢: ٩١. أيضاً: جمع البيان: ١: ٢٥٩. الدر المنثور: ١: ٤١٠.

(٤) جامع البيان: ٢: ٩١. أيضاً: جمع البيان: ١: ٢٥٩. الدر المنثور: ١: ٤١٠. الجامع لأحكام القرآن: ٢: ٢٣٦.

(٥) في (ش): للتعجب.

(٦) جمع البيان: ١: ٢٦٠. الجامع لأحكام القرآن: ٢: ٢٣٦.

(٧) جامع البيان: ٢: ٩١.

(٨) جامع البيان: ٢: ٩١ وفي (ح): ابن زيدان.

(٩) جامع البيان: ٢: ٩١. الدر المنثور: ١: ٤١٠. الجامع لأحكام القرآن: ٢: ٢٣٦.

(١٠) جمع البيان: ١: ٢٦٠. الجامع لأحكام القرآن: ٢: ٢٣٦.

وتعجب لنا.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾ ^(١).

قال مجاهد ^(٢): المراد بالرؤية - هاهنا - العلم الذي هو المعرفة، لأنه عداه إلى مفعول واحد، وإنما قال: ﴿ سَيَرَى اللَّهُ ﴾ على وجه الاستقبال، وهو عالم بالاشياء قبل وجودها. فالمراد - بذلك - أنه سيعلمها موجودة، بعد أن علمها معدومة. وكونه عالماً بأنها ستوجد - بعد كونه عالماً بوجودها، إذا وجدت - لا يُجَدِّد ^(٣) حالاً له بذلك.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ أَخَصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ ^(٤).

معناه: إنه لا شيء، يعلمه عالم، أو يذكره ذاكر، إلا وهو عالم به، ومُخَصَّص له.

(١) التوبة: ١٠٥.

(٢) في جامع البيان: ١١: ٢٠ نُسب إلى مجاهد رأي آخر، غير هذا وكذا في الدر المنثور: ٤: ٢٨٣. أما

في جمع البيان: ٣: ٦٩ فهذا الرأي غير منسوب إلى أحد.

(٣) تقرأ في (هـ): يَجْدِّد، وتجدد. وفي (ج): يَجْدِّد له حالاً.

(٤) الجن: ٢٨.

والإحصاء، فعلٌ، وليس هو بمنزلة العلم، فلا^(١) يجوز أن يقال: أحصى ما لا يتناهى. كما يجوز أن يقال: عَلِمَ ما لا يتناهى^(٢). لأن الإحصاء، مثل المخصى، لا يكون إلا فعلاً متناهِياً. وإذا لم يجوز أن يفعل من الإحصاء، ما لا يتناهى آخره، لم يجوز أن يقال: إنه قد أحصى ما لا يتناهى. ويجوز أن يقال: إنه يحصى ما لا يتناهى إحصاءً دائماً، لا يتناهى. كما يجوز أن يقال: إنه يفعل ما لا يتناهى.

قوله - سبحانه - : ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾^(٣). أي: في إيمانهم، ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَافِرِينَ﴾^(٤) فيه.

إنما قال: ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ﴾ مع أنه الاستقبال، والله - تعالى - عالمٌ - فيما لم يزل - بحدوث المعلوم، فلا تصح^(٥) الصفة، إلا مع المستقبل، إذ لا يصح عالمًا بأنه حادث لا نعياد معنى الصفة بالحادث، وهو إذا حدث علمه - تعالى - بنفسه.

(١) في (هـ) العبارة هكذا: «فلا يجوز أن يقال: أحصى ما لا يتناهى، ويجوز أن يقال: إنه يحصى ما لا يتناهى إحصاء دائماً لا يتناهى، كما يجوز أن يقال....»

(٢) في (أ): يتباهى. بالباء الموحدة من تحت بعد التاء في الموضعين.

(٣) العنكبوت: ٣.

(٤) العنكبوت: ٣.

(٥) في (ش) و(ك) و(أ): يصح. بياء المضارعة المثناة من تحت.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿كُلُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(١)، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾^(٢).

إنما أثبت ذلك، مع أنه عالم، لا يعزبُ عنه شيء، لِمَا فِيهِ مِنَ اللُّطْفِ، للملائكة، أن يكونَ فيه لطفٌ، لمن يُحِبُّ بذلك.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا...﴾ الآية^(٣).
قال قطرب: إنما يكون ذلك للتأكيد على العباد، والتخويف لهم في حفظ أعمالهم، عليهم، لأن ما لا ثواب فيه، ولا عقاب، يكون محصياً عنده في كتاب. فأعمالكم - التي فيها الثواب والعقاب - أولى بالكتاب، والإحصاء.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾^(٤)، وقال: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ﴾^(٥)، وقال: ﴿خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ. فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾^(٦).

(١) هود: ٦.

(٢) يس: ١٢.

(٣) الأنعام: ٥٩.

(٤) السجدة: ٧.

(٥) الملك: ٣.

(٦) الانفطار: ٧، ٨.

نظر أعرابيُّ يومَ الجمعةِ إلى النَّاسِ، وقد اجتمعوا له، فقال: صورةٌ واحدةٌ، وخلقٌ مختلفٌ، ما هو إلَّا صنعُ حكيمٍ، عليمٍ.

رأى^(١) رجلٌ تناثرَ الأوراقَ، فهجسَ في خاطره: هل يعلمُ اللهُ عَدَدَها؟ فنزل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٢).

ابن عَبَّاسٍ^(٣): كانتِ امرأةٌ، تصلي خلفَ النَّبيِّ - عليه السلام - وكان بعضهم يتقدَّمُ في الصَّفِّ الأوَّلِ، لئلا يراها، وكان بعضهم في أوَّلِ الصَّفِّ، إذا ركعَ، قالَ هكذا، ونظرَ من تحتِ إبطه، فنزل: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾^(٤).

لا يعلمُ الغيبَ أحدٌ إلَّا هو الفردُ الصَّمَدُ^(٥)
أبو نواسٍ^(٦):

كُلُّ مُسْتَخْفٍ بِشَيْءٍ فَمَنْ اللهُ بِمَرَأَى لَا تَرَى شَيْئاً مِنْ اللهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ يُخْفَى

(١) في (أ): قوله رأى...

(٢) للملك: ١٤.

(٣) جامع البيان: ١٤: ٢٦. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٣٣٤. الجامع لأحكام القرآن: ١٠: ١٩.

(٤) الحجر: ٢٤.

(٥) لم تقف على قائله ولا مورد أخذه.

(٦) ديوان أبي نواس: ٦١٧ وفيه: «على الله من الأشياء...»

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يُشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾^(١)، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾^(٢).

معناه: وهو عالمٌ به. ولو كان المرادُ بذلك ذاتاً أخرى، لوجب أن يكون العلمُ آلةً في الإنزال.

وظاهر^(٣) اللَّفْظِ يقتضي أنَّ الوضعَ والإنزالَ والحملَ، بعلمه، فيكونُ آلةً، له، لأنَّ ذلكَ قضيةُ اللَّفْظِ، والباءُ تدخلُ في الكلامِ، دلالةٌ للآلية، نحو: ضربته بالسَّيْفِ. أو تكونُ^(٤) سبباً للمسبَّب، نحو: أو جَعَلْتُهُ بالضَّرْبِ. أو علةٌ للمعلولِ، نحو: أسودَّ بالسَّوَادِ. أو مجازاً، فيكونُ عبارةً عن الفاعلِ، نحو: كانَ ذلكَ بمرأى أو بسمع. أي: كنتُ أسمعُه، وأراه.

ولا يجوزُ أن يكونَ العلمُ [سبباً]^(٥) لهذه المذكراتِ، ولا^(٦) عِلَّةً، لأنَّ العلمَ إنَّما يكونُ عِلَّةً للعالمِ، لا لِمَا عِلَقَهُ بِهِ، ولا سبباً، لأنَّ العلمَ لا يُوجبُ هذه الأشياءَ، وإنَّما يُوجبُ إرادَتَهُ، وفعلَهُ، فلم يبقَ إلَّا أَنَّهُ أَنْزَلَهُ، وهوَ عالمٌ به، كما يقال: أعطيتُ القومَ كذا، برضى المَلِكِ. أي: وهوَ راضٍ به. فتقومُ «الباءُ» مع

(١) النساء: ١٦٦.

(٢) فاطر: ١١، فصلت: ٤٧.

(٣) في (ك) و(هـ): فظاهر.

(٤) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يكون. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش) و(أ) و(ح).

(٦) (لا) سقطت من (ح).

المصدر مقام الإبتداء، والخبر.

ثمَّ أَنَّ «الباء» - التي لا يستقلُّ^(١) الكلامُ بإسقاطها - «باء» الإلصاق، مثلُ: كَتَبْتُ بِالْقَلَمِ. والإلصاقُ يستحيلُ في العلم، وكذلك الإنزال.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾^(٢).

يقتضي^(٣) أَنَّ عِلْمَهُ يتبعُ لدخولِ «مِنْ» التي للتَّبَعِيضِ. والعدولُ عن الظَّاهِرِ، يقتضي أَنَّ عِلْمَهُ يَتَفَنَّنُ^(٤) بما يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ، وما لا يَعْلَمُهُ، وَأَنَّهُ لا يَعْلَمُ مِنْ عِلْمِهِ، إِلَّا بما يَشَاءُ، فلعلَّهُ لم يَشَأْ أَنْ يُعْلَمَ عِلْمُهُ. أي: كونه.

ولفظه «العلم»، مصدرٌ، وهو متردّدٌ بَيْنَ الفاعِلِ، والمفعولِ. يقال: فعلتُ كذا بعلمي. وليكن جميعُ ما يفعله فلانٌ بعلمك. وهذا علمُ أبي حنيفة. فَلَمَّا اسْتَعْمِلَ في الاستخبارِ عَنِ الْعَالَمِ، وَعَنِ الْمَعْلُومِ، وَجَبَ صَرْفُهُ إِلَى الْأَصَوِّبِ.

الفضلُ بنُ^(٥) شاذان: قِيلَ للرُّضَا - عليه السَّلَامُ - : إِنَّ قَوْمًا يَقُولُونَ : إِنَّهُ

(١) في (ش) و(ك) و(أ): تستقل. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

(٣) في (ش) و(ك): تقتضي.

(٤) في (ك): يتفنن. بالقاف المثناة. وفي (هـ): يتقن. بالقاف المثناة بعد ما ياء مثناة من تحت.

(٥) عيون أخبار الرضا: ١: ١١٩ التوحيد: ١٤٠. أمالي الصدوق: ٢٤٧. وفي الاحتجاج: ٢: ١٩٢

- عز وجل - لم يزل عالماً بعلم، وقادراً بقدرة، وحيّاً بحياة، وقديماً بقدم، وسميعاً بسمع، وبصيراً ببصير؟

فقال^(١): مَنْ قَالَ بِذَلِكَ، ودانَ به، فقدِ انْخَدَعَ معَ اللهِ آلهةُ أخرى، وليسَ من ولا يتنا على شيء.

ثمَّ قال: لم يزلِ اللهُ عالماً بعلم^(٢)، قادراً، حيّاً، قديماً، سميعاً، بصيراً، لذاته. تعالى عما يقولُ المشركونَ^(٣)، والمُشَبِّهونَ، علواً كبيراً. الصَّاحِبُ^(٤):

هو العالم الذات الذي ليسَ مُحوجاً إلى العلم، والأعلامُ تبدو فتشهدُ وليسَ قديماً سابقاً غيرَ ذاته وإن كانَ أبناء الضلالِ تلذّدوا^(٥)



(١) (فقال) ساقطة من (أ).

(٢) (بعلم) ساقطة من (هـ).

(٣) في (أ): المشركين.

(٤) ديوان الصاحب بن عباد: ٣٢ وفيه: وتشهد. وفي البيت الثاني: تبلّدوا.

(٥) في (ك) بعد كلمة (تلذّدوا) كلمة (تردّدوا). وفي (هـ): تبلّد. ثم بعدها. تلذّد.

فصل [-٢٣-]

[من دلائل وجود الله]

قوله - تعالى -: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(١)، ﴿الْمُتَعَالَى الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(٢)، ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾^(٣).

جاء عبدُ الملك^(٤) بن أبي العوجاء إلى الصادق - عليه السلام - فقال: يا أبا عبد الله، إنَّ المجالسَ بالأماناتِ، ولا بدَّ لكلِّ مَنْ بِهِ سُعَالٌ أَنْ يَسْعَلَ^(٥)، فتأذُنُ لي بالكلام؟

فقال: تكلِّم بما شئتَ.

فقال: إلى كم تَدُوسونَ هذا البيدرَ، وتَلُودونَ بهذا الحجرَ، وتعبُدونَ هذا

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) آل عمران: ١، ٢.

(٣) غافر: ٦٥.

(٤) غافر: ٦٨.

(٥) الكافي: ١: ٧٥ - ٧٦. التوحيد: ١٢٧، ٢٥٢. أسالي الصدوق: ٥٥٢ - ٥٥٣ الإرشاد: ٣١٥.

الاحتجاج: ٢: ٧٤ - ٧٥.

(٦) في (ط): سؤال أن يسأل.

البيت المرفوع بالطوب، والمدر، وتُهرولون هرولة البعير، إذا نفر؟ من فكّر فيها، أو قدر، عليم أن هذا، أسسه غير حكيم، ولا ذو نظر.

فقال - عليه السلام -: إن يكن الأمر على ^(١) ما تقول، وليس كما نقول نجونا، ونجوت، وإن لم يكن الأمر على ما تقول، وهو كما نقول، نجونا، وهلكنا.

فقال: ما قولي، وقولهم، إلا واحد ^(٢).

فقال - عليه السلام -: كيف يكون ذلك. وهم يقولون: / ٣١ / إن لهم معاداً، وثواباً، وعقاباً، ويدينون أن للسماء إلهاً، وأنها عمران، وأنتم تزعمون أنها خراب؟

فقال: ما منعه أن يظهر لخلقهم، ويدعوهم ^(٣) إلى عبادته حتى لا يختلف منهم إثنان؟ ولم احتجب عنهم، وأرسل إليهم الرسل؟

فقال - عليه السلام -: ويلك! وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك؛ ونشوءك ولم تكن، وكبرك بعد صغرك، وقوتك بعد ضعفك، وضعفك بعد قوتك، وسقمك بعد صحتك، وصحتك بعد سقمك، ورضاك بعد غضبك، وغضبك بعد رضاك، وحزنك بعد فرحك، وفرحك بعد حزنك،

(١) في (ك) و(هـ) و(أ): كما تقول.

(٢) في (ش): واحداً.

(٣) (ويلك): ساقطة من (أ) وأثبت بدلاً منها: وكيف يكون ذلك.

وَحُبُّكَ بَعْدَ بَغْضِكَ، وَبَغْضُكَ بَعْدَ حُبِّكَ، وَعِزُّكَ بَعْدَ إِبْطَالِكَ، وَإِبْطَالُكَ بَعْدَ عِزِّكَ، وَشَهْوَتُكَ بَعْدَ كِرَاهِيَتِكَ، وَكِرَاهِيَتُكَ بَعْدَ شَهْوَتِكَ، وَرَغْبَتُكَ بَعْدَ رَهْبَتِكَ، وَرَهْبَتُكَ بَعْدَ رَغْبَتِكَ، وَرَجَاءُكَ بَعْدَ يَأْسِكَ، وَيَأْسُكَ بَعْدَ رَجَائِكَ، وَخَاطَرُكَ بِمَا لَمْ يَكُنْ فِي وَهْمِكَ، وَعُزُوبٌ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْتَقِدُهُ عَنْ ذَهْنِكَ، وَمَا زَالَ يَعْدُ^(١) عَلَيْهِ قُدْرَتُهُ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَنْظَهُرُ.



قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ...﴾ الْآيَةُ^(٢).

سَأَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ^(٣) - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : أَيْنَ كَانَ اللَّهُ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ، وَالْأَرْضِ؟

فَقَالَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : «أَيْنَ»، سَوَّالٌ عَنْ مَكَانٍ، وَكَانَ اللَّهُ، وَلَا مَكَانَ. فَلَمَّا خَلَقَ الْمَكَانَ، لَمْ يَتَغَيَّرْ عَمَّا كَانَ.

وَسَأَلَ نَافِعُ^(٤) الْمُقْرِيءُ، الْبَاقِرَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : أَخْبِرْنِي: مَتَى كَانَ اللَّهُ؟

(١) فِي (ش) وَ(ك) وَ(هـ): يَعْدُهُ، مَعَ الضَّمِيرِ (هَاءِ).

(٢) الْحَدِيدُ: ٣. وَالْآيَةُ بِتَامِهَا: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

(٣) الْكَافِي: ١: ٩٠. التَّوْحِيدُ: ١٧٥. بِزِيَادَةِ فِي اللَّفْظِ فِي كِتَابِنَا عَنْهَا. أَمَالِي الْمُرْتَضَى: ١: ١٤٩. الْعَقْدُ الْفَرِيدُ: ٢: ١٩٧.

(٤) الْكَافِي: ١: ٨٨. بِاخْتِلَافٍ فِي اللَّفْظِ يَسِيرُ. التَّوْحِيدُ: ١٧٣. الْاِحْتِجَاجُ: ٢: ٥٤. وَمِثْلُهُ مَنْسُوبٌ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَمَالِي الصَّدُوقِ: ٥٩٩. وَفِي الْبَدِءِ وَالتَّارِيخِ: ١: ٧٤. مَنْسُوبٌ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

فرفع - عليه السلام - رأسه إليه، وقال^(١) له^(٢): يا نافع^(٣)، أخبرني: متى لم يكن، حتى أخبرك: متى كان؟

فرجع نافع يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالاته.

وسأل أمير المؤمنين^(٤) خبر: متى كان ربك؟

فقال: تكلتلك أمك! متى لم يكن، حتى يقال: متى؟ كان ربي قبل القبل. بلا قبل، ويكون بعد البعد، بلا بعد، ولا غاية، ولا منتهى لغايته، إنقطعت الغايات عنه، فهو منتهى كل غاية.

وفي خطبة أمير المؤمنين^(٥) - عليه السلام -: لم تسبق له حال حالاً، فيكون أولاً، قبل أن يكون آخراً، ويكون ظاهراً، قبل أن يكون باطناً. وقوله^(٦) - عليه السلام -: ليس عن الدهر قدمه، ولا بالناحية أئمة.



(١) في (ك): فقال.

(٢) (له) ساقطة من (ك).

(٣) (يا) ساقطة من (أ).

(٤) الكافي: ١: ٩٠. التوحيد: ٧٧، ١٧٤. باختلاف في اللفظ يسير. الاحتجاج: ١: ٣١٣.

(٥) نهج البلاغة شرح محمد عبده: ١: ١١٢.

(٦) هو في تحف العقول: ١٧٤ منسوب إلى الإمام الحسين بن علي (ع).

فصل [-٢٤-]

[في معنى سمع الله]

قوله - تعالى -: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ...﴾ الآية^(١).

نزلت في أوس بن الصّاميت^(٢)، لما ظاهر زوجته.

ابن مسعود^(٣)، قال: تكلم صفوان بن أمية، وعبدُ ياليل^(٤): إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا تَقُولُ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: إِنَّهُ يَسْمَعُ الْفَدِيدَ^(٥)، دُونَ الْهَمْسِ. وَقَالَ الْآخَرُ: إِنَّ مِنْ سَمْعِ الْفَدِيدِ، سَمْعَ الْهَمْسِ. فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِذَلِكَ، فَتَزَلَّ: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْثَوْنَ﴾ الْآيَاتُ^(٦).

(١) المجادلة: ١.

(٢) جامع البيان: ٢٨: ١. مجمع البيان: ٥: ٢٤٦. أسباب النزول: ٢٧٣. الدر المنثور: ٨: ٧٠ - ٧٤. التفسير الكبير: ٢٩: ٢٤٩. الجامع لأحكام القرآن: ١٧: ٢٦٩.

(٣) جامع البيان: ٢٤: ١٠٩. باختلاف الرواية واللفظ. مجمع البيان: ٥: ١٠. أسباب النزول: ٢٥٠. باختلاف اللفظ ودون ذكر اسمي المتكلمين.

(٤) في (ك) و(أ): عبدناقل.

(٥) الفديد: الصّوت والجلية. [المعجم الوسيط (فَدَدَ)]

(٦) فصلت: ٢٢ - ٢٥.

المفسرون عن أمير المؤمنين^(١) - عليه السلام - في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾^(٢): إِنَّهُ سَرَى دَاوُدَ - منفرداً - إلى جبلٍ للتعبُّد، فكانَ يناجي ربَّهُ، فعرض له وحشة، فقال الله - تعالى -: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾^(٣)، فسبَّحوا الله^(٤)، وهلَّلوه، فهجس - في ضميره - رحمتهم^(٥)، فأخذَ مَلَكٌ عَصْدَهُ، وأتى به إلى السَّاحِلِ، وركل^(٦) البحرَ برجله، فانشقَّ البحرُ، وظَهَرَ الحِيتَانُ، فَطَرَدَهُمْ، فَأَبْدَى صَخْرَةً، عليها دودةٌ، فقال: يا داودُ، إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ نَفْسَ هَذِهِ الدُّودَةِ، في هذا المكانِ.

واعلم: أنَّ إسماعَ الكلامِ، يَشتمَلُ - في اللَّغَةِ - على ثلاثةِ أوجهٍ: على الإدراكِ بحاسَّةِ السَّمْعِ. وهو حقيقةٌ فيه.

وفي العلمِ بالكلامِ على ما ذكرَ جماعةٌ من المفسِّرينَ، وأهلِ العدلِ، من البغداديين^(٧) في قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾^(٨)، وقولِ

(١) مجمع البيان: ٤: ٣٨٢.

(٢) سبأ: ١٠.

(٣) سبأ: ١٠.

(٤) في (ح): لله. مع حرف الجر (اللام).

(٥) في (ط): رحمتهم. بالجيم المعجمة من تحت.

(٦) في النسخ جميعها: ركض، ولا معنى لها ضمنَ السياق.

(٧) الملل والنحل: ١: ١١٧، ١٢٦. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: ١: ١٧٥.

(٨) المجادلة: ١.

القاتل: أنا^(١) بمسمع منك. وأنا سامعٌ لكلامك، ومشاهدٌ لفعالك. إذا كان يراعي أخباره، حتى تصل^(٢) إليه، ويعلمها.

وفي الكلام الذي يحصل^(٣) فائدة. يقال: كلام فلان مسموع. والسلطان يسمع قول فلان. فيتبعون الوصف بالسماع.

ويستعمل - في اللغة أيضاً - ردّ الجواب على ثلاثة أوجه:

في ردّه بالكلام.

وفي فعلٍ ما تضمنه السؤال، كالذي^(٤) يسأل غيره فعلاً، فيفعل المسؤول ما تضمنه سؤاله، فيقال: قد أجابه، وإن لم يتكلم.

وفي^(٥) فعلٍ ما يقتضيه الحال من الأفعال. وهذا مثل قول الحاج عند الاستلام^(٦): أمانتي أدّيتها، وميثاقي تعاهدته، لتشهد لي بالموافاة غداً. مودّعاً الله - تعالى - وخطاباً له، وهو المستمع له، والمجازي به. وإنما أضافه إلى الحجر، لأنّه عمّل عنده، وعبادة فيه، وقربة إلى الله به. فكأنه قال: أمانتي في استلامك أدّيتها.

(١) في (هـ): إني أنا...

(٢) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يصل. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٣) في (هـ): تحصل.

(٤) العبارة: «كالذي يسأل... سؤاله» ساقطة من (أ).

(٥) في (هـ): في. من دون الواو.

(٦) في (أ): الإسلام.

ومعنى: «لِتَشْهَدَ لِي بِالْمُؤَافَاةِ». أي: لِيَكُونَ عَمَلِي - عندكَ - شاهداً / ٣٢ - عند الله - تعالى - لموافاتي بما نددتُ إليه من العبادَةِ، المتعلِّقَةِ بِكَ، المفعولُ فيكَ.

وأما قولُ الزَّائِرِ^(١) لمشاهِدِ الأئمَّةِ: أَشْهَدُ أَنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامِي، وتردُّ جوابي. فيكونُ معنى ذلك: قَبُولُ الله - تعالى - دُعَاءِ زَائِرِهِمْ^(٢)، وإِجَابَةُ مَسَائِلِهِمْ. فَصَارَ قَبُولُهُ - تعالى - مِنْ أَجْلِهِمْ، كَأَنَّهُ قَبُولٌ مِنْهُمْ.

وَيَجْرِي ذَلِكَ بِجَرَى قَوْلِهِمْ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ. فِي أَنَّ مَعْنَاهُ الْقَبُولُ، لَا جَرْدَ^(٣) الإِدْرَاكِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: خَاطَبْتُ فَلَانًا، فَمَا سَمِعَ كَلَامِي. أَي: مَا قَبْلَهُ. قَالَ الشَّاعِرُ^(٤):

دَعْوَتُ اللهِ حَتَّى خَفْتُ أَلَا يَكُونُ اللهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ
أَي: لَا يَقْبَلُ.

وغيرُ منكرٍ أن يكونَ اللهُ - تعالى - بَلَّغَهُمْ دُعَاءَ زَائِرِهِمْ^(٥)، فَيَسْمَعُونَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ. وَقَدْ صَحَّ بِإِجْمَاعِ الطَّائِفَةِ الْمُحَقِّقَةِ، وَالْأَخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ: أَنَّهُمْ - بَعْدَ وَفَاتِهِمْ -

(١) انظر مفاتيح الجنان: ٤١٧، ٣٤٩.

(٢) في (أ): إبراهيم.

(٣) في (ك): محرَّر، بالخاء المهملة.

(٤) النوادر: ٣١٨ منسوباً إلى شُمَيْرِ بْنِ الْحَارِثِ. الزَّاهِر: ١: ١٥٤. الأضداد: ١٣٧ أمالي المرتضى:

١: ٦٠٣. لسان العرب (مادة - سمع).

(٥) في (أ): إبراهيم.

بِالْجَنَانِ. وَقَالَ اللَّهُ - تعالى -: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. فَرِحِينَ﴾^(١). وهذا في الشهداء، فكيف في الأوصياء؟ وقول النبي^(٢) - عليه السلام -: من صلى عليَّ - عند قبري - سَمِعْتُهُ، ومن صلى - عليَّ - في أقطار الأرض، بُلِّغْتُ.



(١) آل عمران: ١٦٩، ١٧٠.

(٢) سنن أبي داود: ١: ٤٧١ باختلاف اللفظ. أوائل المقالات: ٨٩. شرح عقائد الصدوق أو

تصحيح الاعتقاد: ٢٣٤. تاريخ بغداد: ٣: ٢٩٢. باختلاف سير في اللفظ.

فصل [- ٢٥ -]

[في خلق القرآن]

قوله - تعالى -: ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٌ ﴾^(١).

تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي الْقُرْآنِ، فَقَالَتِ الْكُفْرَةُ: ﴿ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾^(٢). فشاركهم فيه المجرَّة.

وقال^(٣) المشركون: ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾^(٤)، فوافقهم المعتزلة في اللَّفْظِ.

وقالت الزنادقة^(٥): ﴿ إِفْكٌ أَفْتَرَاهُ ﴾^(٦). فتبعهم الصُّفَاتِيَّةُ^(٧)، إذ^(٨) قالوا:

(١) الأنبياء: ٢.

(٢) الأحقاف: ١١.

(٣) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): قالت. مع تاء التانيث الساكنة.

(٤) ص: ٧.

(٥) في (أ) الزيادة. وهو تحريف.

(٦) الفرقان: ٤.

(٧) مقالات الإسلاميين: ٢: ٥٩٠ - ٥٩٣.

(٨) في (ش) و(أ): إذا، وفي (ك): إذًا.

ليس في المصحف، قرآن، وإنما القرآن، قائم بذات الباري.

وَقَالَ اللَّهُ - تعالى - : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٌ ﴾^(١)، فاعتقده الإمامية^(٢).

و«الذكر»: القرآن، قوله^(٣) في عقبه: ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُمْ﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾^(٥)، وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٦).

والمُنَزَّل المحفوظ، لا يكون إلا محدثاً، لأن القديم، لا يُنزل، ولا يحتاج إلى حفظه. وقد سَمَّاهُ اللَّهُ - تعالى - في المصحف، بمائة اسم - سَأَذْكُرُهَا في «أسباب نزول القرآن»^(٧) - إن شاء الله - ، كلُّ اسمٍ يدلُّ على حدوثه، ومنها:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾^(٨)، ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ﴾^(٩)، ﴿إِنْ

(١) الأنبياء: ٢.

(٢) في (أ): والإمامية. ورأي الإمامية هذا في: الاحتجاج: ٢: ١٨٥. نور الثقلين: ٣: ٤١٣ عن الرضا (ع).

(٣) في (ح): لقوله.

(٤) الأنبياء: ٢.

(٥) الأنبياء: ٥٠.

(٦) الحجر: ٩.

(٧) «أسباب نزول القرآن» كتاب للمؤلف تقدّم ذكره في كتابه هذا وذكره في كتابه: «معالم العلماء»:

١٠٦.

(٨) البقرة: ١٨٥.

(٩) الإسراء: ١٠٦.

عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ^(١)، ﴿أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾^(٢)، ﴿وَكِتَابٍ مُسْطُورٍ﴾^(٣). عباراتٌ عن الجمع، والجمع انضمام الشيء إلى غيره.

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ﴾^(٤)، ﴿قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً﴾^(٥)، ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾^(٦). المنزَّل لا يكون قديماً، والتَّنْزِيلُ: إنزال شيء، بعد شيء، وهو من صفات المحدث.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا﴾^(٧)، ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ﴾^(٨)، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾^(٩). والمفعول^(١٠): المفعول، هو المحدث.

﴿نَزَلَ الْفُرْقَانُ﴾^(١١)، ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾^(١٢)، ﴿أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ

(١) القيامة: ١٧.

(٢) الكهف: ١.

(٣) الطور: ٢.

(٤) الأحقاف: ٢.

(٥) الأنعام: ٣٧.

(٦) الكهف: ١٠٦.

(٧) الزخرف: ٣.

(٨) الشورى: ٥٢.

(٩) النساء: ٤٧.

(١٠) في (أ): المجهول.

(١١) الفرقان: ١.

(١٢) الإسراء: ١٠٦.

الْكِتَابِ ﴿^(١)﴾ مَفْضَلًا لِنَزُولِهِ مَتَفَرِّقًا.

﴿ مَا تَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ ^(٢)، ﴿ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ ^(٣). النَّاسُخُ، وَالْمَنْسُوخُ، وَالْمُحْكَمُ، وَالْمُتَشَابَهُ، كَيْفَ يَكُونُ قَدِيمًا؟

﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ ﴾ ^(٤)، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ ^(٥). الْقَوْلُ لَا يَقْدَمُ عَلَى قَائِلِهِ، وَلَا يَقَارَنُهُ ^(٦)، بَلْ يَكُونُ بِحَسَبِ إِخْتِيَارِهِ.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾ ^(٧)، ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي ﴾ ^(٨)، ﴿ نُنْتَلِي عَلَيْكُمْ ﴾ ^(٩). الرِّسَالَةُ، وَالتَّلَاوَةُ، وَإِعْطَاءُ السَّبْعِ الْمَثَانِي، دَلَالَةٌ عَلَى خُدُوثِهِ. ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ ^(١٠)، الْإِلْقَاءُ، وَالثَّقَلُ مِنْ صِفَاتِ الْحَدُوثِ.

(١) الكهف: ١.

(٢) البقرة: ١٠٦.

(٣) آل عمران: ٧.

(٤) الطَّارِق: ١٣.

(٥) النساء: ١٢٢.

(٦) يُقَارَنُهُ: يَصَاحِبُهُ.

(٧) الحجر: ٨٧.

(٨) الأعراف: ٦٢.

(٩) آل عمران: ١٠١.

(١٠) المزمل: ٥.

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(١)، ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٢). والعربيُّ من زمنِ إسماعيلَ، والعربيَّةُ محدثة^(٣)، ومن زعمَ أنَّ اللهَ عربيٌّ، كفرَ. وما كان غيرَ الله، فهو محدثٌ.

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾^(٤)، دلالةٌ على حدوثه.

﴿مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾^(٥). وَصَفَهُ بِالرَّفْعَةِ، وَالطَّهَارَةِ، وَأَنَّهُ بِأَيْدِي

سفرة.

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾^(٦). فلو كان^(٧) قديماً، لكانَ قَبْلَ

اللَّوْحِ.

﴿طُسَ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ﴾^(٨). وَصَفَهُ بِأَنَّهُ إِنَّمَا يَظْهَرُ بِالْقِرَاءَةِ،

وَالكِتَابَةِ.

﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(٩). الْقَدِيمُ لَا يُمْسُ.

(١) يوسف: ٢. وفي أكثر من موضع في القرآن الكريم.

(٢) الشعراء: ١٩٥.

(٣) في (أ): محدث.

(٤) آل عمران: ١٠٣.

(٥) عبس: ١٤، ١٥.

(٦) البروج: ٢١، ٢٢.

(٧) العبارة: «فلو كان قديماً لكانَ» ساقطة من (أ).

(٨) النمل: ١.

(٩) الواقعة: ٧٩.

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(١). يدلُّ على حدوثه من حيثُ أنه كَلَّمَ^(٢) موسى خاصَّةً، دونَ غيره من الأنبياء، وكَلَّمَ في وقتٍ دونَ وقتٍ، ولو كانَ قديماً، لم يكن - في ذلك - إختصاصٌ.

﴿وَمَتَّ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾^(٣). في الآية^(٤) دلالةٌ على أنه محدثٌ، لأنَّه وَصَفَهُ بالتَّام، والعدلِ، وذلك لا يكونُ إلاَّ حادثاً.

﴿وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ﴾^(٥). وصفه بالإنزالِ، وبأنَّه مباركٌ يُتَبَرَّكُ بهِ، وذلك من صفاتِ / ٣٣ / المحدثاتِ.

﴿قَلِيلًا تَوَاتَوْا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾^(٦). يَبَيِّنُ أَنَّ لَهُ مِثْلًا.

﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾^(٧). يدلُّ على أنه حادثٌ، لأنَّ القديمَ، لا يكونُ^(٨) حديثاً.

(١) النساء: ١٦٤.

(٢) في (أ): تكلَّم.

(٣) الأنعام: ١١٥.

(٤) في (أ): في الآية في دلالة.

(٥) الأنبياء: ٥٠.

(٦) الطُّور: ٣٤.

(٧) يوسف: ١١١.

(٨) في (ش): لا يكون له حديثاً.

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى﴾ ^(١). يَبَيِّنُ أَنَّ ^(٢) لَهُ أَوَّلًا.

﴿قِيَاسِي حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ ^(٣). ذَكَرَ أَنَّ لَهُ آخَرَ.

أمير المؤمنين - عليه السلام -: وإِنَّمَا كَلَامُهُ - سُبْحَانَهُ - فَعَلَّ مِنْهُ، أَنْشَأَهُ،
لَمْ يَكُنْ - مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ - كَائِنًا، وَلَوْ كَانَ قَدِيمًا، لَكَانَ إِلَهًا ثَانِيًا.

عمران ^(٤) بَنُ الْحَصِينِ: قَالَ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ^(٥): كَانَ اللَّهُ، وَلَا شَيْءٌ،
ثُمَّ خَلَقَ الذَّكَرَ، وَإِنَّهُ لَيْسَ - فِيمَا خَلَقَ اللَّهُ - شَيْءٌ أَعْظَمُ مِنْ آيَةٍ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ:
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...﴾ ^(٦).

وَكَتَبَ عَلِيٌّ ^(٧) بَنُ مُحَمَّدٍ التَّقِيُّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَى بَعْضِ شِيعَتِهِ بِبَغْدَادَ: بِسْمِ
اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الْفِتْنَةِ، فَإِنْ تَفَعَّلَ فِيهَا وَنَعِمْتَ، وَإِنْ
لَمْ تَفْعَلْ، فَهِيَ الْهَلَكَةُ. نَحْنُ نَرَى أَنَّ الْجِدَالَ فِي الْقُرْآنِ، بَدْعَةٌ، إِشْتَرَكَ فِيهَا السَّائِلُ،
وَالْمَجِيبُ، فَتَعَاطَى السَّائِلُ مَا لَيْسَ لَهُ، وَتَكَلَّفَ الْمَجِيبُ مَا لَيْسَ عَلَيْهِ. وَلَيْسَ

(١) هود: ١٧.

(٢) (أَنَّ) ساقطة من (هـ).

(٣) الأعراف: ١٨٥.

(٤) صحيح مسلم: ٢: ١٩٩. سنن أبي داود: ١: ٣٣٧ بلفظ مختلف عن أبي بن كعب. صحيح

الترمذي: ١١: ١٥ عن عبد الله بن مسعود. تاريخ بغداد: ١: ٣٤٦.

(٥) في (أ): صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

(٦) البقرة: ٢٥٥.

(٧) التوحيد: ٢٢٤. باختلاف يسير في اللفظ. أمالي الصدوق: ٤٨٩.

الخالقُ إِلَّا اللهَ، وما سِوَاهُ، مخلوقٌ. فالقرآنُ، كلامُ الله، لا تَجْعَلُ له إِسْمًا^(١) من عندِكَ، فَتَكُونَ مِنَ الضَّالِّينَ. جَعَلَنَا اللهُ، وَإِيَّاكَ مِنَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ، وهم من السَّاعَةِ، مُشْفِقُونَ.

سُئِلَ الصَّادِقُ^(٢) - عليه السلام - عن القرآن، فقال:

كلامُ الله، وقولُ الله، ووحْيُ الله، وكتابُ الله، وتنزيلُهُ، وهو الكتابُ العزيزُ، الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ من بَيْنِ يَدَيْهِ، وَلَا من خَلْفِهِ، تنزِيلٌ من حَكِيمٍ حميدٍ. الرُّضَا^(٣) - عليه السلام -: القرآنُ كلامُ الله، لا تتجاوزوه، ولا تطلبوا الهدى من غيرِه، فتضلُّوا.

وسُئِلَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ^(٤) - عليه السلام عن القرآن، فقال - عليه السلام -: ليسَ بخالقي. ولا مخلوقٍ. وهو كلامُ^(٥) الخالقي. بيت^(٦):

(١) في (أ): أسماء.

(٢) التوحيد: ٢٢٤. أمالي الصدوق: ٤٨٨.

(٣) التوحيد: ٢٢٤. عيون أخبار الرضا: ٢: ٥٦. أمالي الصدوق: ٤٨٩. وبعض الخبر في تفسير العياشي: ١: ٨٠٦.

(٤) التوحيد: ٢٢٣ وفيه: عن الرضا (ع). أمالي الصدوق: ٤٨٨. وفيه: عن الرضا (ع) أيضاً. تفسير العياشي: ١: ٦٠-٧ عن الباقر (ع). الدر المشور: ٧: ٢٢٤ عنه (ع). وفي الأسماء والصفات: ٢٤٦، ٢٤٧ منسوب إلى جعفر بن محمد الصادق (ع).

(٥) في (أ): الكلام.

(٦) لم تقف على قائله ولا مورد أخذه.

كَلَامُ رَبِّي لَا يُبَارِزُونَهُ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، وَلَا خَالِقٍ
الصَّاحِبُ^(١):

قالت: فما القول في القرآن؟ سَقَهُ لَنَا قُلْتُ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ أَيْنَ^(٢) تُلِي
قالت: فأين دليلُ الخلقِ فيه؟ أين فَقُلْتُ: تَرْكِيئُهُ مِنْ أَحْرَفِ الْجُمَلِ
وَلَهُ^(٣):

قَدْ جَهِلْتُ فِي قَدَمِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ جَهْلِ عَابِدِ الْأَوْثَانِ
قالت: قديمٌ، ليس بالرحمن فَصَارَ هَذَا كَقَدِيمٍ ثَانِي



(١) ديوان الصاحب بن عباد: ٤١. وفيه: قُلْتُ ذَاكَ كَلَامُ اللَّهِ أَيْنَ تُلِي.

(٢) في (ك): وَأَيْنَ.

(٣) أدخلَ بهما ديوانه المطبوع، بتحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين.

فصل [-٢٦-]

[في كون القرآن محدثاً]

قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ... ﴾ الآية^(١).

الظاهر يقتضي أنه يريد - أولاً - بقول: «كُنْ»، لما لم يُرَدَّه. وإذا كَانَ كَذَلِكَ، فالإرادة مُتَقَدِّمَةٌ عَلَيْهِ، وما تَقَدَّمَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، فهو مُحَدَّثٌ. أبو سعد الأبى^(٢):
انزَلَ ذِكْرًا مُخَكَّمًا كَرِيمًا وَلَا يَكُونُ مُنْزَلٌ قَلِيلًا^(٣)

قوله - سبحانه - : ﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(٤)، وقوله:
﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ... ﴾ الآية^(٥).

(١) النحل: ٤٠ وتكملة الآية في (هـ): ﴿ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾.

(٢) هو الوزير أبو سعد منصور بن الحسين الأبى.

(٣) لم تقف على مورد أخذه.

(٤) مريم: ٣٥.

(٥) النحل: ٤٠.

فـ«كُنْ» مُستقبلٌ. وإذا كَانَ مستقبلاً، إِنَّمَا يوجدُ في الاستقبالِ، دونَ الماضي، وذلك يُوجبُ حدوثَهُ. والظَّاهِرُ يدلُّ على أَنَّهُ مُحَدَّثٌ، القولُ الَّذِي هُوَ الأمرُ، بأن نقولَ: كُنْ. وقد قضاهُ. والكافُ متقدِّمةٌ على النُّونِ، والنُّونُ متأخِّرةٌ عنها. والتَّقْدِيمُ، والتَّأخِيرُ، دليلُ الحدوثِ، ولو كانت إِرَادَتُهُ قديمةً.

وقوله: «كُنْ» - قديماً - وجبَ أن يكونَ المراداتُ حاصلةً في القدمِ، أو متأخِّرةً عنه. وأفعاله: ماضٍ، وحالٌ، واستقبالٌ. إِبْنُ عَلَوِيَّةَ^(١):

جَلَّ^(٢) المهيمنُ أن يُحدَّ بمنطقي^(٣) وتوهمُ بكَهَانَةِ الكُفَّانِ
أو أن يُبعَضَ أو يقالَ: كلامُهُ يجري بصوتٍ من فمٍ ولسانٍ



قوله - سبحانه -: ﴿ مَا تَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾^(٤).
فيه دليلٌ على: أنَّ القرآنَ، غيرُ الله، وأنَّ اللهَ، هو المحدثُ له، والقَادِرُ عَلَيْهِ، لأنَّ مَا كانَ بَعْضُهُ جُزْءاً من بعضٍ، فهو غيرُ الله، لا محالة^(٥).

(١) لم تنف على مورد أخذه.

(٢) في (أ): حلَّ. بجاء مهملة.

(٣) في (هـ): يَنْطِقاً.

(٤) البقرة: ١٠٦.

(٥) في (ك): لا إعادة.

وفيها دليل^(١) على أن الله قادرٌ عليه، وما كان داخلاً تحت القدرة، فهو فعلٌ. والفعل لا يكون إلا محدثاً، وإنه لو كان قديماً لَمَا صَحَّ^(٢) وجودُ النَّسخِ فيه، لأنه إذا كان الجميعُ حاصلًا فيما لم يزل، فليس بعضُهُ بأن يكون ناسخاً، والآخرُ منسوخاً، بأولى من العكس.

قوله - سبحانه -: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾^(٣).

الظَّاهِرُ يُوجِبُ كَوْنَ الْخَلْقِ، وَالْأَمْرِ، لَهُ، وَلَا يَصِحُّ كَوْنَ الْقَدِيمِ لَهُ^(٤)، لَأَنَّ الْقَدِيمَ، لَا يَصِحُّ فِيهِ الْمُلْكُ، وَالْخَلْقُ غَيْرُ الْأَمْرِ، لَأَنَّهُ يُقَالُ: خَالَقٌ. لِمَا لَيْسَ بِفَاعِلٍ كَمَا قَالَ^(٥):

وَأَنْتَ تَقْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْضُ الْخَلْقِ^(٦) يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَقْرِي
فَصَحَّ أَنَّ الْأَمْرَ، غَيْرُ الْخَلْقِ، وَيَكُونَانِ مَخْلُوقَيْنِ.

(١) في (هـ): دلالة.

(٢) في (أ): يَصَحُّ.

(٣) الأعراف: ٥٤.

(٤) العبارة: «له لأن القديم» ساقطة من (أ).

(٥) هو زهير بن أبي سلمى. انظر شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٩٤ وفيه: بعض القوم.

(٦) في (أ): الخالق.

والأمر^(١)، لفظه: «افعل». وهذا لا بد من أن يكون حادثاً، لتقدم بعض الحروف على بعضي، وتواتر حدوثها^(٢). وبمعنى العمل. وهذا - أيضاً - حادث. واثبات أمر غير معقول، محال. ولو كان قديماً، لم يكن الله به، أمراً، لأنه يصير به فاعلاً، ولو صار به أمراً، لجعل جميع المأمورين، مأمورين، وإن كانوا معدومين.

وما قالت المجبرة^(٣) - في هذه الآية -: إنه أفرد الأمر بالذكر، بعد ذكره الخلق، دل على أن الأمر ليس بمخلوق، باطل لقوله: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾^(٤).

ولو كان الأمر كذلك، لوجب ألا يكون جبريل، وميكال من الملائكة. ونظيره: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾^(٥).

قوله - سبحانه -: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾^(٦).
الظاهر: أنه أنزل الجميع فيه، وقد أنزله في عدة أوقات؟

(١) في (أ): هي الأمر.

(٢) في (ج): حذفها.

(٣) مقالات الإسلاميين: ٢: ٦٠٢.

(٤) البقرة: ٩٨.

(٥) الأحزاب: ٧.

(٦) البقرة: ١٨٥.

فالجواب: إِنَّهُ أَنْزَلَهُ جَمْلَةً وَاحِدَةً إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، ثُمَّ فَرَّقَ
إِنْزَالَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا تَدْعُو الْحَاجَةُ إِلَيْهِ.

وَقَالُوا: أُنْزِلَ فِي فَرْضِهِ، وَإِيجَابِ صَوْمِهِ عَلَى الْخَلْقِ، فَيَكُونُ فِيهِ مَعْنَى: فِي
فَرْضِهِ. كَقَوْلِ الْقَاتِلِ: أُنْزَلَ اللَّهُ فِي الزَّكَاةِ كَذَا، وَكَذَا. يَرِيدُ: فِي فَرْضِهَا. وَأَنْزَلَ اللَّهُ
فِي الْخَمْرِ: كَذَا، وَكَذَا. أَيْ: فِي تَحْرِيمِهَا. وَالصَّحِيحُ: إِنَّ قَوْلَهُ: «الْقُرْآنُ» - فِي هَذَا
الْمَوْضِعِ - لَا يَفِيدُ الْعُمُومَ، وَالِاسْتِغْرَاقَ، وَإِنَّمَا يَفِيدُ الْجِنْسَ مِنْ غَيْرِ مَعْنَى
الِاسْتِغْرَاقِ. فَكَأَنَّهُ - تَعَالَى - قَالَ: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ كَلَامٌ مِنْ هَذَا
الْجِنْسِ. فَأَيُّ شَيْءٍ، نَزَلَ مِنْهُ، فِي الشَّهْرِ، فَقَدْ طَابَقَ الظَّاهِرَ.



قَوْلُهُ - سَبِّحَانَهُ -: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ﴾^(١)، وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَتُوا بِهِ
مُتَشَابِهًا﴾^(٢).

مَجَازُ الْآيَةِ: لَيْسَ عَلَى أَنَّهُ مُتَشَابِهٌ فِي لَوْنٍ، أَوْ طَعْمٍ، بَلْ فِي الْفَضْلِ. كَمَا تَقُولُ:
مَا أَدْرِي مَا اخْتَارُ مِنْ هَذِهِ الثِّيَابِ. كُلُّهَا - عِنْدِي - فَاضِلٌ^(٣).



(١) الزُّمَرُ: ٢٣.

(٢) الْبَقَرَةُ: ٢٥.

(٣) فِي (ش): فَاضِلٌ.

فصل [-٢٧-]

[في معنى كون الله هو الغني]

قوله - تعالى - : ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^(١) ، ﴿بِأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(٢) ، ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾^(٣) ، ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾^(٤) .

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي الْعُجَّاءِ، لِلطَّاقِي^(٥) : أَتَزْعُمُ أَنَّهُ غَنِيٌّ؟ قَالَ : نَعَمْ .

قال : أَيْكُونُ الْغَنِيُّ - عِنْدَكَ - فِي الْمَعْقُولِ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ ، لَيْسَ عِنْدَهُ ذَهَبٌ وَلَا فَضَّةٌ؟

قال : إِنْ كَانَ غَنِيًّا مِنْ قَبْلِ ذَهَبِهِ وَفَضَّتِهِ ، وَتِجَارَتِهِ ، فَهَذَا كُلُّ مَا يَتَعَامَلُ

(١) لقمان : ١٢ .

(٢) فاطر : ١٥ .

(٣) الأنعام : ١٣٣ .

(٤) محمد : ٣٨ .

(٥) في (ك) : للطائي . بالناء المثلثة بعد الألف .

النَّاسُ بِهِ، مِنْهُ. فَأَيُّ الْقِيَاسِ، أَكْثَرُ، وَأَوَّلَى مِنْ أَنْ يَقَالَ: غَنِيٌّ مِنْ أَحَدٍ الْغَنَى،
فَأَغْنَى بِهِ النَّاسَ، قَبْلَ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ، أَوْ مِنْ أَفَادَ مَالاً فِي هَبَةٍ، أَوْ تِجَارَةٍ؟
فَقَالَ: هَذَا مِنْ كَلَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -.



قوله - سبحانه -: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾^(١).

يَكُونُ مَجَازاً فِي اللَّغَةِ، لِأَنَّ حَقِيقَتَهُ، أَنْ يُسْتَعْمَلَ لِلْحَاجَةِ، وَاللَّهُ - تَعَالَى - هُوَ
الْغَنِيُّ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَمْلِكَ اللَّهُ - تَعَالَى - لِأَنَّهُ مَالِكُ الْأَشْيَاءِ مِنْ غَيْرِ تَمْلِكٍ، وَلَئِنْ
الْمَالِكُ، لَا يَمْلِكُ مَا هُوَ مَالِكُهُ^(٢)، فَيَكُونُ ذِكْرُ الْقَرْضِ فِي صِفَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - تَلَطُّفاً
فِي الْاسْتِدْعَاءِ إِلَى الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَهُوَ كَالْقَرْضِ، فِي مِثْلِهِ مَعَ أَضْعَافِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿يُضَاعِفُهُ لَكُمْ﴾^(٣). أَي: يَضَاعَفُ ثَوَابَهُ لَكُمْ بِأَمثَالِهِ.

وَقَالَ^(٤) مَتَكَلَّمٌ: مَا سِوَى اللَّهِ، إِمَّا جِسْمٌ، أَوْ عَرَضٌ. فَالْجِسْمُ مُفْتَقِرٌ إِلَى
الْكُونِ، لَا يَوْجَدُ إِلَّا مَعَهُ. وَالْعَرَضُ مُفْتَقِرٌ إِلَى الْجِسْمِ، لَا يَوْجَدُ إِلَّا فِيهِ. فَالْأَشْيَاءُ،
كُلُّهَا مُفْتَقِرَةٌ، مُحْتَاجَةٌ، وَاللَّهُ، الْغَنِيُّ وَحْدَهُ. إِحْتَاجُ إِنَّا إِلَى وَاحِدٍ لِيَصِيرَ ثَلَاثَةً،

(١) البقرة: ٢٤٥. الحديد: ١١.

(٢) فِي (أ): مَالِهِ.

(٣) التَّغَابُنِ: ١٧.

(٤) لَمْ أَقِفْ عَلَى اسْمِهِ وَلَا مِثْلَتِهِ كَلَامِهِ.

وهكذا الثلاثة، والأربعة، وسائر الأعداد. والواحد لا يحتاج إلى آخر ليصير واحداً، فالخلق كلهم محتاجون إلى الله، وهو الغني عنهم.

بعض الصادقين^(١) - عليهم السلام - ومن بالنعم أولاً بجودِهِ، وجزاءً بعدلِهِ، وثواباً بلطفِهِ.

وقد بينَّ الله - تعالى - أنه مريدٌ، وكارهٌ في آياتٍ، منها قوله: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾^(٢)، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾^(٣)، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ﴾^(٤)، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾^(٥). وَقَالَ - تعالى - : ﴿وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾^(٦)، ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾^(٧)، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾^(٨).

(١) المقصود بهم الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام).

(٢) النساء: ٢٧.

(٣) النساء: ٢٨.

(٤) البقرة: ١٨٥.

(٥) النساء: ٢٦.

(٦) البقرة: ١٨٥.

(٧) الأحزاب: ٣٣.

(٨) التوبة: ٤٦.

(٩) الإسراء: ٣٨.

(١٠) الحجرات: ٧.

فمن المعلوم أنه لا يجبُ إلّا ما يحبُّه، ولا يكرهُ إلّا ما يكرهه^(١)، وأنّه إذا لطفَ في تحبيبِ الإيَّانِ بالطَّافَةِ، دلَّ على ما نقوله^(٢) في اللُّطْفِ.

قوله - سبحانه -: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْنَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٣).

يدلُّ على أنَّ إرادةَ الله، محدثَةٌ، لأنَّ الاستثناءَ، يدلُّ على ذلك، لأنَّها لو كانت قديمةً، لم يَجُزْ هذا الاستثناءُ، كما لا يجوز أن يقولَ القائلُ: لا يدخلُ زيدٌ في الدَّارِ، إلّا أن يقدَّرَ اللهُ، أو إلّا أن يَعْلَمَ اللهُ. لحصولِ هذه الصِّفَاتِ فيما لم يزل.

قوله - سبحانه -: ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾^(٤).

يدلُّ على حدوثِ المشيئةِ، لأنَّه لا يجوزُ إذا قَدَرَ عَلَى شَيْءٍ، فَعَلَهُ. وَيَجُوزُ إِذَا يَشَاءُ أَنْ يَفْعَلَ فَعَلَهُ.



(١) في (هـ): أكرهه.

(٢) في (أ): نقول. من دون الضمير (الهاء).

(٣) الأنعام: ١١١.

(٤) الشورى: ٢٩.

فصل [- ٢٨ -]

[في تنزيه الله عن الجسميّة]

قوله - تعالى - : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾^(١)، وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾^(٣)، وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(٤).

المراذ بها الإخبار عن كونه - سبحانه - عالماً أبداً، بخفي^(٥) أحوالنا وأسرارنا.

والمعنى: ونحن أقرب إليه مما يُذكره من حبل الوريد [في القرب]. أي: إنّي أعلم به^(٦).

(١) البقرة: ١٨٦.

(٢) ق: ١٦.

(٣) العلق: ١٩.

(٤) الحديد: ٤.

(٥) في (ش): يخفى. بصيغة الفعل المضارع وبياء المضارعة المثناة من تحت.

(٦) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش).

وقيل: نحن أقرب إليه من حبل الوريد، لو كان مُدْرَكًا.

وقيل: نحن أملك به من حبل الوريد في الاستيلاء عليه، وذلك أن حبل الوريد في حيز غير حيزه، والله - تعالى - مدرك بنفسه، وما لك له بنفسه.

قوله - سبحانه -: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾^(١).

معناه: قربناه من الموضع الذي شرفناه، وعظمناه بالحصول فيه، ليستمع كلامه - تعالى -.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٢)، ومجاهد^(٣): قُرَّبَ من أعلى الحُجُبِ، حَتَّى سَمِعَ صَرِيرَ الْقَلَمِ.

وقيل: معناه أن محله - منّا - محل من قربه مولاه من مجلس كرامته، لأنَّ التَّقَرُّبَ^(٤) منّا - إليه، بالطَّاعَاتِ - طَلَبُ الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ عِنْدَهُ، بفعلها، لا قُرْبُ الْمَسَافَةِ، كما يقال: فلان قريب من الملك. وإن كان بينهما بون بعيد، ومنه قوله: ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٥).

(١) مريم: ٥٢.

(٢) جامع البيان: ١٦: ٩٤ بلفظ مختلف. الجامع لأحكام القرآن: ١١: ١١٤.

(٣) جامع البيان: ١٦: ٩٥ بلفظ مختلف.

(٤) في (أ) و(ج): التَّقَرُّبِ.

(٥) النساء: ١٧٢.

ويقال: معناه، التَّقَرُّبُ إلى رَحْمَتِهِ. ومعنى ذلك: أن يفعل الطَّاعَةَ لِيَكُونَ - بِفِعْلِهَا - أَقْرَبَ إلى أَنْ يَغْفِرَ لَنَا، وَيَرْحَمَنَا.

قوله - سبحانه -: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾^(١)، وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٢).

يدلُّ على أنه ليس بجسم، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيَةً﴾^(٣) أي: مثلاً. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٤).

سُئِلَ الصَّادِقُ^(٥) - عليه السلام - عن الآية، فقال: نورٌ لا ظلمة فيه، علمٌ لا جهل فيه، حياةٌ لا موت فيه.

وسُئِلَ أبو جعفر^(٦) الثاني - عليه السلام -: أيجوز أن يقال لله - تعالى -: إِنَّهُ

شَيْءٌ؟

(١) المجادلة: ٧.

(٢) الحديد: ٤.

(٣) مريم: ٦٥.

(٤) الشورى: ١١.

(٥) التوحيد: ١٣٧، ١٣٨. عن الصادق، والرُّضا، والباقر - عليهم السلام -.

(٦) الكافي: ١: ٨٢، ٨٥. التوحيد: ١٠٧. معاني الأخبار: ٨ - ٩ وفيها: «وَحْدُ التَّغْيِيلِ». وفي

الاحتجاج: ٢: ٢٣٨ ما يطابق رواية كتابنا.

فقال - عليه السلام -: نعم! نُخْرِجُهُ عَنْ حَدِّ الْإِبْطَالِ، وَحَدِّ التَّشْبِيهِ.

إِبْنُ حَمَّادٍ^(١) :

وَقَالُوا: لَهُ مِثْلٌ أَوْ صَافِنَا فَقَدْ صَوَّرُوهُ، وَقَدْ جَسَّمُوهُ
فَمَا عَرَفُوهُ وَلَا عَبَّدُوهُ وَلَا وَقَّعَرُوهُ وَلَا عَزَّزُوهُ^(٢)

العوني^(٣) :

جَلَّ مِنْ لَيْسَ لَهُ شِبْهُ عَظِيمِ الْأَعْظَمِيَا
فَهُوَ شَيْءٌ لَيْسَ كَالْأَشْيَاءِ مِمَّا تَزْعُمُونَا



قوله - سبحانه -: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾^(٤).

في الآية: دلالة على من قال: لا يوصف - تعالى - بأنه شيء، لأنه لو كان
- كما قال - لما كان - للآية - معنى. كما أنه لا يجوز أن يقول القائل^(٥): أيُّ النَّاسِ،

(١) (ابن حماد) ساقطة من (هـ).

(٢) لم نقف على المورد الذي أخذه منه.

(٣) لم نقف على مورد أخذه.

(٤) الأنعام: ١٩.

(٥) (تعالى) سقطت من (ح).

(٦) (ي) (ش): للقائل. مع حرف الجزر (اللام).

أصدق؟ فيجاب بجبريل. لما لم يكن من جملة الناس، بل كان من الملائكة.

وَقَالَ أمير المؤمنين - عليه السلام -: قوله، فعله، من غير مباشرة، وتفهمه من غير ملاقة، وهديته من غير إيباء، وكلامه من غير آلة، ونيتُه من غير اعتقاد، وجهه، حيث توجهت، وقصده، حيث يعمت، وطريقه حيث استقمت. منك يفهمك، وعنك يعلمك. ارتبط كل شيء بضده، وقطعه بحدّه. ما تخيل، فالتشبيه له مقارن، وما توهم، فالتنزيه له مُباين.

وَقِيلَ لِلصَّادِقِ^(١) - عليه السلام -: إِنَّ هِشَامًا يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ، جِسْمٌ، لَا كَالْأَجْسَامِ.

فَقَالَ: قَاتِلَهُ اللَّهُ! أَمَا عَلِمَ أَنَّ الْجِسْمَ مَحْدُودٌ، أَبْرَأَ إِلَى اللَّهِ، مِنْ هَذَا الْقَوْلِ.
وفي حديث يونس^(٢): أَمَا عَلِمَ أَنَّ الْجِسْمَ مَحْدُودٌ، مُتَنَاهٍ، وَأَنَّ الْمَحْدُودَ الْمُتَنَاهِي، يَحْتَمِلُ الزِّيَادَةَ، وَالنُّقْصَانَ، وَمَا احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ، وَالنُّقْصَانَ، كَانَ مَخْلُوقًا.
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَرَجِ^(٣) البرجمي: كُتِبَتْ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ - عليه السلام -
أَسْأَلُهُ عَمَّا قَالَ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ، فِي الْجِسْمِ، وَهِشَامُ بْنُ سَالِمٍ فِي الصُّورَةِ، فَكُتِبَ - عليه السلام -: دَخَّ عَنْكَ حَيْرَةُ الْحِيرَانِ، وَاسْتَعِذَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، لَيْسَ الْقَوْلُ

(١) أمالي الصدوق: ٢٤٦ باختلاف في اللفظ يسير. الاحتجاج: ٢: ١٥١ التوحيد: ١٠٠ في جملة بيان.

(٢) الكافي: ١: ١٠٦ الحديث بتمامه ونصّه. التوحيد: ٩٩. في جملة حديث.

(٣) الكافي: ١: ١٠٥. التوحيد: ٩٧. أمالي الصدوق: ٢٤٦. وفيها: محمد بن الفرّج الرّحجي.

مَا قَالَ الْهِشَامَانِ. قَالُوا: فَرَجَعْنَا عَنْ مَقَالِهِمَا.

الصَّاحِبُ^(١):

قالت: فهل هو ذو شبيه وذو مثل
قلت: فقل لي جسم ذاك أم عرض
قالت: وما ضرَّ لو بُتِّه جَسَدًا
قلت: بل خالقُ الجنسينِ فانتهلي^(٢)
قلت: لا توجدُ الأجسامُ في الأزلِ^(٣)
وله^(٤) - أيضاً -:

وآخرُ قال: اللهُ جسمٌ مجسَّمٌ
ولم يدِرْ أن الجسمَ شيءٌ محدّدٌ
وأنَّ الذي قد حُدَّ، لا ريبَ محدثٌ
إذا مَيَّرَ الأمرَ اللَّيْبُ المؤدُّ
غيره^(٥):

عجبتُ لذي التشبيهِ كابرَ عقله
أم العقلُ عنه حينَ شبه عازب^(٦)



(١) ديوان الصَّاحِب بن عبَّاد: ٤٠.

(٢) في الديوان: قالت: أين لي أجسم ذاك...

(٣) في الديوان: قالت: وما ضرَّ لو أُنْبِتُ...

(٤) ديوان الصَّاحِب بن عبَّاد: ٣٢.

(٥) لم نقف على قائله ولا مظنة أخذه.

(٦) في (هـ) و(أ): عجبتُ لذا...

فصل [- ٢٩ -]

[في معنى العرش والاستواء]

قوله - تعالى - : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١).

العرش: السرير. ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾^(٢)، وأصول البناء: ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾^(٣)، وما يُسْتَقَلُّ به: ﴿جَنَاتٍ مَعْرُوشَاتٍ﴾^(٤)، ومنه العريش، والبناء: ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾^(٥)، والبسط: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾^(٦)، وقوام الأمر:

[وفيمن سواهم من ملوك وشوقية] دعائم عرش خاتمة الدهر فانقمر^(٧)

(١) طه: ٥.

(٢) النمل: ٢٣.

(٣) الحج: ٤٥.

(٤) الأنعام: ١٤١.

(٥) النحل: ٦٨.

(٦) هود: ٧.

(٧) قاله: ليبد بن ربيعة العامري. انظر شرح ديوان ليبد بن ربيعة العامري: ٢١٣. ومنه صدر

وَالْمَلِكُ ذَا عَرْشٍ ^(١) تَلَمَّ ^(٢) جَانِبَاهُ ^(٣)

آخِرُ ^(٤) :

إِذَا مَا بُنُوْا مَرْوَانَ تُلَّتْ عَرْوُشُهَا وَأَوْدَتْ كَمَا أَوْدَتْ إِيَادُ وَجْهِرٍ
زَهِيرٍ ^(٥) :

تَدَارِكُنَا الْأَخْلَافَ قَدْ تُلَّ عَرْشُهَا وَذُبْيَانُ إِذْ زَلَّتْ بِأَقْدَامِهَا التَّمَلُّ
فَالْعَرْشُ مَحْدَثٌ، وَإِنَّهُ [تعالى] ^(٦) كَانَ، وَلَا مَكَانَ. وَكَوْنُهُ فِي «كَانَ» بَعْدَ «أَنْ
لَمْ يَكُنْ»، تَغْيِيرٌ، وَكُلٌّ مِنْ تَغْيِيرٍ، فَلَيْسَ بِقَدِيمٍ ^(٧).

وَالْعَرْشُ، مَحْدُودٌ، وَمَحَالٌّ أَنْ يَتَكَوَّنَ ^(٨) عَلَى الْمَحْدُودِ، وَيَبَاسُهُ مَا لَيْسَ

(١) فِي (ش): ذَا عَرْشِي. فِي (أ): عَرْشِي. فِي (ح): رَأَا عَرْشِي.

(٢) فِي (ك): خَانِبَاتٍ.

(٣) لَمْ تَقِفْ عَلَى قَائِلِ الْبَيْتِ وَلَا تَمَامِهِ. وَهُوَ فِي كِتَابِ الْأَسَاسِ لِعَقَائِدِ الْأَكْبَاسِ: ٧٦: مَنْسُوبٌ إِلَى
رَجُلٍ مِنْ بَنِي كَلْبٍ بِرَوَايَةٍ:

رَأَا عَرْشِي تَلَمَّ جَانِبَاهُ فَلَمَّا أَنْ تَسَلَّمَ أَقْوَدُونِي

(٤) شَرَحَ عَقَائِدُ الصَّدُوقِ أَوْ تَصْحِيحُ الْإِعْتِقَادِ: ٢٢١. بَلَا عَزْوٍ. مَجْمَعُ الْبَيَانِ: ٢: ٤٢٨. وَفِيهِ:
«عَرْوُشُهُمْ» بَلَا عَزْوٍ أَيْضًا، وَكَذَا فِي الْبَدِءِ وَالتَّارِيخِ: ١: ١٦٦.

(٥) شَرَحَ دِيوَانُ زَهِيرِ بْنِ أَبِي سَمَلٍ: ١٠٩.

(٦) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ زِيَادَةٌ مِنْ (ح).

(٧) فِي (أ): بِقَدَمٍ.

(٨) فِي (هـ): يَكُونُ.

بمحدود^(١)، وذلك منفي عن الله - تعالى - ويقتضي كونه جسماً، إذ ما ليس بجسم، يستحيل منه الكون في المكان. وكونه جسماً، يوجب حدوثه. والكون على السرير - بعد أن لم يكن - يكون انتقالاً، وزوالاً، ويوجب أن يكون محدثاً. ونمط ما قبل الآية، وما بعدها، لا يُشاكل تفسيرها على السرير، ومتى فسّر على الملك، يُشاكل.



قوله - سبحانه -: ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٢)، وقوله: ﴿اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾^(٣).

الاستواء على أقسام: استواء في المقدار، واستواء في المكان، واستواء في الذهاب، واستواء في الاتفاق^(٤)، واستواء بمعنى الاستيلاء، وهو راجع إلى الاستواء في المكان.

وَيُلْحَقُ - بذلك - الاستواء بمعنى: الانتصاب. يقال: استوى فلان جالساً، واستوى قائماً. وبمعنى الركوب، قوله: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ

(١) العبارة: «بمحدود... ما ليس» ساقطة من (أ).

(٢) طه: ٥.

(٣) البقرة: ٢٩.

(٤) في (ش) و(هـ) و(ح): الاتفاق. بنون موحدة من فوق.

عَلَى الْقُلُوبِ^(١)، وبمعنى: تساوي الأجزاء المؤلفة. تقول: استوى الحائط، وبمعنى: التساوي في الأمر. قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾^(٢).

قال الشاعر^(٣):

قَدْ اسْتَوَى ظِلْمُ الْعَشِيرَةِ

وهذه كلها من صفات الأجسام، لا تجوز^(٤) على الباري - تعالى -.

والذي يُحَقِّقُ في تأويله، ما قال ابن عباس^(٥)، والحسن^(٦): استوى^(٧) أمره، ولطفه، وصعد إلى السماء، لأنَّ أوامره، وقضايه، تنزل منها إلى الأرض.

الجبائي^(٨): أي: استوى^(٩) عَلَيْهِ بَأْن^(١٠) رفعه.

(١) المؤمنون: ٢٨.

(٢) القصص: ١٤.

(٣) لم نقف على تمام البيت ولم نعرف قائله.

(٤) في (ش) و(ك) و(أ): يجوز. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٥) مجمع البيان: ١: ٧١. الأسماء والصفات: ٤١٣. الجامع لأحكام القرآن: ١: ٢٥٤.

(٦) مجمع البيان: ٢: ٤٣٨، ٥: ٦.

(٧) في (ش): واستوى. مع الواو.

(٨) مجمع البيان: ٢: ٤٣٨.

(٩) في (هـ): استولى.

(١٠) في (ح): بمعنى رفعه.

الفرأء^(١)، والقاضي^(٢) عبد الجبار: أي: قصد إليها، فخلقها، كما يقال: كان فلان مقبلاً على فلان، ثم استوى إليّ، وعليّ، يُكلمني. ومَرَّ فلان مستوياً إلى موضع كذا، ولم يغدِل. قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾^(٣).

وقيل: استوى تدبيره، بتقديم القادر عليه.

وقيل: استوى بمعنى: احتوى عليه. يقال: استوى فلان على مال فلان، وعلى جميع مملكه.

وَقَالَ الصَّادِقُ^(٤) - عليه السلام -: استوى من كل شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء.

وقيل: أي: لفظة «الرحمن» مكتوب على العرش.

وقيل: استوى عليها بالقهر، وخلقهنَّ سبع سهاوات، وكان علوه عليها، علو ملك، وسلطان، لا علو انتقال، وزوال، كقوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾^(٥). أي: تمكن من أمره، وقهر هواه بعقله، ثم استوى إلى السماء في نفوذ^(٦)، وتملكها، ولم يجعلها ملكاً لخالقه.

(١) معاني القرآن: ١: ٦٧.

(٢) متشابه القرآن: ١: ٧٣ - ٧٤.

(٣) فصلت: ١١.

(٤) الكافي: ١: ١٢٧، ١٢٨. معاني الأخبار: ٢٩. الهداية: ٥. التوحيد: ٣١٥.

(٥) القصص: ١٤.

(٦) في (ك): نفوذه. بالقاف المتناة، والدال المهملة.

قَالَ الْبَيْهِيُّ^(١):

ثُمَّ^(٢) اسْتَوَى بِشَرْ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَبْفٍ وَدَمٍ مَهْرَاقٍ

وقوله: ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾، ولا سماءَ هناكَ، لأنَّ خَلَقَ الْعَرْشَ، كَانَ بَعْدَ خَلْقِ
السَّمَاءِ، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ: أَعْمَلُ هَذَا الثَّوْبَ. وَإِنَّمَا مَعَهُ غَزَلٌ.

وَقَالَ قَوْمٌ: إِنَّمَا سَوَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ دُخَانًا.

وَقَالَ آخَرُونَ: اسْتَوَى بِمَعْنَى: اسْتَوَتْ^(٣) السَّمَاءُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ^(٤):

أَقُولُ لَهَا لَمَّا اسْتَوَى فِي تَرَاتِيهِ^(٥) عَلَى أَيِّ دِينٍ يَقْتُلُ النَّاسَ مَصْعَبُ

وفائدةُ التَّخْصِيصِ لِلْعَرْشِ أَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْمَخْلُوقَاتِ، فَمِذَا كَانَ مُسْتَوِيًّا

(١) شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٢٢١ بلا عزو. متشابه القرآن: ١: ٧٣. بلا عزو،

وفيه: قد استوى. التبيان في تفسير القرآن: ١: ١٥، ٢: ٣٩٦ بلا عزو. الاقتصاد فيها يتعلق

بالاعتقاد: ٧٢. بلا عزو. وفيه: قد استوى. مجمع البيان: ١: ٧١ بلا عزو الأسماء والصفات:

٤١٢ وفيه: قد استوى. كذا في الجامع لأحكام القرآن: ١: ٢٥٥ ثم انظر: شعر البيهقي

المجاشعي (جمع وتحقيق ناصر حلاوي): ٤٤.

(٢) في (ح): قد استوى.

(٣) في (هـ): استويت.

(٤) جامع البيان: ١: ١٩١ بلا عزو. وفيه: في تراتيه... قبل الرأس. التبيان في تفسير القرآن: ١: ١٢٥

بلا عزو. وفيه: قتل الناس...

(٥) في (ش): ترائه. بالثاء المثلثة بعد الألف.

عليه، كَانَ بِالْإِسْتِيلَاءِ عَلَى غَيْرِهِ، أُولَى.

قوله - سبحانه -: ﴿ تُمْ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾^(١).

الإستواء^(٢)، إِذَا كَانَ بِمَعْنَى الْجُلُوسِ، وَالرُّكُوبِ، لَا يُعْدَى بِهِ إِلَى. وَإِنَّهَا هُمْ يَزْعُمُونَ: إِنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ^(٣): مَنْ يَدَبِّرُ السَّمَاءَ، وَيَفْعَلُ عَجَائِبَهَا. وَهَذَا لَا يَطْلُقُ عَلَى الْبَارِيِّ - تَعَالَى - أَنَّهُ فِي مَكَانٍ.

وقوله - سبحانه -: ﴿ أَلَمْ تُمْ مَن فِي السَّمَاءِ ﴾^(٤).

معناه: ﴿ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾: عَذَابُهُ، وَمَلَائِكَتُهُ الَّذِينَ بِهِمْ إِنْتِقَامُهُ، لِأَنَّ عَادَتَهُ أَنْ يُنَزِّلَهَا مِنْ هُنَاكَ، وَهَذَا قَالَ: ﴿ أَنْ يُخَفِّفَ بِكُمْ الْأَرْضَ ﴾^(٥)، فَنَبَّهَ - بِهِ - عَلَى ذَلِكَ.

(١) البقرة: ٢٩.

(٢) فِي (ش): الْإِسْتَوَى.

(٣) (معناه) ساقطة من (هـ).

(٤) الملك: ١٦.

(٥) الملك: ١٦.

قوله - سبحانه -: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾^(١).

صعود الملائكة إليه، غير معقول. فمعناه: أجازي^(٢)، وأقبله.

﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(٣)، مثل قولهم: رَجَعَ إِلَى كَلَامِكَ، وأنا

كتابك.

قوله - سبحانه -: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾^(٤)، وقوله: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ

مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾^(٥).

يعني: الْمَلَكُ يَصْعَدُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَمَرَهُ اللَّهُ - تعالى - أَنْ يَعْرُجَ إِلَيْهِ.

يقال: فلان يدبّر الأمر من الشام إلى خراسان. أي: ما بينهما.

﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾: أي: عاقبة ذلك الأمر إليه. ورجع أمرنا إلى القاضي.

وعروج الأمر، ونزوله، لا يصح في الحقيقة، وإنما جاز هذا القول، لأنه

- تعالى - جعل ديوان أعمال العباد في السماء، والحفظة من الملائكة فيها، فيكون

(١) فاطر: ١٠.

(٢) في (هـ): أجازني. بنون بين الزاي والياء.

(٣) فاطر: ١٠.

(٤) المعارج: ٤.

(٥) السجدة: ٥.

مَا رُفِعَ هُنَاكَ، قَدْ رُفِعَ إِلَيْهِ، لِأَنَّهُ أَمَرَ بِذَلِكَ، كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾^(١)، أَي: إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي أَمَرَنِي أَنْ أَذْهَبَ إِلَيْهِ.

قوله - سبحانه -: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾^(٢).

الرَّفْعَةُ لِلدَّرَجَاتِ، وَقَدْ جَرَتْ صِفَةُ اللَّهِ - تَعَالَى - ، لِأَنَّ الْقَدِيمَ^(٣) - تَعَالَى - لَا يُوصَفُ بِأَنَّهُ رَفِيعٌ، أَوْ شَرِيفٌ، لِأَنَّ حَقِيقَتَهَا فِي إِرْتِفَاعِ الْمَكَانِ، وَإِشْرَافِهِ.

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ^(٤) - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: قُرْبُهُ، قُدْرَةُ، وَبُعْدُهُ، عَظَمَةُ، وَنُزُولُهُ إِلَى الشَّيْءِ، إِقْبَالُهُ عَلَيْهِ، وَإِتْيَانُهُ إِيَّاهُ، إِيْصَالُهُ لِمَا يُرِيدُ إِلَيْهِ. يَتَجَلَّى^(٥)، وَلَا يَتَجَلَّى، وَيَتَدَانِي، وَلَا يَتَدَانِي، عُلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّلٍ، وَمَجْمُوعُهُ مِنْ غَيْرِ تَنْقِيلٍ.

قوله - سبحانه -: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(٦). إِنَّمَا أَخْبَرَ عَنْ

(١) الصَّافَّات: ٩٩.

(٢) غافر: ١٥.

(٣) فِي (هـ): لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لِأَنَّ الْقَدِيمَ.

(٤) بَعْضُهُ فِي تَحْفِ الْعُقُول: ١٧٤ مَنْسُوبٌ إِلَى الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ (ع).

(٥) فِي (ك) وَ(هـ) وَ(أ): يَنْجَلِي. بَنُونَ مُوَحَّدَةٌ مِنْ فَوْقَ بَيْنِ يَأْمِ الْمَضَارَعَةِ وَالْجَيْمِ.

(٦) الْبَقَرَةُ: ٢٥٥.

صِفَةِ الْكَرْسِيِّ، فَقَطْ، وَلَمْ يُوجِبْ إِضَافَتُهُ إِلَيْهِ، كَوْنُهُ عَلَيْهِ. كَمَا لَا يُوجِبُ إِضَافَةُ الْكَعْبَةِ إِلَيْهِ، كَوْنُهُ فِيهَا.

عَلَى أَتَمِّمْ يَزْعُمُونَ: إِنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ، وَالْكَرْسِيِّ سِوَاهُ^(١).

وَالْوَجْهُ - فِي خَلْقِ الْكَرْسِيِّ - إِذَا قُلْنَا: إِنَّهُ جَسْمٌ - هُوَ: أَنَّ اللَّهَ [- تَعَالَى -] تَعَبَّدَ - بِحَمَلِهِ - الْمَلَائِكَةَ، كَمَا تَعَبَّدَ الْبَشَرُ، بِزِيَارَةِ الْبَيْتِ.

الصَّاحِبُ^(٢):

أَنْزَعَهُ رَبُّ الْخَلْقِ عَنْ حَدٍّ^(٣) خَلَقَهُ وَقَدْ زَاغَ رَأْيُ فِي الصِّفَاتِ وَمُسْنَدُ
فَهَذَا يَقُولُ: اللَّهُ يُنْهَوِي وَيَضَعُدُّ وَهَذَا لَدَيْهِ، اللَّهُ مُذْ كَانَ أَمْرُ
تَبَارَكَ رَبُّ الْمُرْدُوِّ الشَّيْبِ إِيَّاهُمْ لَأَكْفُرُ مِنْ فِرْعَوْنَ فِيهِ وَأَعْتَدُّ



(١) فِي (ش): سِوَاهُ. وَهِيَ سَاقِطَةٌ مِنْ (هـ).

(٢) دِيَوَانُ الصَّاحِبِ بْنِ عَبَادٍ: ٣١ - ٣٢.

(٣) (حَدٌّ) سَاقِطَةٌ مِنْ (أ).

فصل [- ٣٠ -]

[نفى وصف الله بالمكان]

قوله - تعالى - : ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جِئْتَانِ﴾^(١)، وقوله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾^(٢).

و«المقام»، إثما هو مصدر، ولو كان موضعاً لما خُوفَ بمقامه، لأنّ الخوف لا يتعلّق المكان، حتى يكون ذلك مُرَغَّباً في الطّاعة، صارفاً عن المغصية. فإذن، لا بدّ فيه من حذف، فمعناه: إنَّ مَنْ خَافَ مَقَامَهُ كَلَدِي، ففعل الطّاعة، فله الثواب.

ولفظه «مَنْ»، تقع على الواحد، والجمع، وجاء في آية واحدة: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٣).

قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا﴾، و«المقام»، مُتردّد بين المصدر،

(١) الرحمن: ٤٦.

(٢) الإسراء: ٧٩.

(٣) النساء: ١٤، الأحزاب: ٣٦، الجن: ٢٣.

والمَوْضِع، فهو كلامٌ مُجْمَلٌ، مُفْتَقِرٌ إلى البيان. وقد روى المفسِّرون^(١) عن النبي^(٢) - عليه السلام -: إِنَّهُ الشَّفَاعَةُ.

وَقِيلَ - للصادق - عليه السلام -: إِنَّ فُلَانًا يَقُولُ بِالتَّشْبِيهِ. فقال - عليه السلام -: أبرءُ إلى الله منه^(٣).

وقال الرضا^(٤) - عليه السلام - مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَمَنْ وَصَفَهُ بِالْمَكَانِ، فَهُوَ كَافِرٌ، وَمَنْ نَسَبَ إِلَيْهِ مَا نَهَى عَنْهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ، ثُمَّ تَلَا: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٥).

الصَّادِقُ^(٦) - عليه السلام - : مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ مِنْ شَيْءٍ ، أَوْ فِي شَيْءٍ ، أَوْ عَلَى شَيْءٍ ، فَقَدْ أَشْرَكَ ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ مِنْ شَيْءٍ ، فَقَدْ جَعَلَهُ مُحَدَّثًا ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ فِي شَيْءٍ ، فَقَدْ زَعَمَ أَنَّهُ مُحْضُورٌ ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ عَلَى شَيْءٍ ، فَقَدْ جَعَلَهُ عَمُومًا.

(١) تفسير نور الثقلين: ٣ : ٢٠٦ - ٢١١. الدر المنثور: ٥ : ٣٢٦ - ٣٢٨. الجامع لأحكام القرآن: ١٠ : ٣٠٩.

(٢) العبارة: «عليه السلام... السلام» ساقطة من (أ). وفي (ح): صلى الله عليه وآله.

(٣) في الاحتجاج: ٢ : ١٥٥ معزوذاً إلى الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام).

(٤) عيون أخبار الرضا: ١ : ١١٤ بزيادة في اللفظ. التوحيد: ٦٩.

(٥) النحل: ١٠٥.

(٦) الكافي: ١ : ١٢٨. التوحيد: ١٧٨، ٣١٧ باختلاف في اللفظ يسير. الهداية: ٥.

منصور^(١) الآبي:

مُنَزَّةٌ عَنْ شَيْءٍ^(٢) الْمُشَبَّهَةِ مُشْرِكَةٌ^(٣) لَكِنَّهَا مُجْمُوءَةٌ^(٤)



(١) لم نقف على مورد أخذه.

(٢) السطر الأول في (ح): منزه الشيء والمشبه.

(٣) في (هـ): مشتركة.

(٤) في (هـ): الموه.

فصل [- ٣١ -]

[نفي المكانية عن الله]

قوله - تعالى - ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾^(١)، ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾^(٢).

«عِنْدَ»، على وجوه، فإذن، لا تُستعمل إلا بدليل.

أما قوله: ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾^(٣)، أي: عالم بها.

وقوله: ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا﴾^(٤)، أي: المالك له.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾^(٥)، أي: في المنزلة الرفيعة، كما يقال: فلان

عندي بمنزلة. وإن كان بينهما بُعد المشرقين.

وقوله: ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾، أي: بحيث لا يملك الحكم فيه سواء. يعني

(١) القمر: ٥٥.

(٢) النحل: ٩٦.

(٣) الزخرف: ٨٥.

(٤) النساء: ٣٤.

(٥) الأعراف: ٢٠٦.

السَّماءَ. كَمَا يُقَالُ: عِنْدَ الْمَلِكِ خِصْبٌ، وَأَمِنْ، أَي: فِي الْمَوَاضِعِ، الَّتِي لَا يَمْلِكُهَا سِوَاهُ. وَقَوْلُهُمْ: عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ كَذَا، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ كَذَا. أَي: فِي مَذْهَبَيْهِمَا. قَالَ^(١):

نَحْنُ بِهَا عِنْدُنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ / ٣٨ رَاضٍ، وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ

وقوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾^(٢)، لَوْ حُمِلَ عَلَى الْمَكَانِ، لَوَجِبَ أَنْ يُرِيدَ^(٣) أَنْ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ، حَاصِلٌ مَعْلُومٌ، أَوْ يُرِيدُ أَنْ جَمِيعَ مَا عِنْدَهُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ، بِمِقْدَارٍ.

فَمَعْنَاهُ، أَي: حُكْمُهُ، وَعِلْمُهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْشَى﴾^(٤)، وَذَلِكَ الْأَوَّلَى، لِأَنَّهُ أَعَمُّ، يَتَنَاوَلُ الْمَعْدُومَ، وَالْمَوْجُودَ، دُونَ الْمَاضِي، وَالْغَائِبِ.

وَسَأَلَ حَبْرٌ^(٥) أَبَا بَكْرٍ عَنِ اللَّهِ - تَعَالَى - فَقَالَ: أَيْنَ هُوَ؟ أَيْ السَّمَاءُ أَمْ فِي الْأَرْضِ؟

فَقَالَ: فِي السَّمَاءِ عَلَى الْعَرْشِ!!

قَالَ: فَأَرَى الْأَرْضَ خَالِيَةً مِنْهُ، وَأَرَاهُ - عَلَى هَذَا الْقَوْلِ - فِي مَكَانٍ دُونَ

مَكَانٍ؟

(١) الْقَاتِلُ هُوَ: قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ. أَنْظَرَ دِيوَانَ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ: ٦٣.

(٢) الرَّعْدُ: ٨.

(٣) فِي (أ): يُزِيدُ. بِالزَّيِّ الْمَعْجَمَةِ.

(٤) فَاطِرُ: ١١، فَصَّلَتْ: ٤٧.

(٥) التَّوْحِيدُ: ١٨٠ - ١٨١، بِاخْتِلَافِ الرِّوَايَةِ وَفِي سِيَاقِ رِوَايَةِ طَوِيلَةٍ. الْاِحْتِجَاجُ: ١: ٣١٢ - ٣١٣.

فقال أبو بكر: هذا كلام الزنادقة، أعزب عني، ولأ قتلثك. فولى الحزبُ مُسْتَهْزِئاً بالإسلام، فاستقبله عليٌّ - عليه السلام - فقال: قد عرفت ما سألت عنه، وما أجبته به! فإننا نقول: إنَّ الله، آيِنَ الآيِنِ، فلا آيِنَ له، وَجَلَّ أَنْ يَحْيِيَهُ. وهو في كلِّ مكانٍ، بغيرِ مُمَاسَّةٍ، ولا مُجَاوِزَةٍ، يُحِيطُ عِلْماً بما فيها، ولا يَخْلُوشِيءٌ مِنْ تَدْبِيرِهِ - تعالى -. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ مُوسَى، كان - يوماً - جالِساً، إِذْ جَاءَهُ مَلَكٌ مِنَ الْمَشْرِقِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وجاءَهُ مَلَكٌ مِنَ الْمَغْرِبِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وجاءَهُ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وجاءَهُ مَلَكٌ مِنَ الْأَرْضِ السُّفْلَى مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. فقال موسى: سُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ، ولا يَكُونُ إِلَى مَكَانٍ، أَقْرَبَ مِنْ مَكَانٍ. فَأَسْلَمَ الْحَزْبُ.



قوله - سُبْحَانَهُ - ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾^(١)، وقوله^(٢): ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٣).

يُسْتَعْمَلُ «فَوْقَ»، على سبيلِ الْقَهْرِ، وَالسُّلْطَانِ. يقال: يَدُ زَيْدٍ فَوْقَ عَمْرٍو. ويدُ الْأَمِيرِ فَوْقَ أَيْدِيْنَا.

(١) الأنعام ١٨، ٦١.

(٢) (وقوله): ساقطة من (أ).

(٣) الفتح: ١٠.

وَكُلُّ شَيْءٍ قَهَرٌ^(١)، فَهُوَ مُسْتَعْلٍ^(٢) عَلَيْهِ. وَلَمَّا كَانَ الْعِبَادُ تَحْتَ تَسْخِيرِهِ، وَتَذَلُّلِهِ، وَأَمْرِهِ، وَنَهْيِهِ، وَصِفَ بَأْثُهُ فَوْقَهُمْ. وَقَدْ بَيَّنَّاهُ اللَّهُ عَلَى مَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾.

أي: يخافون عقاب ربهم من فوقهم، لأنه يأتي من فوق.

وقيل: إنه لما وُصِفَ بَأْثُهُ مُتَعَالٍ^(٣)، بمعنى: قادرٌ، لا قادرٌ أَقْدَرُ مِنْهُ، فَقِيلَ: صِفَتُهُ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِ صِفَاتِ الْقَادِرِينَ، حَسُنَ أَنْ يُقَالَ: «مِنْ فَوْقِهِمْ»، لِيُذَلَّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى مِنَ الْاِقْتِدَارِ الَّذِي لَا يُسَاوِيهِ قَادِرٌ. وَلَوْ كَانَ صِفَةً اللَّهِ - تَعَالَى - لَمْ يَخْصُلْ بِهِ التَّخْوِيفُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾^(٤).

المراد - بذلك - وَقُوفُهُمْ عَلَى عَذَابِ رَبِّهِمْ، وَثَوَابِهِ، وَعِلْمُهُمْ بِصِدْقِ مَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ فِي دَارِ التَّكْلِيفِ.

وَالْوُقُوفُ عَلَيْهِ، يُسَمَّى عِلْمًا. يُقَالُ: وَقَفْتُ عَلَى مَعْنَى كَلَامِكَ. وَإِذَا كَانَ

(١) (قَهَرٌ) ساقطة من (ها).

(٢) في النسخ جميعها: مستعمل، بيمين بين العين واللام. وما أثبتناه من (ط).

(٣) في (ش): متعالي. بالياء.

(٤) الأنعام: ٣٠.

الكفار، لا يعرفون في الدنيا استدلالاً، عَرَفَهُمُ اللهُ - في الآخرة - صَرُورَةً. فذلك يكونُ وقوفُهُمْ عليه. وقالَ هُم رَبِّهِمْ ﴿الَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبُّنَا﴾^(١)، مُقَرِّينَ بذلك، مُذْعِنِينَ لَهُ. قالَ لهم - حَيْثُ - قَدْ وَقُوا [الْعَذَابَ]^(٢) بِمَا^(٣) كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا.

وقيلَ: إِذَا وَقُوا عَلَى رَبِّهِمْ، حُسِّسُوا، يُنْتَظَرُ بِهِمْ مَا يَأْمُرُ بِهِ، كقولِ القائلِ: احْبِسْهُ عَلَيَّ.

ولا يجوزُ أَنْ يَكُونَ المرادُ به، الرُّؤية، لَأَنَّ الآيةَ، مُحْتَصَةً بِالْكَفَّارِ، وَلَا خِلَافَ فِي أَنَّ الْكَفَّارَ، لَا يَرُونَهُ.



قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾^(٤). حقيقةُ العَرْضِ لا يجوزُ على اللهِ - تعالى - لَأَنَّ العَرْضَ فِي الشَّاهِدِ، إِنَّمَا يَصُحُّ عَلَى مَنْ لَمْ يَكُنْ مُشَاهِداً لِلشَّيْءِ، عَالِماً بِهِ. وَلَا تَخْفَى^(٥) عَلَى اللهِ خَافِيَةٌ.

(١) الأنعام: ٣٠.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (هـ).

(٣) في (ش) و(ك) و(أ): مَا، من دون حرف الجرِّ (الباء).

(٤) هود: ١٨.

(٥) في (ك) و(أ): يَخْفَى. بياء المضارعة المثناة من تحت.

والمراؤ - بذلك - أَنَّهُمْ يُعَرِّضُونَ لِلْمَحَاسِبِ، بِحَيْثُ أُعِدَّ ذَلِكَ الْعَرَضُ، فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، عَرَضًا عَلَيْهِ، كَقَوْلِهِ^(١): ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾^(٢). أَنِي: حَيْثُ أَمَرَنِي رَبِّي.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٣).
معنى «مِنْ دُونِ اللَّهِ»: مِنْ مَنَازِلَةٍ أَدْنَى مِنْ مَنَازِلَةِ عِبَادِ اللَّهِ، لِأَنَّهُ^(٤) مِنْ «الْأَدُونِ»، وَهُوَ الْأَقْرَبُ إِلَى الْجِهَةِ السُّفْلَى.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿قُلْ الْمُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾^(٥).
أَي: فِي دِينِهِ، لِأَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾^(٦)، وَقَالُوا
لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى^(٧)، ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ

(١) فِي (أ): كَقَوْلِكَ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٢) الصَّافَّاتِ: ٩٩.

(٣) هُود: ١٠١.

(٤) فِي (ش): رَاتِهِ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٥) الْبَقَرَةُ: ١٣٩.

(٦) الْمَائِدَةُ: ١٨.

(٧) الْبَقَرَةُ: ١١١.

نَصَارَى تَتَذَوَّبُ^(١).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢)، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(٣).

أَي: مَعَهُم بِالْمَعُونَةِ، وَالنُّصْرَةِ، كَمَا نَقُولُ^(٤): إِذَا كَانَ السُّلْطَانُ مَعَكَ، فَلَا تُبَالٍ مَنْ لَقِيتَ.

وَحَقِيقَةُ «مَعَ» أَنْ يَكُونَ^(٥) لِلْمَصَاحِبَةِ فِي الْجِهَةِ، وَذَلِكَ لَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ - تَعَالَى -.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾^(٦).
أَي: قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنَا.

«وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ» مَا هُمْ فِيهِ / ٣٩ / مِنَ الْحَيَاةِ.

(١) البقرة: ١٣٥.

(٢) البقرة: ١٥٣.

(٣) الحديد: ٤.

(٤) في (هـ): يقول. بياض المضارعة المثناة من تحت. وفي (ح): تقول. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٥) في (ح): تكون. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٦) مريم: ٦٤.

وقال ابن عباس^(١)، والربيع^(٢)، وقنادة^(٣)، والضحاك^(٤)، وأبو العالية^(٥): ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: الدنيا، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: الآخرة، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾: [بين^(٦)] النَّفْخَتَيْنِ.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَأَنْتُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٧)، وقوله: ﴿وَالَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ﴾^(٨).

ظاهر الرجوع، يُوجبُ الإخبارَ عن العودِ إلى حيثُ خَرَجَ منه. ولا خلاف أنَّهم لم يكونوا عنده. والآية تقتضي رجوعَ الجميعِ إليه.

(١) جامع البيان: ١٦: ١٠٤. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٥٢١. الدر المنثور: ٥: ٥٣٠. الجامع لأحكام القرآن: ١١: ١٢٩.

(٢) جامع البيان: ١٦: ١٠٤. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٥٢١.

(٣) جامع البيان: ١٦: ١٠٥. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٥٢١. الدر المنثور: ٥: ٥٣١. الجامع لأحكام القرآن: ١١: ١٢٩.

(٤) جامع البيان: ١٦: ١٠٥. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٥٢١.

(٥) جامع البيان: ١٦: ١٠٤. الدر المنثور: ٥: ٥٣١.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٧) البقرة: ٤٦.

(٨) هود: ١٢٣.

قوله: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾^(١)، والكُلُّ دَاخِلٌ فِي هَذَا الْحُكْمِ، وَلَا يَقُولُ الْحُضْمُ بِهِ.

وقال - تعالى -: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٢)، يَعْنِي: الْمَدِينَةَ.

وقال إبراهيم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾^(٣)، أَيْ: أَرْضَ الشَّامِ.

وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾^(٤)، يَعْنِي: السَّمَاوَاتِ عِنْدَ الْحَفَظَةِ.

وبعد: فَإِنَّهُ تَهْدِيدٌ فِي سَائِرِ الْآيَاتِ الْوَارِدَةِ فِي الْبَابِ، نَحْوُ: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ﴾^(٥)، أَوْ فِي بَابِ الْمُصِيبَةِ، نَحْوُ: ﴿وَأِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٦).

وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِهِ الْمَكَانَ، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ تَسْلِيًا لِمَنْ نَزَلَتْ بِهِ الْمُصِيبَةُ.

وقال أبو العالية^(٧): رَاجِعُونَ^(٨)، بِالْإِعَادَةِ فِي الْآخِرَةِ.

وَقِيلَ: رَاجِعُونَ إِلَى أَنْ لَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا، وَلَا نَفْعًا غَيْرُهُ - تَعَالَى - كَمَا

(١) البقرة: ٢٨.

(٢) النساء: ١٠٠.

(٣) الصافات: ٩٩.

(٤) فاطر: ١٠.

(٥) التوبة: ٩٤.

(٦) البقرة: ١٥٦.

(٧) جامع البيان: ١: ٢٦٤. أيضاً: مجمع البيان: ١: ١٠٢. الدر المنثور: ١: ١٦٥.

(٨) العبارة: «راجعون... يملك» ساقطة من (أ).

كانوا في بَدْءِ الخَلْقِ، لَأَنْتُمْ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِمْ، قَدْ مَلَكَ غَيْرُهُمُ الْحُكْمَ عَلَيْهِمْ، قَوْلُهُ:
﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(١).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾^(٢). وقَوْلُهُ: ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ
جَمِيعًا﴾^(٣).

أَيُّ^(٤): إِنْكُمْ تَرْجِعُونَ إِلَيْهِ أَحْيَاءَ، بَعْدَ الْمَوْتِ. أَيُّ: إِلَى مَوْضِعِ جَزَائِهِ
جَمِيعًا. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَنْ يَعُودَ الْأَمْرُ إِلَى الْأَمْلِكِ أَحَدُ التَّصَرُّفِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ
غَيْرُهُ - تَعَالَى - بِخِلَافِ الدُّنْيَا.

وَلَفْظُ «الْمَرْجِعِ»، يَكُونُ بِمَعْنَى: الرَّجُوعِ. فَيَكُونُ مُصَدَّرًا. وَبِمَعْنَى:
مَوْضِعِ الرَّجُوعِ، كَأَنَّهُ قَالَ: إِلَيْهِ مَوْضِعُ رُجُوعِكُمْ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَلِإِلَهِهِ
الْمَصِيرُ﴾^(٥).

(١) الفاتحة: ٤.

(٢) المائدة: ٤٨، ١٠٥.

(٣) النساء: ١٧٢.

(٤) العبارة: «أَيُّ إِنْكُمْ... جَمِيعًا» ساقطة من (أ).

(٥) المائدة: ١٨.

معناه: إِنَّهُ يُؤَوِّلُ إِلَيْهِ أَمْرَ الْعِبَادِ، فِي أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ ضَرَرَهُمْ، وَلَا نَفْعَهُمْ، غَيْرُهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لِأَنَّهُ تَبْطُلُ مَمْلَكَةُ غَيْرِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ. وَالْأَمْرُ لَنَا دُونَ^(١) غَيْرِنَا، كَمَا يُقَالُ: صَارَ أَمْرُنَا إِلَى الْقَاضِي. [لَا]^(٢) عَلَى مَعْنَى قَرِيبِ الْمَكَانِ، وَإِنَّمَا يُرَادُّ - بِذَلِكَ - أَنَّهُ الْمُتَصَرِّفُ فِينَا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - ﴿وَالِإِلَهِ اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾^(٣).

النَّاسُ فِي دَارِ التَّكْلِيفِ، قَدْ يَغْتَرُّ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، فَيَعْتَقِدُونَ^(٤) فِيهِمْ، أَنَّهُمْ يَمْلِكُونَ جَزَّ الْمَنَافِعِ إِلَيْهِمْ، وَصَرَفَ الْمَضَارِّ عَنْهُمْ. وَقَدْ تَدَخَّلَ عَلَيْهِمُ الشُّبُهَةُ، لَتَقْصِيرِهِمْ فِي النَّظَرِ فِي وَجْهِهِ، فَيَعْبُدُونَ الْجَامِدَةَ، وَالْهَامِدَةَ.

وَيُضَيِّفُ كُلُّ هَؤُلَاءِ أَفْعَالَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فِيهِمْ، إِلَى غَيْرِهِ. فَلِذَا جَاءَتِ الْآخِرَةُ، وَاضْطُرُّوا إِلَى الْمَعَارِفِ، عَرَفُوا أَنَّهُ لَا مَعْبُودَ سِوَى اللَّهِ [- تَعَالَى -]^(٥) فَرَدُّوا إِلَيْهِ أُمُورَهُمْ، وَانْقَطَعَتْ آمَانَتُهُمْ مِنْ غَيْرِهِ.

﴿وَالِإِلَهِ اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾: وَالْأُمُورُ كُلُّهَا لِلَّهِ، وَفِي يَدِهِ، مِنْ غَيْرِ خُرُوجِ،

(١) فِي (ك): دَنْ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٢) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَتَيْنِ زِيَادَةٌ يَقْتَضِيهَا السِّيَاقُ.

(٣) الْبَقَرَةُ: ٢١٠، آلِ عِمْرَانَ: ١٠٩، الْأَنْفَالُ: ٤٤، الْحَجَّ: ٧٦، فَاطِرُ: ٤، الْحَدِيدُ: ٥.

(٤) (فَيَعْتَقِدُونَ) مَكْرُورَةٌ فِي (أ).

(٥) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَتَيْنِ زِيَادَةٌ مِنْ (ح).

ورجوع حقيقي.

وقد تقول العرب: قد رجع عليّ من فلان مكروء، بمعنى: صار منه، ولم يكن سبباً إليّ قبل هذا الوقت. وقد عاد إليّ من زيد كذا، وكذا. وإن وقع منه ابتداء. [قال] ^(١) الشاعر:

فلأن تكن الأيأم أخصن مرةً إليّ فقد عادتْ لهنّ ذنوبٌ
أي: صارت لها ذنوبٌ لم تكن من قبل، بل كان - قبلها - إحسان.

وقد ملّك الله العبادَ في دارِ التكليفِ أموراً، تنقطعُ بانقطاعِ التكليفِ، وإفضاءٍ ^(٢) الأمرِ إلى دارِ الآخرة، مثل - ما ملّكهُ الموالِي من العبيدِ، وما ملّكهُ الحكّام من الحُكَم. فيجوزُ أن يُريدَ اللهُ برجوعِ الأمرِ إليه، انتهاءَ ما ذكّرناه من الأمور - التي يَمْلِكُها غيرهُ بتَمليكِهِ - إلى أن يكونَ - وحدهُ - مالِكُها.

وقال المرتضى ^(٣): الأمرُ ينتهي إلى ألا يكونَ موجوداً، قادراً غيره. وتقتضي الأمورُ في الانتهاءِ إلى ما كانت عليه في الابتداء، لأنّ - قبل إنشاءِ الخلقِ - هكذا

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (هـ).

(٢) الأصمعيّات: ٩٩ منسوبة إلى غريقة بن مسافع العبسي. جمهرة أشعار العرب: ٢: ٧١٠. معزّواً إلى محمد بن كعب الغنوي. أمالي المرتضى: ١: ٣٧٥ بلا عزو. التبيان في تفسير القرآن: ٢: ٣١٥ معزّواً إلى الغنوي: ٤: ٤٦٦ بلا عزو.

(٣) في (ك): أفضى.

(٤) أمالي المرتضى: ١: ٣٧٦.

كَانَتِ الصُّورَةُ، وَبَعْدَ إِفْنَائِهِمْ هَكَذَا تَصِيرُ^(١). وَهُوَ رَجُوعٌ حَقِيقِيٌّ، لِأَنَّهُ عَادَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مُتَقَدِّمًا.

وَقَالَ الطُّوسِيُّ^(٢) يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، أَيُّ: يَذْهَبُ حَيْثُ ابْتَدَأَ مِنْهُ. فَرَجُوعُ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ بِالْإِعَادَةِ بَعْدَ^(٣) النِّشْأَةِ الْأُولَى.

وَقَالَ الْجَبَّائِي^(٤): تَرْجِعُ الْأُمُورُ إِلَى مَنْ لَا يَمْلِكُهَا سِوَاهُ.

وَمُحْتَمَلٌ^(٥) - أَيْضًا - أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ - بِذَلِكَ - أَنْ تَعُودَ الْمَقْدُورَاتُ الْبَاقِيَةُ إِلَى

مَا أَفْنَاهُ مِنْ مَقْدُورَاتِهِ، كَالْجَوَاهِرِ، وَالْأَعْرَاضِ، تَرْجِعُ فِي مَقْدُورَاتِ الْبَشَرِ / ٤٠ /
وَأَنَّ كَانَتْ^(٦) بَاقِيَةً، لَمَّا دَلَّ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ مِنْ اخْتِصَاصِ مَقْدُورَاتِ الْقَدَرِ، بِاسْتِحَالَةِ الْعَوْدِ إِلَيْهَا مِنْ حَيْثُ لَمْ يَجْزُ لَهُ فِيهَا التَّقْدِيمُ، وَالتَّأْخِيرُ^(٧)، وَهُوَ حُكْمٌ، هُوَ - تَعَالَى - الْمُتَّفَرِّدُ بِهِ.



(١) في (أ): بصير. بياض المضارعة المثناة من تحت.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٢: ٥٥٥، ١٣١: ٥، ٣٤٣: ٩، ٥٢٠.

(٣) في (ك) و(أ): بعده. مع الضمير (الهاء).

(٤) في مجمع البيان: ١: ٣٠٤ بلفظه ومن دون عزو إلى أحد.

(٥) في (هـ): يحتمل. بياض المضارعة المثناة من تحت.

(٦) في (ش) و(هـ) و(أ): كان.

(٧) في (ل): التأخير.

فصل [- ٣٢ -]

[نفى المكانية عن الله]

قوله - تعالى -: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾^(١).

قال السُّدِّيُّ^(٢)، وابنُ جُرَيْجٍ^(٣): أي: مَنْ أعواني على هؤلاء الكفارِ إلى معونةِ الله؟ وذلك مثلُ قولهم: الذُّودُ إلى الذُّودِ إيلٌ^(٤). وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾^(٥).

وقال الحسنُ^(٦): من أنصاري في السَّيْلِ إلى الله؟ لأنَّه دعاهم إلى سبيلِ الله.

(١) آل عمران: ٥٢. الصف: ١٤.

(٢) جامع البيان: ٣: ٢٨٤ باختلاف اللفظ. أيضاً: جمع البيان: ١: ٤٤٧ بلفظه. الدر المنثور: ٢: ٢٢٣.

(٣) جامع البيان: ٣: ٢٨٤ باختلاف اللفظ. أيضاً: جمع البيان: ١: ٤٤٧ بلفظه. الدر المنثور: ٢: ٢٢٢.

(٤) جمع الأمثال: ١: ٢٧٧. الذُّود: اسم مؤنث يقع على قليل الإبل، ولا يقع على الكثير وهو ما بين الثلاث إلى العشر إلى العشرين إلى الثلاثين، ولا يجاوز ذلك.

(٥) النساء: ٢.

(٦) جامع البيان: ٣: ٢٨٦ باختلاف اللفظ. أيضاً: جمع البيان: ١: ٤٤٧ بلفظه. التفسير الكبير: ٨: ٦٢. الجامع لأحكام القرآن: ٤: ٩٧ بلفظه.

وقال الجبائي^(١): مَنْ أَنْصَارِي لله؟ كما قال: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾^(٢).

وجه ذلك: أَنَّ الغرض^(٣) يَضْلُح فيه «اللام» على طريقِ العِلَّةِ، و«إلى» على طريقِ التَّهْيِيةِ.

قوله - سُبْحَانَهُ - ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾^(٤).

معناه: إِنَّهُ رَفَعَهُ إلى المَوْضِعِ الَّذِي يَخْتَصُّ اللهُ - تعالى - بِالْمَلِكِ، ولم يَمْلِكْ فيه أَحَدٌ شَيْئاً^(٥)، وهو السَّمَاءُ، لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ المرادُ به: أَنَّهُ رَفَعَهُ إلى مكانٍ، هو - تعالى - فيه، لِأَنَّ ذَلِكَ من صِفَاتِ الأجْسَامِ.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوءُونَ﴾^(٦).

(١) مجمع البيان: ١: ٤٤٧. من دون عزو إليه، وكذا في التفسير الكبير: ٨: ٦٢.

(٢) يونس: ٣٥.

(٣) في (أ): العوض، بالعين المهملة بعدها واو.

(٤) النساء: ١٥٨.

(٥) في (هـ): شيء.

(٦) المطففين: ١٥.

الْحَاجِبُ: هو المَنْعُ، والحَاجِبُ: هو^(١) المَانِعُ. ولا يصحُّ القولُ: بِأَنَّهُمْ
مُجْبُوبُونَ^(٢) عَنْ ذَاتِ اللَّهِ - تعالى -.

وإذا كَانَ الممنوعُ مِنْهُ مَحْذُوفًا، فَلَيْسَتْ الرُّؤْيَةُ، بِأَوَّلَى مِنَ الرَّحْمَةِ. وهذا - كما
يقولُ عِنْدَ سُؤَالِ الْغَيْرِ - غَضِبَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ، وَبَعْدَهُ مِنْ عِنْدِهِ، وَلَا يَنْظَرُ إِلَيْهِ،
وَلَا يُكَلِّمُهُ، وَحَجَبَهُ^(٣) عَنْهُ، وَلَيْسَ يَأْذُنُ لَهُ بِالدُّخُولِ عَلَيْهِ. كقوله: ﴿فَعَلَيْهِمْ
غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ﴾^(٤)، ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾^(٥)، ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ
ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾^(٦)، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ﴾^(٧).

فمعنى قوله: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾، عن^(٨) رَبِّهِمْ^(٩)
بِسُوءِ حَالِهِمْ، مُبْعَدُونَ عَنْ رَحْمَتِهِ.

(١) (هو) سقطت من (ح).

(٢) في (ك): لمحبون. وهو تحريف.

(٣) في (ك): وحجبه. وهو تحريف.

(٤) النحل: ١٠٦.

(٥) الفاتحة: ٧.

(٦) المائدة: ٦٠.

(٧) البقرة: ٧٤.

(٨) في (ش): عني.

(٩) في (ش): بهم. وفي (ح): إناهم.

قوله - سُبْحَانَهُ - ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾^(١).

ليس في الآية أكثر من ذكر الحجاب، وليس فيها أنه حجاب له - تعالى -، أو^(٢) أنه محل كلامه، أو كلمه، أو لم يكلمه. وإذا لم يكن في الظاهر شيء من ذلك صُرف إلى غيره - عز وجل -.

ويجوز أن يفعل كلاماً في جسم، محتجب عن المكلم، غير معلوم له على سبيل التفضيل^(٣)، فيسمع المخاطب^(٤) الكلام، ولا يعرف محله، على سبيل التفضيل^(٥)، فيقال - على هذا - هو مكلم من وراء حجاب.

وقال الجبائي^(٦): ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾، بمثل ما يكلم به عباده من الأمر بطاعته، والنهي لهم عن معاصيه، وتنبهوا إياهم على ذلك من جهة الخاطر، أو المنام، وما أشبههما.

وعنى بقوله: ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾، أن يحجب ذلك عن جميع خلقه،

(١) الشورى: ٥١.

(٢) في (هـ): وأنه. مع الواو.

(٣) في (هـ): التفضيل. بالصاد المهملة.

(٤) في (أ): المخالب.

(٥) في (هـ): التفضيل. بالصاد المهملة.

(٦) في (هـ): الخياني. بخاء مهملة من فوق، بعدها ياء مشناة من تحت.

إِلَّا مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُكَلِّمَهُ بِهِ، نَحْوُ كَلَامِهِ - تَعَالَى - لِمُوسَى، لِأَنَّهُ حَجَبَ ذَلِكَ عَنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ، أَوَّلًا. وَأَمَّا كَلَامُهُ - فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ - فَإِنَّهُ إِنَّمَا أَسْمَعَ ذَلِكَ مُوسَى وَالسَّبْعِينَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ، وَحُجِبَ عَنْ سِوَاهُمْ^(١).

وَقَالَ الْمُرْتَضَى^(٢): الْمَرَادُ بِالْحِجَابِ: الْبُعْدُ، وَالْحَقَاءُ^(٣). يُقَالُ: بَيْنِي وَبَيْنَكَ حِجَابٌ، أَيْ: اسْتَبَعِدُ فَهَمَكَ. وَيُقَالُ: بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الْأَمْرِ حُجُبٌ، وَمَوَازِعُ، وَسَوَائِرُ، أَيْ: طَرِيقٌ مُسْتَبْعَدٌ^(٤). فَيَكُونُ مَعْنَى الْآيَةِ: إِنَّهُ لَا يُكَلِّمُ الْبَشَرَ إِلَّا وَخِيَاءً، بَأَنْ يُخْطِرَ فِي قُلُوبِهِمْ، أَوْ بَأَنْ يَنْصَبَ لَهُمْ أَدَلَّةً، تَدُلُّهُمْ عَلَى مَا يُرِيدُهُ، أَوْ يَكْرَهُهُ مِنْهُمْ. فَيَكُونُ - بِذَلِكَ - مُحَاطِيًا.

وَجَعَلَ هَذَا الْخِطَابَ ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ مَسْمُوعًا، كَمَا يُسْمَعُ الْخَاطِرُ، وَقَوْلُ الرَّسُولِ. فَصَارَ الْحِجَابُ - هَهُنَا - كِتَابَةً عَنِ الْحَقَاءِ، وَعِبَارَةً عَمَّا تَدُلُّ عَلَيْهِ الدَّلَالَةُ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ^(٥): ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَخِيَاءً﴾: هُوَ دَاوُدُ، أَوْ حَى فِي صَدْرِهِ، فَزَيَّرَ الزُّبُورَ. ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾: وَهُوَ مُوسَى. ﴿أَوْ يُرْسِلَ

(١) قول الجبائي هذا في مجمع البيان: ٣٧: ٥. بلا عزو إلى أحد.

(٢) أمالي المرتضى: ٢٠٦: ٢ - ٢٠٧.

(٣) في (أ): الحقائق.

(٤) في (أ): مستبعد. بالعين المهملة ثم الباء الموحدة من تحت.

(٥) في جامع البيان: ٤٥: ٢٥ هذا القول منسوب إلى السُّدِّي، ولكنه في مجمع البيان: ٣٧: ١ معزو

- بلفظه - إلى مجاهد، وكذا في التفسير الكبير: ١٨٦: ٢٧. والجامع لأحكام القرآن: ١٦: ٥٣.

رَسُولَاهُمْ^(١)؛ وَهُوَ جَبْرِيلُ، أَرْسَلَهُ إِلَى عَمَّادٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ^(٢) [وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ]^(٣).

وقال أمير المؤمنين - عليه السلام -: اخْتَجَبَ عَنِ الْعُقُولِ، كَمَا اخْتَجَبَ عَنِ الْأَبْصَارِ. وَعَمَّنْ فِي السَّمَاءِ اخْتِجَابُهُ كَمَا عَمَّنْ فِي الْأَرْضِ غِيَابُهُ.

وزعم الشَّعْبِيُّ^(٤) أَنَّهُ سَمِعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - عليه السلام - رَجُلًا يَقُولُ: وَالَّذِي اخْتَجَبَ بِسَنَعٍ طَبَاقًا! فَعَلَاهُ بِالذَّرَّةِ^(٥). ثُمَّ قَالَ لَهُ: وَتِلْكَ! إِنَّ اللَّهَ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يَخْتَجِبَ عَنْهُ شَيْءٌ، مُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْوِيهِ مَكَانٌ، وَلَا / ٤١ / يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ، وَلَا فِي السَّمَاءِ.

فَقَالَ الرَّجُلُ: أَفَأَكْفَرُ عَنْ يَمِينِي؟

قال: لا، لَمْ تَحْلِفْ بِاللَّهِ، فَيَلْزَمُكَ كُفْرًا، وَإِنَّمَا حَلَفْتَ بِغَيْرِهِ^(٦).



(١) الشورى: ٥١.

(٢) في (ك) و(هـ): صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة في (ح).

(٤) الاحتجاج: ١: ٣١٣. الإرشاد: ١٣٢.

(٥) الذَّرَّة: السَّوْطُ (المعجم الوسيط - دَرَزَ).

(٦) في (ك): بغير. من دون الضمير (الهاء).

فصل [- ٣٣ -]

[نفي التجسيم عن الله]

قوله - تعالى - : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾^(١).

النَّفْسُ: الدَّمُ. ومنه: نَفَسَتِ المرأةُ، فهي نَفَسَاءٌ. وكلُّ ما ليس له نَفْسٌ سائِلَةٌ. وَالرُّوحُ: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾^(٢). وَالْأَنفَةُ. يقالُ: لِفُلَانٍ نَفْسٌ. والإرادةُ: نَفْسُهُ في كذا. قال المُمَزَّقُ^(٣):

فَبَاتَتْ لَهُ نَفْسَانِ^(٤) شَتَى هُمُومُهَا فَتَنَسَّ يُعَزِّيهِمَا، وَنَفْسٌ يَلُومُهَا
والعينُ الَّذِي يُصِيبُ^(٥) الإنسانَ. يقالُ: أَصَابَتْ^(٦) فُلَانًا نَفْسٌ. ومقدارُ

(١) آل عمران: ٢٨، ٣٠.

(٢) الأنعام: ٩٣.

(٣) المؤلف والمختلف: ١٨٥. أمالي المرتضى: ١: ٣٢٥ منسوباً إلى المُمَزَّق العبدى وقال: وتُروى لمُعَرِّق بن حمار البارقي.

(٤) في (ك): نفساً. بإسقاط نون الثنية.

(٥) في (ك) و(هـ) و(ج): تصيب. بناء المضارعة المثناة من فوق. وفي (ا): يصب. والمقصود بالعين - هنا - الحسد، لذا ذكر الاسم الموصول والفعل الذي بعده تبعاً له.

(٦) في (ا): أَصَامَتْ.

(٧) في (هـ): فلان. من دون تنوين النصب.

الدَّبْعَةُ. يقال: أعطني نفساً^(١) أو نفسين من الدَّبَاعِ. وَقَالَ^(٢) فيه الحياة: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٣).

قال الخليل^(٤) في كتابه: نَفْسُ كُلِّ شَيْءٍ، عَيْنُهُ، وَذَائِقَةُ.

وَالْعَيْبُ: إِنِّي لَأَعْلَمُ نَفْسَ فُلَانٍ. وَالْعُقُوبَةُ. أَحْذَرُكَ نَفْسِي. أَي: عُقُوبَتِي.

الْقَرَاءُ^(٥): ﴿وَمَا يَجْدُعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾^(٦). ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٧)، ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾^(٨): إِنَّمَا هُوَ ذِكْرٌ عَائِدٌ إِلَيْهِمْ، وَأَرَادُوا أَنْ الْإِنْخِبَارَ عَنِ الْفَاعِلِ، وَالْمَفْعُولِ بِهِ، شَيْءٌ وَاحِدٌ. وَهَذَا مُعْتَرِضٌ.

ومعنى الآية، لَا يَخْلُو^(٩) إِمَّا أَنْ يَكُونَ، كَمَا فَسَّرَهُ الْمَفْسُرُونَ، أَوْ يَكُونَ جَسَداً. ثُمَّ الْجَسَدُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَعْلوماً، أَوْ غَيْرَ مَعْلُومٍ. فَغَيْرُ الْمَعْلُومِ يُؤَدِّي إِلَى

(١) في (هـ): نفس. من دون تنوين النصب.

(٢) في (ش) و(ك) و(أ): قالت. بالناء المبسوطة.

(٣) آل عمران: ١٨٥.

(٤) العين: ٧: ٢٧٠ مادة (نفس).

(٥) لم أقف عليه في معاني القرآن.

(٦) البقرة: ٩.

(٧) البقرة: ٥٤.

(٨) هود: ١٠١.

(٩) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): تَخْلُو. بناء المضارعة المثناة من فوق.

الجهالات، والمعلوم تشبيه. وَلَزِمَهُمْ أَنْ^(١) يقولوا: بَأَنَّهُ^(٢) ذُو أَوْصَالٍ، وأعضاء،
ولأَدَى إِلَى حُدُوثِهِ، أَوْ قَدَمِ الْأَجْسَامِ، وَأَنْ يَكُونَ ذَا أَجْزَاءَ كَثِيرَةٍ مِنْ تَرْكِيبِ
صُورَةٍ^(٣)، وَهَيَاةٍ، مُتَنَاهِيَا، مُمَاسًّا^(٤) لغيره^(٥).

وَلَا جِسْمَ إِلَّا وَلَهُ شَبِيهٌ مَحْسُوسٌ، أَوْ مَوْهُومٌ.

ثُمَّ إِنَّ التَّحْذِيرَ بِالْجَسَدِ، لَا^(٦) يَصُحُّ، وَإِنَّمَا يَقَعُ بِفَعْلٍ يَفْعَلُهُ بِهِ، كَقَوْلِهِ:
﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾، ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا ﴾^(٧).

وإذا بطل أن يكون المراد به، فلا خلاف في غيره، لأنه لا^(٨) يليقُ بالآية،
فلم يبقَ إلا أقوال المفسرين.

قال ابن عباس^(٩) ﴿ وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ عُقُوبَتُهُ.

(١) في (ك): بِأَنْ. مع حرف الجر (الباء).

(٢) في (ح): إِنَّهُ. بسقوط حرف الجر (الباء).

(٣) في (ش) و(ك) و(أ) و(ح): وَصُورَةٍ. مع واو العطف.

(٤) في (أ): مِمَاسًّا. بالشين المعجمة.

(٥) في (أ): الْعَبْرَةُ. بعين مهملة بعدها باء موحدة من تحت وآخرها تاء منقوطة.

(٦) في (أ): وَلَا. مع الواو.

(٧) البقرة: ٤٨، ١٢٣، ٢٨١.

(٨) في (أ): وَلَا. مع الواو.

(٩) في جامع البيان: ٣: ٢٣٠. هذا القول بلا نسبة إلى أحد. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٤٣٠. وكذا في

الجامع لأحكام القرآن: ٤: ٥٨.

وقال قُطْرُبٌ^(١): أي: ويُحذِّركم الله إِيَّاهُ، كقولك: في نفسِ الجَبَلِ، ونِفسِ البَصْرَةِ.

قال الرُّضَا^(٢) - عليه السلام -: عَلَيَّ ما خَوَّفَهُمُ اللهُ بِهِ.

قوله - سُبحانَهُ -: ﴿تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ﴾^(٣).
لو أرادَ الجَسَدَ، لوجبَ ألا يَعْلَمَ عَيْسَى ما في جَسَدِ اللهِ - جَلَّ وعلا - من الآلاتِ، والضمائرِ، وغير ذلك.
قال الحسنُ^(٤): تعلمُ ما في نَفْسِي. أي: في عَيْنِي^(٥)، ولا أَعْلَمُ ما في عَيْنِكَ.
وقال ابنُ عَبَّاسٍ^(٦): تعلمُ سِرِّي، ولا أَعْلَمُ سِرَّكَ. يُقال: أخفاهُ في نَفْسِهِ، وهو يُضْمِرُ في نَفْسِهِ شيئاً.

(١) وهذا القول منسوب في الجامع لأحكام القرآن: ٤: ٥٨ إلى الزجاج.

(٢) في (ح): هو - عليهما السلام - علي...

(٣) المائدة: ١١٦.

(٤) في جامع البيان: ٧: ١٣٨. وفي التفسير الكبير: ١٢: ١٣٥. بلفظه من دون عزو إلى أحد. وكذا في الجامع لأحكام القرآن: ٦: ٣٧٦.

(٥) في (أ): عيني.

(٦) في جامع البيان: ٧: ١٣٨ بلا عزو إلى أحد. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٢٦٩ معزوّاً إلى ابن عباس.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾^(١).

لا يخلو من أن يكون الكاتب هو المكتوب عليه. أو يكون الكاتب هو الرب، والمكتوب عليه - الرحمة^(٢) - غيره، فيكونان اثنين.



قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿ وَاضْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾^(٣).

فذكرهم عائداً إلى الرب من الإخبار. والفاعل والمفعول فيه واحد.



(١) الأنعام: ٥٤.

(٢) في (ك) و(ا): للرحمة.

(٣) طه: ٤١.

فصل [- ٣٤ -]

[نفى التجسيم عن الله]

قوله - تعالى - : ﴿وَلَتُضَنِّعَ عَلَيَّ عَيْنِي﴾^(١).

الظاهر يقتضي أن يكون ضُنْعُ الْمُخَاطَبِ - وهو موسى - عليه السلام - على عَيْنِهِ.

وقوله : ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾^(٢) ، يُوجِبُ أن يكون النبي - عليه السلام -
بِأَعْيُنِهِ ، فيكون «أَعْيُنُهُ» مكاناً له . وكذلك قوله^(٣) : ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ
بِأَعْيُنِنَا﴾^(٤).

ويقتضي أن يكون له أكثر من عَيْنَيْنِ . والجمعُ لا نهاية له ، ويجب أن يكون
ذا جَارِحَتَيْنِ ، وذلك يُؤدِّي على تناقض القرآن ، والخروج عن الإجماع .

(١) طه : ٣٩ .

(٢) الطور : ٤٨ .

(٣) في (أ) : صَلَّى الله عليه وآله .

(٤) (قوله) ساقطة من (هـ) .

(٥) المؤمنون : ٢٧ .

و«الْعَيْنُ»^(١) لفظ مشترك بين الباصرة، والدينار، والجاسوس، والرئيس،
والنقد، ومهبط الجحوب، ومطر لا يقلع، وما يُصيب من الفساد، وعَيْنُ الشَّمْسِ،
والماء، والميزان، والرُّكْبَة، وغير ذلك. وبمعنى العِناية للشيء. قال ابنُ جِلْزَة^(٢):

وَيَعْنِيكَ أَؤَقَدْتُ هُنْدُ النَّارِ عِشَاءً تَلْوِي بِهَا الْعَلْبَاءُ
وَيُوضَعُ^(٣) فِي مَكَانِ الذَّاتِ، فَيَكُونُ تَاكِيدًا، وَتَخْصِيصًا، فَمَعْنَى قَوْلِهِ:
﴿وَلَتُضَنِّعَ عَلَى عَيْنِي﴾، أَي: بحفظي، ومُزَاعَاةٍ لَكَ، يُقَالُ: سِرٌّ فِي عَيْنِ اللَّهِ،
وَعَيْنُ اللَّهِ عَلَيْكَ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿قَرَأْتُكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، وَكَذَلِكَ: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ
بِأَعْيُنِنَا﴾، أَي: نَامُرُكَ بِهِ، وَحِفْظُنَا لَذَلِكَ، لِقَوْلِهِ: ﴿وَوَحَيْنَا﴾^(٤)، أَي^(٥): عَلَى مَا
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ. وَيُقَالُ: بِوَحَيْنَا إِلَيْكَ: أَنِ اصْنَعْهَا.

وَيَحْتَمِلُ^(٦) أَنَّهُا تَجْرِي، وَتَحْنُ عَالَمُونَ^(٧) بِهَا، لِأَنَّ السَّفِينَةَ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ
يَتَعَلَّقَ^(٨) جَزْيُهَا إِلَّا بِالْعَيْنِ، الَّتِي هِيَ الْبَاصِرَةُ.

(١) كتاب العين: ٢: ٢٥٤ (عين)، ولسان العرب (عَيْن).

(٢) ديوان الحارث بن جِلْزَة: ٩، وفيه: النار أصيلاً.

(٣) في (هـ): توضع. بناء المضارعة المثناة من فوق. وفي (ج): توضع. بالحاء المهملة.

(٤) المزمون: ٢٧.

(٥) (أَي) ساقطة من (هـ).

(٦) في (هـ): تحتمل بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٧) في (أ) عاملون. بميم ثم لام.

(٨) في (ش) و(ك): تتعلّق، بناء المضارعة المثناة من فوق.

وقال الجبائي^(١): معناه: بأعين أوليائنا من الملائكة، والمؤمنين الذين يُعلمونك كيفية عملها.

وقيل^(٢): معناه: يعلمنا^(٣).

وقيل: بحيث يراها الرائي، والله - تعالى - يراه.

وقال الأصمعي: قال عمر بن الخطاب: إن علياً [- عليه السلام -]^(٤) من عيون الله في الأرض.

/ ٤٢ / وما سوى ذلك، لا يجوز، لأنه لا يُفيد.



(١) في مجمع البيان: ٤: ١٠ نُسبَ إلى الجبائي خلاف هذا الرأي.

(٢) التفسير الكبير: ٢٢: ٥٣ من دون عزو إلى قائل أو جماعة.

(٣) في (ش) و(ك): يعلمنا. بصيغة المضارع وبياء مشأة من تحت.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ح).

فصل [- ٣٥ -]

[نفي التجسيم عن الله]

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾^(١).

أي: قَالَ قَوْلًا، يُسْمَعُ بِالْأُذُنِ. وَلَا يُرِيدُ - بذلك - أَنَّهُ أَصْغَى بِالْأُذُنِ إِلَى قَوْلٍ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ^(٢):

بِسْمَاعٍ يَأْذَنُ الشَّيْخُ لَهُ وَحَدِيثٍ مِثْلٍ مَا ذِي مُشَارٍ^(٣)

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾^(٤).

حَمَلُ «الْوَجْهِ» عَلَى الْجَارِحَةِ، يَقْتَضِي أَنْ يَهْلِكَ سَائِرُهُ، وَيَبْقَى وَجْهُهُ.

وقَوْلُهُ: ﴿لِوَجْهِ اللَّهِ﴾^(٥)، وقَوْلُهُ: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾^(٦)، يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ

(١) الأعراف: ١٦٧.

(٢) هو عَدِيُّ بْنُ زَيْدِ الْعَبَادِيِّ.

(٣) ديوان عَدِيِّ بْنِ زَيْدِ الْعَبَادِيِّ: ٩٥.

(٤) الرحمن: ٢٧.

(٥) النمر: ٩.

(٦) الأنعام: ٥٢. الكهف: ٢٨.

وَجْهَهُ مُقَصَّدَ الْقَوْمِ، فِي طَاعَتِهِ إِلَى وَجْهِهِ، لِيَقْبَلَ.

وقوله: ﴿فَقَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾^(١)، يحتمل أن يكونَ وجهُهُ حيثُ يتوجَّه الإنسانُ إليه، وأن يكونَ وجهُهُ جميعَ النَّوَاحِي في الحالة الواحدة، لِتَوَجُّهِ النَّاسِ إِلَى كُلِّ وَجْهِ.

وقوله: ﴿نُطْعِمُكُمْ لَوْجِهِ اللَّهِ﴾^(٢)، وقوله: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾^(٣)، وقوله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾^(٤)، أي: الْقُرْبَةَ إِلَيْهِ وَالزُّلْفَةَ عِنْدَهُ. كما يُقَالُ: أَكْرَمْتُهُ لَوْجْهَكَ. أي: لِتَعْظِيمِكَ.

وقوله ﴿قَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾. أي قَمَّ اللهُ - على مَعْنَى التَّدْبِيرِ وَالْعِلْمِ، لا على مَعْنَى الْحُلُولِ.

وَيَحْتَمِلُ آيَاتِ اللَّهِ، ودلائلُهُ، كما يُقَالُ: وَجْهُ الْقَوْلِ فِي هَذِهِ^(٥) الْمَسْأَلَةِ، كَذَا. وَيَحْتَمِلُ رِضَا اللَّهِ، وثوابَهُ. وَيَحْتَمِلُ الْجَهَّةَ، وتكونُ الإِضَافَةُ بِمَعْنَى: الْمُلْكِ، وَالْحَقْلَقِ، وَالْإِنْشَاءِ، أي: الْجَهَاتُ كُلُّهَا^(٦) لِلَّهِ.

(١) البقرة: ١١٥.

(٢) الدھر: ٩.

(٣) البقرة: ٢٧٢.

(٤) الزُّرُوم: ٣٨.

(٥) في (هـ): هُذِي.

(٦) في (أ): الله. من دون حرف الجرّ (اللام).

الرضا - عليه السلام - ﴿ فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ . قال : عليّ .
 وَيُسْتَعْمَلُ الْوَجْهُ فِي الْحَيَا^(١) . وَسُمِّيَ - بِذَلِكَ - لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَا يَظْهَرُ ، وَيُرَى .
 وَأَوَّلُ الشَّيْءِ : ﴿ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ ﴾^(٢) .
 وَالْمَقْصِدُ : ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ ﴾^(٣) ، وَقَوْلُهُ : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
 الْقَسِيمِ ﴾^(٤) ، وَمَا الْوَجْهُ فِيهِ ، وَالْمَذْهَبُ ، وَالْجِهَةُ ، وَالنَّاحِيَةُ . شَاعِرٌ^(٥) :
 أَيُّ الْوُجُوهِ انْتَجَفَتْ ؟ قُلْتُ لَهُ : لَا يَ وَجْهُ ؟ إِلَّا إِلَى الْحَكَمِ
 وَالْقُدْرَةِ ، وَالْمَنْزِلَةِ : لِفُلَانٍ وَجْهُ عَرِيضٌ . وَهُوَ أَوْجَهُ مِنْ فُلَانٍ . وَأَوْجَهُهُ
 السُّلْطَانُ . إِذَا جَعَلَ لَهُ جَاهًا . قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ^(٦) :
 وَنَادَيْتُ قَيْصَرَ فِي مُلْكِهِ فَاوْجَهَنِي وَرَكِبْتُ الرِّيْدَا
 وَالرَّائِسَ . هَذَا وَجْهُ الْقَوْمِ . وَهُوَ^(٧) وَجْهُ عَشِيرَتِهِ .

(١) في (أ) : المحيات . بالناء المبسوطة .

(٢) آل عمران : ٧٢ .

(٣) لقمان : ٢٢ .

(٤) الزوم : ٥٣ .

(٥) عيار الشعر : في جملة أبيات معزوة إلى حمزة بن بيض . الأغاني : ١٦ : ١٥٣ . منسوباً إلى حمزة بن
 بيض الحنفي . أمالي المرتضى : ١ : ٥٩١ منسوباً إلى حمزة ابن بيض الحنفي . الثبيان في تفسير
 القرآن : ١ : ٢٤ معزواً إلى ابن بيض . مجالس العلماء : ١٩٩ معزواً إليه أيضاً .

(٦) ديوان إمري القيس : ٢٥٢ .

(٧) في (أ) : فَهُوَ .

وَذَاتِ الشَّيْءِ. إِنَّمَا أَفْعَلُ ذَلِكَ لَوَجْهِكَ. وَمِنْهُ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾^(١)،
﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾^(٢)، ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾^(٣).

فَجَمِيعُ مَا أُضِيفَ إِلَى «الْوُجُوهِ» فِي ظَاهِرِ الْآيِ^(٤)، مِنْ النَّصْرَةِ، وَالنَّظَرِ،
وَالرِّضَى، لَا تَصُحُّ إِضَافَتُهُ إِلَيْهَا، وَإِنَّمَا يُضَافُ إِلَى الْجُمْلَةِ.

الْمُفْسِّرُونَ^(٥): ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٦). أَي: إِلَّا هُوَ. يَدُلُّ عَلَيْهِ
قَوْلُهُ^(٧). فَلَوْ^(٨) لَمْ يُرِدْ نَفْسَهُ، لَمْ يَقُلْ: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٩).



(١) القيامة: ٢٢.

(٢) القيامة: ٢٤.

(٣) الغاشية: ٨.

(٤) فِي (ح): الْآيَةُ. بِصِيغَةِ الْإِفْرَادِ.

(٥) فِي الْجَامِعِ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: ١٣: ٣٢٢ مَنْسُوبٌ إِلَى مُجَاهِدٍ فَقَطْ وَهَنَّاكَ أَقْوَالُ أُخْرَى مُخْتَلِفَةٌ لَجُمْلَةٍ
مِنَ الْمُفْسِّرِينَ.

(٦) القصص: ٨٨.

(٧) فِي (ك): قَوْلُو. وَهِيَ سَاقِطَةٌ مِنْ (هـ).

(٨) فِي (ش) وَ(ك) وَ(هـ) وَ(ح): وَلَوْ. مَعَ الْوَاوِ.

(٩) الرحمن: ٢٧.

فصل [- ٣٦ -]

[نفي التجسيم عن الله]

قوله - تعالى - ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(١).

أي: نِعْمَةٌ، فيما امتنَّ به عليهم من الإسلام، فوق نِعْمَتِهِمْ، الانقياد^(٢) له، والإيمانُ به، لآثِهِ عَقَبَ قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٣). أي: عَقْدُ اللَّهِ في هذه البيعة، فوق عَقْدِهِمْ، لأنَّهم يُبَايِعُونَ^(٤) الله، بِبَيْعَةِ نَبِيِّهِ [- صَلَّى الله عليه وآله -]^(٥).

وقيل: قُوَّةُ اللَّهِ في نصرِ نَبِيِّهِ [- صَلَّى الله عليه وآله -]^(٦) فوق نصرِهِمْ.

وقيل: يَدُ اللَّهِ، ثابتةٌ في هدايتِهِمْ، فوق أَيْدِيهِمْ بالطَّاعَةِ، ولو كان له يَدٌ فوق

(١) الفتح: ١٠.

(٢) في (هـ) و(ج): والانقياد. مع الواو.

(٣) الفتح: ١٠.

(٤) في (ك): يبايعوا.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ح).

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ح).

أيديهم من جهة المكان، لم يكن^(١) له - في ذلك - تشریفٌ وتخصيصٌ.

ابن عباس^(٢): قال يهوديٌّ: إِنَّ اللَّهَ - تعالى - كَانَ يُوسِّعُ عَلَيْنَا، وَيُعْطِينَا، فَقَدْ أَمْسَكَ يَدَهُ عَنَّا - يعني المطر - فَأَجَابَهُمُ اللَّهُ - تعالى - بقوله: ﴿خُلِّتْ أَيْدِيهِمْ﴾^(٣)، أَي: مُنِعُوا مِنَ الْإِنْفَاقِ، وَضُرِبُوا بِالْبُخْلِ، ﴿وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾^(٤).

وقيل: إِنَّهُمْ قَالُوا عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِهْزَاءِ: إِنَّ إِلَهَ مُحَمَّدٍ، أَرْسَلَ يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ، إِذْ لَمْ يُوسِّعْ عَلَيْهِ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، بقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾. أَي: نِعْمُهُ.

وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُمْ وَصَفُوا اللَّهَ بِمَا يَقْتَضِي تَنَاهِي مَقْدُورِهِ^(٥)، فَجَرَى ذَلِكَ مَجْرَى قَوْلِهِمْ: يَدُ فُلَانٍ، مُنْقَبِضَةٌ، وَيَدُهُ لَا تَنْبَسِطُ. وَيَشْهَدُ^(٦) - بِذَلِكَ - قوله^(٧): ﴿لَقَدْ

(١) في (ك): تكن. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٢) جامع البيان: ٦: ٣٠٠ بالتفسير نفسه من غير ذلك سبب النزول. وهو منسوبٌ في الجامع لأحكام القرآن: ٦: ٢٣٨ إلى عكرمة مولى ابن عباس والراوي عنه.

(٣) (تعالى): ساقطة من (ك) و(هـ) و(أ) و(ح).

(٤) المائدة: ٦٤.

(٥) المائدة: ٦٤.

(٦) في (ح): مقدوراته.

(٧) في (ك) و(أ): نشهد. بالنون الموحدة من فوق.

(٨) في (ك) و(أ): وقوله. مع الواو.

سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴿١﴾ ثُمَّ قَالَ - تَكْذِيباً لَهُمْ - : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ . أي : [إِنَّهُ] ﴿٢﴾ مَنْ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ .

ومعنى «اليد» : القُدْرَةُ ، أيضاً ، يقال : ما لي بهذا الأمرِ يدٌ ، ولا يدَانِ . أي : لا أقدرُ عليه .

ولا يُرادُ إثباتُ قُدْرَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، بل يُرادُ إثباتُ كَوْنِ الْقَادِرِ ، قَادِرًا .
وقوله : ﴿الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ ﴿٣﴾ ، معناه : مَنْ يَمْلِكُ ذَلِكَ . وقوله :
﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ ﴿٤﴾ ، أراد : الْجُمْلَةَ دُونَ التَّبَعِضِ ﴿٥﴾ .



قوله - : سبحانه - ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ﴿٦﴾ . يجري مجرى قوله : لَمَّا خَلَقْتُ أَنَا .
ولأنها قال ﴿بِيَدَيَّ﴾ على وجه تخصيص / ٤٣ / الإضافة ، لِخَلْقِهِ ، إِلَيْهِ - تعالى - .
والتَّسْنِئَةُ ، أشدُّ مبالغةً . يقال : هذا ما كَسَبَتْ يَدَاهُ . وهذا فَعَلَهُ بِيَدَيْهِ . كما يُقال : فَعَلَهُ

(١) آل عمران : ١٨١ .

(٢) (ثم) ساقطة من (ك) و(ح) .

(٣) ما بين المقوفتين زيادة من (ك) و(هـ) و(أ) و(ح) .

(٤) البقرة : ٢٣٧ .

(٥) الشورى : ٣٠ .

(٦) في (أ) : البعض .

(٧) ص : ٧٥ .

بنفسِهِ. ومنهُ قولهم: يَدَاكَ أَوْكَتَا^(١). وإن كان في ذنوبهم ما هو من أفعالِ القُلُوبِ، وكيف خلق آدمَ بجارحتين، وإنَّه محتاجٌ إليهما، وإنَّه يفعلُ بالآلاتِ، وإنَّه يتجزَّى، لأنَّ اليدين، إثنان، ليسَ بواحد.

ومعنى قوله: ﴿يَلْ يَدَاهُ﴾، أي: نِعْمَتَاهُ، دِينَا، ودُنْيَا.

وقيل: نِعَمُ الدُّنْيَا، وَنِعِمُّ الآخِرَةِ، لأنَّ أَوَّلَهَا، يُوجِبُ ذلك، وقد فسَّره اللهُ - تعالى - في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾^(٢). قال الشاعر^(٣):

سَبَطَ الْيَدَيْنِ سِمًا فِي رَحْلِ صَاحِبِهِ جَعَدُ الْيَدَيْنِ سِمًا فِي رَحْلِهِ قَطَطٌ
وعلى زعمهم: يُوجِبُ أن تكونا مبسوطتين^(٤)، لا تنقبضانِ للتَّخصيصِ بذلك، ويُوجِبُ كَوْنَهُمَا^(٥) مُرَكَّبَةً، ذات أصابع، ليُصَحَّحَ معنى البَسْطِ. وقد تمدَّحَ بذلك، وللخلقِ مثله، فلا فائدة فيه.



(١) هو بعض من مثل وتماثله: «يداك أوكتا وفوك نفع» ويضرب لمن يجني على نفسه الحثي. أنظر مجمع الأمثال: ٢: ٤١٤.

(٢) الإسراء: ٢٩.

(٣) الأضداد في كلام العرب: ١: ١٦٤ بلا عزو وفيه: «سمح اليدين...». أساس البلاغة: «قطط» كـ ٥١٣. بلا عزو وفيه: «سمح اليدين...».

(٤) في (هـ): مبسوطتان.

(٥) في (ش) و(ك): كونها.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾^(١).

أي: عملناه من غير أن نكله إلى غيرنا، بمنزلة ما يعملُه العبادُ بأيديهم في أنهم تولّوا فعله، ولم يكلّوه إلى غيرهم^(٢)، كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣).

وقال ابن عباس^(٤)، ومجاهد^(٥) وقطادة^(٦) في قوله: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾^(٧) أي: بقوة. وقوله: ﴿أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾^(٨)، معناه: القوي. فيكون لفظ «الأيدي»، تأكيداً لتخصيص الإضافة.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَالسَّمَاوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ﴾^(٩). يُسْتَعْمَلُ^(١٠) «الْيَمِينُ»

(١) يس: ٧١.

(٢) في (أ): غيرهما.

(٣) النحل: ٤٠.

(٤) جامع البيان: ٢٧: ٧. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ١٦٠. الجامع لأحكام القرآن: ١٧: ٥٢ منسوب

إلى ابن عباس وغيره.

(٥) جامع البيان: ٢٧: ٧. أيضاً مجمع البيان: ٥: ١٦٠.

(٦) جامع البيان: ٢٧: ٧. أيضاً مجمع البيان: ٥: ١٦٠.

(٧) الذاريات: ٤٧.

(٨) ص: ٤٥.

(٩) الزمر: ٦٧.

(١٠) في (هـ) و(أ) و(ح): تستعمل، بناء المضارعة المثناة من فوق.

في أشياء:

أما قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوِيَّ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾^(١): اليدُ اليمنى.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾^(٢): القَسَمُ. قال امرؤ القيس^(٣):

فَقَالَتْ: يَمِينُ اللَّهِ مَالِكُ جِنَلَةٍ [وَمَا إِنْ أَرَى عَنْكَ الْعِمَامَةَ تَنْجَلِي]
وَالْحَدُّ، وَالصَّرَامَةُ. قَالَ الشَّيْخُ:

[إِذَا مَا رَابِئَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ] تَلَقَّاهَا عَرَابِئُ بِالْيَمِينِ
وَالْمَنْزِلَةُ الْحَسَنَةُ: يُقَالُ: فَلَانٌ عِنْدَهُ بِالْيَمِينِ. قَالَ ذُو الرُّمَّةِ^(٤):

أَيْبِنِي أَفِي يَمْنَى يَدِيكَ جَعَلْتَنِي لَكَ الْخَيْرُ أَمْ صَبَّرْتَنِي فِي شِمَالِكَ
وعِبَارَةٌ عَنِ الْمَلِكِ. هَذَا مِلْكُ يَدِي. قوله: ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾^(٥). وهذا
يرجعُ إلى^(٦) أَنَّ الْيَمِينَ أَرَادَ بِهِ الْجُمْلَةَ - جُلُّ ذَاتُهُ - كَأَنَّهُ قَالَ: بِمَا مَلَكَتُمْ. فَيَكُونُ
مَجْرَاهُ الذَّاتَ.

(١) الحاقة: ١٩.

(٢) البقرة: ٢٢٤.

(٣) ديوان امرئ القيس: ١٤ ومنه تمام البيت، وهو من معلّفته.

(٤) تُسَبِّبُ الْبَيْتَ إِلَى ذِي الزَّمَةِ خَطَأً، وَإِنَّمَا هُوَ لِابْنِ الدَّمِينَةِ. أَنْظِرْ دِيوَانَ ابْنِ الدَّمِينَةِ: ١٧ وفيه:

«فأفرح أم صَبَّرْتَنِي...».

(٥) النور: ٣٣، الروم: ٢٨.

(٦) (إلى) ساقطة من (ك).

فلو حملناه على الجارحة، اقتضى التشبيه المؤدّي إلى مناقضة الأصول،
وأن يكون السماء مطويةً بيمينه، ويؤدّي إلى مناقضة القرآن من حيث أخبر عن
حال السماء في ذلك اليوم، فقال: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾^(١)، ﴿فَإِذَا
انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾^(٢)، ﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ
وَاهِيَةٌ﴾^(٣)، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾^(٤)، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾^(٥)، ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ
كُشِطَتْ﴾^(٦)، فكيف تكون^(٧) السماء مع هذه الأحوال من انشقاق، وانفطار،
وكونها مهلاً، ووردة مطوية؟

وإتهم رَوّوا: إنَّ^(٨) كلتا يديه يمين^(٩)، وإنَّ^(١٠) الحجر الأسود، يمينُ الله،
فبأي يمينه تكون مطوية؟ وهو لم يبيّنه.

(١) المعارج: ٨.

(٢) الرحمن: ٣٧.

(٣) الحاقة: ١٦.

(٤) الانشقاق: ١.

(٥) الانفطار: ١.

(٦) التكويز: ١١.

(٧) في (ش) و(ك) و(أ): يكون. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٨) (إِنَّ) سقطت من (ح).

(٩) في (ش) و(ك) و(أ): يميناً. وفي (ح): يمينان.

(١٠) في (ح): والحجر.

واليد، إنما فُرّق باليمين، وباليَسار، للتمييز. فأما إذا كانت كلتا يديه يميناً، فلا معنى للقول، بأنه فعل كذا بيمينه، مَعْنِيّاً^(١) به الجارحة. إذ يقع به التمييز^(٢).

ولعلّ السموات تكون مَطْوِيَّةً بالحجر الأسود، ولا يَجُوزُ بِمَعْنَى: السَّمَرِلةِ الحسنة، لأنه لا معنى له في الآية. ولا بِمَعْنَى: المَلِكِ، لأنه لا يقال: كان ذلك بِمَلِكٍ يَعْنِي. ولا بِمَعْنَى: الحدِّ والصَّرامة، لأنَّ ذلك لا يُفِيدُ، وإنَّها استُعْمِلَ - في ذلك - بالألف. فلم يَبْقَ إلَّا بالقُدرة، وبالقَسَم. وذلك أقوال المفسرين.



(١) في (ك) و(هـ) و(أ): معيّناً. بياء ثم نون.

(٢) في (هـ) و(أ): التمييز.

فصل [٣٧ -]

[في نفي التجسيم عن الله]

قوله - تعالى - ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(١).

الْقَبْضَةُ، لَوْ فُسِّرَتْ عَلَى الظَّاهِرِ، لَأَوْجَبَ أَنَّ الْأَرْضَ قَبْضَتُهُ. أَي: جَارِحَتُهُ. وَيَقْتَضِي أَنَّهُ لَيْسَتْ لَهُ قَبْضَةٌ سِوَى الْأَرْضِ^(٢)، وَالْأَرْضُ لَيْسَتْ بِجَارِحَةٍ لَهُ.

وَلَا يَخْلُو^(٣) قَوْلُهُ ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ﴾ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ:

إِمَّا أَنْ يَكُونَ إِخْبَاراً أَنَّ الثَّانِي هُوَ الْأَوَّلُ. كَمَا يُقَالُ: زَيْدٌ^(٤) أَخَوْتُ. فَيَقْتَضِي ذَلِكَ أَنَّ الْأَرْضَ كَفَّهُ الْمُجْتَمِعُ.

أَوْ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ التَّشْبِيهِ لِلأَوَّلِ بِالثَّانِي، تَفْصِيلاً، كَمَا يُقَالُ: فَلَانٌ

(١) الزمر: ٦٧.

(٢) في (ش): ليست قبضته سوى الأرض.

(٣) في (ك) و(ل): تخلص.

(٤) في (ل): زيداً.

عَيْنِي، وَهُوَ قَوَادِي، وَكَمَا يُقَالُ: فَلَانٌ أَسَدٌ، وَبَحْرٌ. تَشْبِيهَا لَهُ يَهْمَا فِي الْجُودِ،
وَالشَّجَاعَةِ، وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ.

وَأَمَّا أَنْ يُرَادَ: أَنَّهُ مُلْكُهُ، أَوْ فِعْلُهُ، كَقَوْلِهِمْ: هَذِهِ دَائِرُهُ، وَعَبْدُهُ^(١). هَذَا كَسْبُهُ،
وَفِعْلُهُ. وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ، يَصُحُّ.

ابْنُ عَبَّاسٍ^(٢)، وَمَجَاهِدٌ^(٣): أَي: مُلْكُهُ. وَمِنْهُ يُقَالُ: هَذَا فِي قَبْضَتِي. وَقَبْضْتُ
الدَّارَ. وَالْأَرْضَ هَذِهِ قَبْضَةٌ، أَي: مُجْتَمِعَةٌ. وَمِنْهُ: قَبْضَةُ الْيَدِ، وَالْقَوْسِ، وَمَقْبَضُ
السَّيْفِ. الْقَبْضُ مَا قُبِضَ مِنَ الْغَنَائِمِ، وَالْفَيْءِ. وَالتَّقْبِضُ: التَّسْنِجُ، وَالْعُبُوسُ.
﴿فَقَبْضْتُ قَبْضَةً﴾^(٤)، «فَعَلَةٌ» مِنْهُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ
جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ثُمَّ قَبْضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾^(٥).

(١) فِي (ش) عَنْهُ. بَنُونَ مُوَحَّدَةٌ مِنْ فَوْقٍ. وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

(٢) فِي جَامِعِ الْبَيَانِ: ٢٤: ٢٥ يُقَالُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَا يُخَالِفُ قَوْلَهُ هَذَا. الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: ١٨:

٢٧٥ مَنْسُوبًا إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ نَقْلًا عَنْ ابْنِ قَتِيْبَةٍ.

(٣) الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: ٨: ٢٧٥ نَقْلًا عَنْ ابْنِ قَتِيْبَةٍ.

(٤) طه: ٩٦.

(٥) الْفَرْقَانُ: الْآيَاتَانِ ٤٥ - ٤٦.

إِنَّمَا هِيَ حَيْثُ تُشْرِقُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، فَيَتَقَلَّصُ^(١)، لِأَنَّهُ مَا رُئِيََتْ يَدُهُ^(٢)
مُجَسَّدَةً، تَقْبِضُ^(٣) الظِّلَّ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُنْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾^(٤).

مَا رُئِيََتْ يَدُ تَمَسِّكُ شَيْئًا، وَإِنَّمَا مَعْنَى ذَلِكَ: الْقُدْرَةُ عَلَى إِمْسَاكِهَا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿يَقْبِضُ وَيَنْسُطُ﴾^(٥).

أَي: يَمْنَعُ، وَيُعْطِي.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾^(٦)، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ

(١) (فَيَتَقَلَّصُ) مَطْمُوسَةٌ فِي (أ).

(٢) فِي (ك) وَ(هـ) وَ(أ): يَدٌ. مِنْ دُونَ الضَّمِيرِ (الْهَاءِ).

(٣) فِي (أ): وَتَقْبِضُ، مَعَ الْوَائِ.

(٤) الْمَلِكُ: ١٩.

(٥) الْبَقَرَةُ: ٢٤٥.

(٦) هُودٌ: ٥٦.

بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٍ^(١).

لَا يُوصَفُ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - بِالْقَبْضِ عَلَى الشَّيْءِ، فَاَلْمَعْنَى - فِي ذَلِكَ - إِتِّهَا فِي مِلْكِهِ.



فصل [- ٣٨ -]

[نفي التجسيم عن الله]

قوله - تعالى -: ﴿ مَا قَرَّبْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾^(١).

الجَنْبُ: العَضْوُ المَعْرُوفُ، والنَّاحِيَةُ. قال مُهَلِّهْل^(٢):

كَانَا - عُدْوَةً - وَيَنْسِي أَيْنَنَا - بِجَنْبِ عُنَيْزَةٍ وَحَيَا مُدِيرِ

وَلَصِيقُ^(٣) الشَّيْءِ. ومنهُ: الصَّاحِبُ بِالجَنْبِ. والسَّبَبُ^(٤)، ويقامُ مقامَ

«أجل»، يُقَالُ: فَعَلْتُهُ فِي جَنْبِهِ، وَفِي سَبَبِهِ، وَمِنْ أَجْلِهِ. الأَحرارُ:

خَلِيبِي كُفًّا وَادْكُرَا اللَّهَ فِي جَنْبِي وَقَدْ لُتْمْتَا فِي غَيْرِائِمِ، وَلَا ذَنْبِ

أَي: فِي أَمْرِي.

والجَنْبُ الَّذِي هُوَ، الجَارِحَةُ، وَلَصِيقُ الشَّيْءِ، غَيْرُ مَعْقُولٍ. وبمعنى

(١) الزُّمَر: ٥٦.

(٢) الأَصْمَعِيَّات: ١٥٥. الاشتقاق: ٣٢١: ٢. أمالي القاضي: ١٥٠: ٢. شرح المفصل: ١٤٧: ٤.

خزانة الأدب. ٣: ٥٢٠..

(٣) في (ك): لَصِيقٌ. بالضاد المعجمة.

(٤) في (هـ): النَّسَبُ. بالنون الموحدة من فوق بعدها السين.

السَّبَبِ، و«أَجَلٍ»، كَلَامٌ مَفْهُومٌ.

فمعناها: ﴿مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾. أي: أمره. قاله مجاهد^(١). وهو الصَّحِيحُ، لأنَّ «الجَنْبَ» يُعْبَرُ بِهِ عَنِ الذَّاتِ، يُقَالُ: فِي جَنْبِ فُلَانٍ حَقٌّ. وقال ابن^(٢) عباس: فِي ذَاتِ اللَّهِ.

وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ، وَالْوَصِيِّ^(٣)، وَالسَّجَّادِ، وَالْبَاقِرِ، وَالصَّادِقِ، وَالرِّضَا، وَزَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -: جَنْبُ اللَّهِ، عَلَيَّ^(٤).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ الآية^(٥). السَّاقُ: ذَاتُ الْقَدَمِ: ﴿وَكُشِفَتْ عَنْ سَاقِيهَا﴾^(٦). وَسَاقُ الشَّجَرَةِ الَّتِي تَرْتَفِعُ عَلَيْهَا. وَيُقَالُ: سَاقٌ عَلَى سَاقٍ. أَيِ^(٧): قُمْرِيَّةٌ^(٨) عَلَى شَجَرَةٍ. وَالشُّدَّةُ.

(١) جامع البيان: ٢٤: ١٨. أيضاً: جمع البيان: ٤: ٥٠٤. الأسماء والصفات: ٣٦.

(٢) في جمع البيان: ٤: ٥٠٤ نُسِبَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ - فِي هَذَا الْمَوْضِعِ - قَوْلُهُ: فِي ثَوَابِ اللَّهِ.

(٣) فِي (أ): الرضی.

(٤) الكافي: ١: ١٤٥. التوحيد: ١٦٤، ١٦٥. عن الصادق (عليه السلام) عن أمير المؤمنين (عليه

السلام) جمع البيان: ٤: ٥٠٤ عن الباقر (عليه السلام) قوله: نَحْنُ جَنْبُ اللَّهِ.

(٥) القلم: ٤٢.

(٦) النمل: ٤٤.

(٧) العبارة: «أَيِ... سَاقٍ» ساقطة من (أ).

(٨) الْقُمْرِيَّةُ: ضَرْبٌ مِنَ الْحَمَامِ مَطْوَّقٌ حَسَنُ الصَّوْتِ. جَمَعُهَا: قُمْرٌ. (المعجم الوسيط - قَمَرٌ).

يقال: قامت الحرب على ساق. سعد بن مالك^(١):

كَشَفْتُ لِمَنْ عَنِ سَاقِهَا وَيَدًا مِنَ الشَّرِّ الصَّرَاحِ^(٢)

فالجارحة، لا يجوز، لأنه لم يقل: عن ساقه. ولم يقل: مَنْ يَكْشِفُ.

وَنَكَرَ «السَّاق»، ولم يُعرِّفه، فلا دلالة على شيء مما قالوه.

وما رَوَوْهُ، فباطل، لا أصل له، وليس من الصُّحاحِ عند القوم. وذلك

كُفِّرَ شَيْعٌ.

وما في كَشَفِ سَاقِهِ، مما يُوجب معرفتهم، بأنه رَبُّهُمْ، ويلزمهم التشبيه،

وإبطال أدلة العقول، ورفع الإجماع، وتناقض القرآن.

ولا يجوز بمعنى الشجرة، أو القمرِي، لأنه غير مفيد فيهما. فلم يَنْتَقِ إِلَّا

السُّدَّةُ، وهو حال الكُفَّارِ، لقوله في آخرها: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى

السُّجُودِ﴾^(٣).

(١) في النسخ جميعها: سعيد بن مالك، وصوبناه من المراجع.

(٢) معاني القرآن: ٣: ١٧٧ وفيه: (الشَّرِّ البَراح) معزواً إلى جذ طرفه. ديوان الحماسة برواية

الجواليقي: ١٤٤ معزواً إلى سعد بن مالك جذ طرفه بن العبد. الخصائص: ٣: ٢٥٢. شرح

عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد: ١٨٧ مشفوعاً ببيت آخر، معزواً إلى سعد بن مالك.

التيبان في تفسير القرآن: ١٠: ٨٧ معزواً إلى جذ طرفه. وكذا في الأسماء والصفات: ٣٤٦.

(٣) القلم: ٤٣.

وَرُوِيَ^(١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٢)، وَابْنِ جَبْرِ^(٣)، وَابْنِ الْمُسَيَّبِ، وَقَتَادَةَ^(٤): إِنَّهُ شِدَّةٌ.



(١) (روي) سقطت من (ح).

(٢) جامع البيان: ٢٩: ٣٨. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٣٣٩. الدر المنثور: ٨: ٢٥٤. الأسماء والصفات: ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧. الجامع لأحكام القرآن: ٨: ٢٤٩.

(٣) جامع البيان: ٢٩: ٣٩. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٣٣٩. الدر المنثور: ٨: ٢٥٥.

(٤) جامع البيان: ٢٩: ٣٩. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٣٣٩. الدر المنثور: ٨: ٢٥٦.

فصل [- ٣٩ -]

[نفى التجسيم عن الله]

قوله - تعالى - : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ ^(١).

معناه: وجاء أمر ربك. حَذَفَ الْمُضَافَ، وَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ، مَقَامَهُ. وَالْحَذْفُ فِي أَمْثَالِهِ، جَائِزٌ، إِذَا كَانَ - هُنَاكَ - مَانِعٌ عَنِ الْجَزْيِ عَلَى الظَّاهِرِ. نَحْوُ: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾ ^(٢).

وقال الحسن ^(٣): أي: جاء وعد ربك. يعني: الأحكام بالثواب، والعقاب.

وقال الضَّحَّاك ^(٤): إِذَا نَزَلَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ - كَانُوا ^(٥) تِسْعَةَ

صفوفٍ محيطين بالأرض، وَمَنْ عَلَيْهَا.

(١) الفجر: ٢٢.

(٢) يوسف: ٨٢.

(٣) مجمع البيان: ٥: ٤٨٨. الجامع لأحكام القرآن: ٢٠: ٥٥.

(٤) جامع البيان: ٣٠: ١٨٦. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٤٨٩. وفيها: سبع صفوف.

(٥) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): وكانوا. مع الواو.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾^(١).

انتظار الكفار، أنهم يأتهم في الظلل، يُوجِبُ كونهُ جسماً، وجَوْهراً، يَزُولُ، وَيَغِيبُ، وَيَجِيءُ، وَيَذْهَبُ، وَيَبْعُدُ، وَيَقْرُبُ، وَيُظْهَرُ، وَيُخْفَى.

قال ابن عباس^(٢): إتيانُهُ بوعده، ووَعِيدِهِ، وإنَّ الله - تعالى - يكشف عنهم ما كان مستوراً عنهم. والله [معهم]^(٣) في كُلِّ حالٍ، فَهُمْ يَرَوْنَ أهوالَ الغَمَامِ، وغيره، من الملائكة.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ﴾^(٤).

أي: أتى أمرُهُ في خرابِهِ. يدلُّ على ذلك قوله في آخرها: ﴿فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ قَوْفِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ﴾^(٥).

(١) البقرة: ٢١٠.

(٢) قول ابن عباس هذا في مجمع البيان: ١: ٣٠٣ بلا عزو إلى أحد. وفي الجامع لأحكام القرآن: ٣:

٢٦: وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: هذا من المكتوم الذي لا يُقَسَّر.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ك) و(هـ) و(أ).

(٤) النحل: ٢٦.

(٥) النحل: ٢٦.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾^(١).

أي: نُقَدِّمُ لَهُمْ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ، لِرِضَانَا عَنْهُمْ، وَنَحْبَتِنَا إِلَيْهِمْ، كَلَّا! لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، بَلْ نَفْعَلُهُ ابْتِدَاءً مِنَ التَّعَبُّدِ لَهُمْ.



قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾^(٢).

أي: أَحَاطَ عِلْمًا بِأَحْوَالِهِمْ، وَمَا يَفْعَلُونَ مِنْ طَاعَةٍ، / ٤٥ / أَوْ مَعْصِيَةٍ، وَمَا يَسْتَحِقُّونَهُ - عَلَى ذَلِكَ - مِنَ الثَّوَابِ، وَالْعِقَابِ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى فَعْلِ ذَلِكَ بِهِمْ، فَهُمْ فِي قَبْضَتِهِ، لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مِشْيَتِهِ.



(١) المؤمنون: ٥٦.

(٢) الإسراء: ٦٠.

فصل [- ٤٠ -]

[في مسائل متفرقة]

قوله - تعالى -: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾^(١).
وجه التشبيه فيه، بأخذه من الظالم حق المظلوم، بلا مُداراة^(٢)، فإن الله
- تعالى - نَقَلَهُمْ إلى جهة عقابه^(٣)، بلا مُحَابَاةٍ. ونَقَلَ الشَّيْءَ إلى جهة الأخذ، بِجَارٍ.
وكذلك يُؤَوَّلُ قوله: ﴿إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾^(٤)، وقوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ
لَشَدِيدٌ﴾^(٥).

قوله - سبحانه -: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾^(٦).
معناه: إن أحلَّ بك الضرَّ، لأنَّ المسَّ الحقيقيَّ، ما يكون بين الجسمين،

(١) هود: ١٠٢.

(٢) في (ك): مَرَاة. بالراء المهملة وبالف ي واحدة.

(٣) في (أ): عقايد.

(٤) هود: ١٠٢.

(٥) البروج: ١٢.

(٦) الأنعام: ١٧. يونس: ١٠٧.

وذلك لا يجوزُ عليه. لكن لما أذْخَلَ «الباء» المُتَعَدِّيَّة، جرى مجرى أن يقول: يَمَسُّكَ. مِنْ «المَسِّ»^(١).

وأما^(٢) إذا لم يكن^(٣) مُتَعَدِّيًّا إلى مفعولين، فيكونُ كقولِهِ: ﴿مَسَّنِي الضُّرُّ﴾^(٤).

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ بَخْرٌ﴾^(٥).

جَعَلَ «المَسَّ» - على الله - على وجه المجاز، لأنَّ الخَيْرَ، والشَّرَّ، عَرَضَانِ، لا تَصُحُّ عَلَيْهِمَا - المُمَاسَّةُ. وأرادَ - تعالى - بذلك الترغيبَ في عبادتِهِ، وتركِ عبادَةِ سِوَاهُ، لأنَّهُ المَالِكُ لِلنَّفْعِ، والضُّرُّ دونَ غَيْرِهِ، وآتُهُ القَادِرُ عليهما.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾^(٦).

(١) في (ح): من أمس.

(٢) في (ح): فأمّا. مع الفاء.

(٣) في (أ): تكن.

(٤) الأنبياء: ٨٢.

(٥) الأنعام: ١٧.

(٦) الإسراء: ٥٩.

لا يجوز إطلاق المنع في صفات الله - تعالى - لأن المنع وجود ما لا يصح معه وقوع الفعل من القادر عليه.

وإنما جاز - ههنا - للمبالغة في أنه لا يصح وقوع الفعل، فكأنه قد منع [منه]^(١).

والحقيقة: أننا لم نُرسل بالآيات، لكيلا يكذب بها هؤلاء، كما كذب من قبلهم، فيستحقوا^(٢) المعاجلة بالعقوبة.

وقيل: قوله: ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾، يجوز أن تكون^(٣) «إلا» زائدة. وتقديره: ما منعنا أن نُرسل بالآيات أن كذب بها الأولون. أي: لم يمنعنا ذلك من إرسالها، بل أرسلناها مع تكذيب الأولين.

ومعنى ﴿أَنْ كَذَّبَ﴾، هو التكذيب، كما تقول^(٤): أريد أن تقوم^(٥). بمعنى: أريد قيامك.



(١) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش).

(٢) في (ش): فيستحقون. بإثبات نون الرفع.

(٣) في (ش) و(ك) و(ل): يكون.

(٤) في (ك): يقال: بصيغة المبني للمجهول.

(٥) في (ش): يقوم.

فصل [- ٤١ -]

[في معنى الشاكر والجبّار]

قوله - تعالى -: ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾^(١).

والشُّكْرُ، هو الاعترافُ بالنِّعْمَةِ، وذلك لا يجوزُ على الله - تعالى -.

معناه: لم يَزَلِ اللهُ مُجَازِيًا لِلشَّاكِرِ عَلَى شُكْرِهِ فِي جَمِيعِ عِبَادِهِ، عَالِمًا^(٢) بِمَا يَسْتَحِقُّونَهُ عَلَى طَاعَتِهِمْ مِنَ الثَّوَابِ.

وقيل: إِنَّمَا يَجُوزُ الشُّكْرُ مِنْهُ، [على]^(٣) معنى الجزاءِ عليه، كما قال: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾^(٤). والجزاءُ لَيْسَ سَيِّئَةً، وَلَكِنْ أَطْلِقَ^(٥) ذَلِكَ، لَازِدُوجِ الكلامِ.

وقال المُرْتَضَى: إِنَّهُ فَاعِلٌ، بِمَعْنَى: مَفْعُولٍ. كما يُقَالُ: رِذَاءٌ سَاجِبٌ، بِمَعْنَى:

(١) النساء: ١٤٧.

(٢) في (أ): فلما.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ).

(٤) الشورى: ٤٠.

(٥) في (أ): أطاق.

مَسْحُوبٍ. فَالشَّاكِرُ^(١) بمعنى: المَشْكُورُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾^(٢).

الشُّكُورُ في صفاتِ الله - تعالى - مجازٌ، لأنَّهُ - في الأصلِ - هو المُظْهِرُ، للإِنْعَامِ عليه، واللهُ - تعالى - لا تَلْحَقُهُ المنافعُ والمضارُّ، فيكونُ معناه: إِنَّهُ يُعَايِلُ الْمُطِيعَ في حُسْنِ الجزاءِ، معاملةً الشَّاكِرِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾^(٣).

معنى «الْجَبَّارُ»، عزيزٌ، لا يُنَالُ باهتضامٍ. والْجَبَّارُ: مَذْحُ الباري، - كما قال - وَذَمٌّ لِلخَلْقِ، قَوْلُهُ: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيئاً﴾^(٤).

وَأَمَّا قَوْلُهُ - في صفةِ النَّبِيِّ - عليه السلام^(٥) -: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ

(١) في (هـ): فالشكر.

(٢) التغابن: ١٧.

(٣) الحشر: ٢٣.

(٤) مريم: ٣٢.

(٥) في (ج): صلى الله عليه وآله.

بِجَبَّارٍ^(١). قال^(٢) الفراء^(٣): أي: لا تُخْبِرُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ.

وَالصَّحِيحُ: أَي: لَا تَتَجَبَّرَ عَلَيْهِمْ. لِأَنَّهُ لَمْ يُسَمَّعْ «فَعَالٌ» مِنْ: «أَفْعَلْتُ».



(١) ق: ٤٥.

(٢) في (ح): فقال. مع الفاء.

(٣) معاني القرآن: ٣: ٨١.

فصل [- ٤٢ -]

[في مسائل متفرقة]

قوله - تعالى :- ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُنُ الْعَزِيزُ
الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾^(١)، ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢).
إنَّما قُبِحَ^(٣) تزكية النفس من الآدمي، لآنة منقوص^(٤) في كُلِّ ما يمدح به
نفسه.

ولما قال - تعالى :- إِنَّهُ كَرِيمٌ، أَوْ رَجِيمٌ، أَوْ عَلِيمٌ، ففیه كُلُّ الْكَرَمِ، وَالرَّحْمَةِ،
وَالْعِلْمِ. وَلَا يَجْتَلِبُ بِمَدْحِ نَفْسِهِ، وَلَا يَدْفَعُ ضَرًّا.
وَجَازٍ - أَيْضاً - أَنْ يَمْدَحَ نَفْسَهُ، لِيَعْرِفَهَا - أَيْضاً - خَلْقَهُ، لِيُعْبَدَ، وَيُعْظَمَ.



(١) الحشر: ٢٣.

(٢) الجاثية: ٣٧.

(٣) في (ش): فتح. بالفاء الموحدة بعدها التاء المثناة من فوق.

(٤) في (أ): منقوص. بالضاد المعجمة.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(١)، وقوله: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ﴾^(٢).

قال الطوسي^(٣): إِنَّمَا يَقْبُحُ الْاِمْتِنَانُ، إِذَا كَانَ الْغَرَضُ^(٤) الْإِزْرَاءُ^(٥) بِالْمُنْعِمِ عَلَيْهِ. فَأَمَّا إِذَا كَانَ الْغَرَضُ تَعْرِيفَ النِّعْمَةِ، وَتَعْدِيدَهَا، وَإِعْلَامَهُ وَجُوبَهَا، لِيَقَابِلَهَا بِالشُّكْرِ، فَيَسْتَحِقُّ بِهَا الثَّوَابَ، وَالْمَدْحَ، فَإِنَّهُ نِعْمَةٌ أُخْرَى، وَتَفْضُلٌ آخَرُ^(٦)، يَسْتَحِقُّونَ بِهَا الشُّكْرَ.

وقال ثعلب^(٧): أَجْمَعَ أَهْلُ اللُّغَةِ كُلُّهُمْ أَنَّ الْمَنْ مِنْ اللَّهِ مَحْمُودٌ، لِأَنَّهُ مِنَّةٌ، وَتَفْضُلٌ. وَأَصُولُ النِّعَمِ كُلُّهَا مِنَّةٌ^(٨). وَالْمَنْ مِنَ الْخَلْقِ، تَقْرِيعٌ وَتَوْبِيخٌ. وقوله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ الآية^(٩).

(١) إبراهيم: ١١.

(٢) ص: ٣٩.

(٣) التبيان: ٩: ٣٥٥.

(٤) (الغرض) ساقطة من (ل).

(٥) في (ل): الأزر.

(٦) في (ش): أخرى. وهو تحريف.

(٧) في (ش): تغلب. بالناء المثناة من فوق بعدها غين معجمة. وهو تصحيف.

(٨) في (ش) و(ك) و(هـ): منه. بالهاء غير المنقوطة.

(٩) الحجرات: ١٧.

قوله - سُبْحَانَهُ - ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾^(١).

المراء - هاهنا - سِعَةً مَقْدُورَاتِهِ.

وقال ابن عباس^(٢)، ومجاهد^(٣)، والصَّحَّاحُ^(٤): أي: عَظَمَتُهُ.

ويقال: أي: لا تخافونَ الله^(٥) تعظيماً، وتوقيراً.

قال أبو ذؤيب^(٦):

إِذَا لَسَعْتَهُ الدَّبْرُ لَمْ يَرْجُ لِسْعَهَا / ٤٦ / وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوبٍ وَكَابِلِ^(٧)

النَّابِغَةُ^(٨):

تَحَلَّتْهُمْ ذَاتُ الْإِلَهِ وَدِينُهُمْ قَوِيمٌ فَمَا يَرْجُونَ غَيْرَ الْعَوَاقِبِ

(١) نوح: ١٣.

(٢) جامع البيان: ٢٩: ٩٤. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٣٦١. الجامع لأحكام القرآن: ١٨: ٣٠٣. في أحد الأقوال.

(٣) جامع البيان: ٢٩: ٩٤. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٣٦١. الجامع لأحكام القرآن: ١٨: ٣٠٣.

(٤) جامع البيان: ٢٩: ٩٤. الجامع لأحكام القرآن: ١٨: ٣٠٣.

(٥) في (ش): الله. من دون حرف الجر (الباء).

(٦) ديوان الهذليين: ق: ١٤٣.

(٧) في الديوان: خالفها. بالخاء المعجمة. وإشارة إلى الرواية المطابقة لرواية كتابنا هذا: وفيه أيضاً:

نُوبٍ عَوَاسِلِ.

لم يرج: لم يجش، لم يجف. النُوب: التي تنوب، أي: تجيء وتذهب.

(٨) ديوان النابغة الذباني: ٤٧.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾^(١).

قال ابن عباس^(٢): جَدُّ رَبِّنَا، عَظَمَتُهُ. وهذا كقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾^(٣)، وكقوله^(٤): ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾^(٥)، وكقوله^(٦): ﴿وَيَنقُصُ وَجْهُ رَبِّكَ﴾^(٧). فتكون هذه زيادات.



(١) الجن: ٣.

(٢) جامع البيان: ٢٩: ١٠٢. وفيه: عن ابن عباس في قوله: ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ يقول: فعلُهُ، وأمرُهُ، وقُدْرَتُهُ. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٣٦٨. وفيه: تعالى قدرة ربنا. وفي الجامع لأحكام القرآن: وقال ابن عباس: قدرته.

(٣) الفاتحة: ١.

(٤) في (ح): قوله.

(٥) الرحمن: ٧٨.

(٦) في (ح): قوله.

(٧) الرحمن: ٢٧.

فصل [- ٤٣ -]

[في مسائل متفرقة]

قوله - تعالى - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾^(١)، وقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾^(٢).

الاستحياء: الانقباض عن الشيء في اللسان. فتأويله ما قال المفضل^(٣):
معناه لا يمتنع.

وقال غيره^(٤): لا يترك.

وقال جماعة^(٥): لا^(٦) ينحس. لأنَّ «يَسْتَحْيِي»^(٧)، جاء بمعنى قوله:

(١) البقرة: ٢٦.

(٢) الأحزاب: ٥٣.

(٣) القول في جمع البيان: ١: ٦٧ من دون عزو. وكذا في الجامع لأحكام القرآن: ١: ٢٤٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١: ٢٤٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ١: ٢٤٢.

(٦) (لا) ساقطة من (أ).

(٧) «لأن يستحي» ساقطة من (أ).

﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾^(١).

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

أي: ليس الله، بساهٍ عن كتمان الشهادة التي لزمكم^(٣) القيام بها الله - تعالى - أعني أول^(٤) الآية: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾^(٥).

وقيل: إنه على عموميه. والمعنى: إنه لا يخفى عليه شيء من المعلومات، لا صغيرها، ولا كبيرها، فكونوا على حذر، من الجزاء على السيئات، بما تستحقونه من العقاب.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾^(٦).

والذكر بعد النسيان؟

(١) الأحزاب: ٣٧.

(٢) البقرة: ١٤.

(٣) في (أ): لم نكم.

(٤) في (هـ): الأول. مع الألف واللام.

(٥) البقرة: ١٤٠.

(٦) البقرة: ١٥٢.

قلنا: الذِّكْرُ، حضورُ المعنى في النَّفْسِ. ومعناه: فاذكروني بطاعتي، اذْكُرْكُمْ [برحمتي، اذكروني بالشكر، اذكركم] ^(١) بالثَّوَابِ. اذكروني بالدُّعَاءِ، اذكركم بالإجابة، ونحو ذلك.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿ذَلِكَ تَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ ^(٢).
قال الطوسي ^(٣): نَكَلَّمُكَ بِهِ. كما يقال: أنشأ زيد الكتاب، وتلاه عَمَرُو.
وقال الجبائي: يَتْلُوهُ عَلَيْكَ ^(٤) بأمرنا جبريل.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ ^(٥).
اختلفوا: هل يجوز أن يُوصَفَ اللهُ - تعالى - بأنه مُسْتَطِيعٌ، أم لا؟
فقال بعضهم: يجوز لقوله: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنْ

(١) ما بين المعقوفين سقطت من (ش) و(ك) و(هـ) و(أ).

(٢) آل عمران: ٥٨.

(٣) التبيان في تفسير القرآن: ٢: ٤٨١.

(٤) في (هـ): يتلوه عليك يا محمد بأمرنا جبريل.

(٥) المائدة: ١١٢.

السَّيَاءُ^(١).وقال آخرون: لا يجوز. لَأَنَّهُ يُؤْهِمُ^(٢) الْحَال.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾^(٣).

اللَّعْنَةُ: الإِبْعَادُ من رَحْمَةِ اللَّهِ، عِقَابًا عَلَى مَعْصِيَتِهِ. فلهذا لا يجوزُ لَعْنُ البهائم، ولا مَنْ لَيْسَ بِعَاقِلٍ من المجانين، والأطفال، لَأَنَّهُ سُؤَالُ الْعُقُوبَةِ، لمن لا يستحقُّها. فمن لَعَنَ حَيَّةً، أو عَقْرَبًا، أو نحو ذلك، ممَّا^(٤) لا مَعْصِيَةَ لَهُ، فقد أخطأ، لَأَنَّهُ سَأَلَ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - ما لا يجوزُ في حُكْمَتِهِ.

فإن قَصَدَ - بذلك - الإِبْعَادَ - لا على وَجْهِ الْعُقُوبَةِ - كان ذلك جائزًا.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾^(٥).سأل عمرو بن عبيد الباقر - عليه السلام - فقال^(٦): غَضَبُ اللَّهِ، عِقَابُهُ

(١) المائدة: ١١٢.

(٢) في (أ): يريهم. وهو تحريف.

(٣) النساء: ٥٢.

(٤) في (ش) و(ك) و(أ): يَحْنُ.

(٥) طه: ٨١.

(٦) في (ش): يقال: بياض المضارعة المنشأة من تحت. وهو تحريف.

يا عمرو. وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ يُغَيِّرُهُ^(١) شَيْءٌ، فَقَدْ كَفَرَ. إِنَّمَا يَغْضَبُ الْمَخْلُوقَ الَّذِي يَأْتِيهِ الشَّيْءُ، وَيَسْتَفْرِهُ، وَيُغَيِّرُهُ عَنِ الْحَالِ، الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا إِلَى غَيْرِهَا، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ يُغَيِّرُهُ الْغَضَبُ، وَالرِّضَاءُ، وَيَزُولُ مِنْ هَذَا، إِلَى هَذَا، فَقَدْ وَصَفَهُ بِصِفَةِ الْمَخْلُوقِ.

وَسُئِلَ الصَّادِقُ^(٢) - عَلَيْهِ السَّلَامُ - هَلْ لِلَّهِ رِضَا، وَسُخْطٌ؟

فَقَالَ: نَعَمْ. وَلَكِنْ لَيْسَ ذَلِكَ مِمَّا يُوجَدُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ. غَضَبُ اللَّهِ، عِقَابُهُ، وَرِضَاُهُ، ثَوَابُهُ.



قَوْلُهُ - مُبْنَحَاهُ -: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾^(٣).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٤)، وَمَجَاهِدٌ^(٥)، وَقَتَادَةُ^(٦)، وَالسُّدِّيُّ^(٧)، وَابْنُ زَيْدٍ^(٨) مَعْنَى

(١) فِي (أ): يَضْرَهُ. بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةِ بَعْدَهَا رَاءٌ مُشَدَّدَةٌ.

(٢) الْكَافِي: ١: ١١٠. التَّوْحِيد: ١٧٠. أَمَالِي الصَّدُوق: ٢٤٧.

(٣) الزَّخْرَف: ٥٥.

(٤) جَامِعُ الْبَيَان: ٢٥: ٨٤. أَيْضاً: مَجْمَعُ الْبَيَان: ٥: ٥٢. الدَّرُ الْمَشْهُور: ٧: ٣٨٤. الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآن: ١٦: ١٠١ بِرَوَايَةِ الضَّحَّاك.

(٥) جَامِعُ الْبَيَان: ٢٥: ٨٤. أَيْضاً: مَجْمَعُ الْبَيَان: ٥: ٥٢. الدَّرُ الْمَشْهُور: ٧: ٣٨٤.

(٦) جَامِعُ الْبَيَان: ٢٥: ٨٤.

(٧) جَامِعُ الْبَيَان: ٢٥: ٨٤.

(٨) جَامِعُ الْبَيَان: ٢٥: ٨٤.

«آسفونا»: اغضبونا. لأن الله - تعالى - يغضب على العصاة. بمعنى: أنه يريد عقابهم.

والأسف - في الأصل - الغيظ من المغمتم. إلا أنه - هاهنا - بمعنى الغضب.

قوله - سبحانه -: ﴿ يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ ﴾^(١).

قال ثعلب^(٢): معناه: يا حسرة عليهم، لا علينا، ولا على رُسُلنا.

قوله - سبحانه -: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ ﴾^(٣).

إنما سَمِيَ «الهوى» إلهاً من حيث أن العاصي، يتبع هواه، ويرتكب ما يدعو إليه.

وقال الحسن^(٤): معناه: اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ. لأن الله - تعالى - يُعْرِفُ بِحُجَّةٍ

(١) يس: ٣٠.

(٢) في (ك): ثعلب. بالغين المعجمة. وهو تصحيف.

(٣) الجاثية: ٢٣.

(٤) جمع البيان: ٥: ٧٨.

(٥) (تعالى) ساقطة من (أ) و(ح).

العقل، لا^(١) بالهوى.

وقال ابن عباس^(٢): معناه^(٣): أفرأيت من اتخذ دينه بهواه، لأنه يتخذ به بلا برهان.

وقال ابن جبير^(٤): كانوا يعبدون «العزى»، فإذا وجدوا ما هو أحسن منه، طرخوا الأول، وعبدوا الآخر.

قوله - سبحانه -: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^(٥).

أي: أخبر بها^(٦) يقوم مقام الشهادة من الدلالات الواضحة، والحقج اللائحة، على وخبائثه من عجيب خلقه، ولطيف حكمته، فيما خلق.

ويقال: «شهد الله» أي: علم الله.

(١) في (أ): إلّا.

(٢) جامع البيان: ٢٥: ١٥٠. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٧٨. الدر المنثور: ٧: ٤٢٦.

(٣) (معناه) سقطت من (ح).

(٤) جامع البيان: ٢٥: ١٥٠. أيضاً مجمع البيان: ٥: ٧٨. بلفظ مختلف. الدر المنثور: ٧: ٤٢٦.

الجامع لأحكام القرآن: ١٦: ١٦٧.

(٥) آل عمران: ١٨.

(٦) في (أ): بها.

وقال^(١) أبو عبيدة^(٢): أي: قضى الله أنه لا إله إلا هو، والملائكة، وأولو

العلم.

وقال الحسن^(٣)، وعمرو بن عبيد: إن في الآية تقدية، وتأخيراً، وتقديرها:

شَهِدَ اللهُ: أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَائِماً بِالْقِسْطِ. أي: بِالْعَدْلِ. وَشَهِدَ الْمَلَائِكَةُ: أَنَّهُ لَا إِلَهَ

/ ٤٧ / إِلَّا هُوَ قَائِماً بِالْقِسْطِ، وَشَهِدَ^(٤) أُولُو الْعِلْمِ: أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَائِماً بِالْقِسْطِ.

وَأُولُو الْعِلْمِ، هُمُ^(٥) الْمُؤْمِنُونَ.



(١) في (ك): يقال. بصيغة المضارع المبني للمجهول.

(٢) مجاز القرآن: ١: ٨٩.

(٣) مجمع البيان: ١: ٤٢٠. الدر المنثور: ٢: ١٦٦.

(٤) في (هـ): شهدوا.

(٥) في النسخ جميعها: هو. والمقام يقتضي الضمير (هم).

فصل [- ٤٤ -]

[في مسائل متفرقة]

قوله - تعالى - : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(١).

الشَّأْنُ: الأمرُ العظيمُ. فَمِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا، وَيُفْرِجَ كَرْبًا، وَيَرْفَعَ قَوْمًا، وَيَضَعَ آخَرِينَ.

وقيل: شَأْنُهُ أَنْ يُخْرِجَ - كُلَّ يَوْمٍ - ثَلَاثَةَ عَسَاكِرَ: عَسَكْرٍ مِنَ الْأَصْلَابِ إِلَى الْأَرْحَامِ، وَعَسَكْرٍ مِنَ الْأَرْحَامِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعَسَكْرٍ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى الْقُبُورِ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ^(٢) - جَمِيعًا - إِلَى اللَّهِ.

قوله - سبحانه - : ﴿سَنَقْرَعُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾^(٣).

معناه: سَنَقْرَعُ عَمَلَ مُجَرَّدٍ، مِنْ غَيْرِ شَاغِلٍ. وَأَصْلُ «الْفَرَاغِ»: الْحَقْلُ. يَقَالُ:

(١) الزَّحْمَن: ٢٩.

(٢) فِي (أ): يَرْجِعُونَ. بِالْجِيمِ الْمَعْجَمَةُ مِنْ تَحْتِ.

(٣) الزَّحْمَن: ٣١.

دِرْهَمٌ مَفْرُوعٌ: مَضْبُوبٌ فِي الْقَالِبِ. وَضَرْبَةٌ فَرِيغَةٌ: وَاسِعَةٌ. وَقَرَعَ الْإِنَاءُ، وَنَحْوُهُ.
وَيُقَالُ: أَي: سَنَفَرَعُ لَكُمْ مِمَّا وَعَدْنَاكُمْ مِنَ الثَّوَابِ، وَأَوْعَدْنَاكُمْ مِنَ
العِقَابِ.

وَيُقَالُ: هَذَا كَقَوْلِكَ - لِلرَّجُلِ ^(١)، وَأَنْتَ غَيْرُ مَشْغُولٍ -: سَأَفْرَعُ لِلنَّظَرِ ^(٢) فِي
أَمْرِكُمْ.

قَالَ جَرِيرٌ:

بَنِي عَبْدَةَ إِنِّي قَرَعْتُ إِلَيْكُمْ وَقَدْ طَالَ رَجْرِي مَا نَهَاكُمْ تَقْدُمِي ^(٣)

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - فِي «الْفَاتِحَةِ»: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، وَ﴿مَالِكِ يَوْمِ
الدِّينِ﴾ ^(٤). وَلَمْ يَخُزْ فِي سُورَةِ «النَّاسِ» ^(٥): مَالِكِ يَوْمِ النَّاسِ. لِأَنَّ صِفَةَ «مَلِكِ»،
يَدُلُّ عَلَى تَدْبِيرٍ مَنْ يَشْعُرُ بِالتَّدْبِيرِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ «مَالِكُ». لِأَنَّهُ يُجَوِّزُ أَنْ يُقَالَ:
مَالِكُ الثَّوْبِ. وَلَا يُجَوِّزُ أَنْ يُقَالَ: مَلِكُ الثَّوْبِ. وَيَجَوِّزُ أَنْ يُقَالَ: مَلِكُ الرُّومِ.

(١) فِي (أ): الرَّجُلِ. مِنْ دُونَ حَرْفِ الْجَرِّ (اللام).

(٢) فِي (أ): النَّظَرِ. مِنْ دُونَ حَرْفِ الْجَرِّ (اللام).

(٣) دِيوَانُ جَرِيرٍ: ١: ٢٧١. وَفِيهِ: بَنِي عَبْدِ عَمْرِو قَدْ... لَوْ نَهَاكُمْ.

(٤) الْفَاتِحَةُ: ٤. قَرَأَ عَاصِمٌ وَالْكَسَائِيُّ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ بِالْأَلْفِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: «مَلِكِ» بِغَيْرِ

الْأَلْفِ. (السَّبْعَةُ فِي الْقِرَاءَاتِ: ١٠٤).

(٥) النَّاسُ: الْآيَةُ: ٢: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾.

وَلَا يَجُوزُ: مَالِكٌ.

فَجَرَتْ^(١) - في الفاتحة - على معنى: السَّحَابُ فِي يَوْمِ الْجَزَاءِ، وَمَالِكِ الْجَزَاءِ.
وَجَرَتْ فِي سُورَةِ^(٢) النَّاسِ عَلَى: مَلِكٍ تَدْبِيرٍ مَنْ يَغْفُلُ التَّدْبِيرَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾^(٣).

إِنَّمَا خُصَّ بِأَنَّهُ «مَلِكُ النَّاسِ»، مَعَ أَنَّهُ مَلِكُ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، لِلْبَيَانِ. لِأَنَّ مَدْبِرَ
جَمِيعِ النَّاسِ، قَادِرٌ أَنْ يُعِيدَهُمْ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذُوا مِنْهُ. مَعَ أَنَّهُ أَحَقُّ بِالتَّعْظِيمِ مِنْ
مَلُوكِ النَّاسِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿الْحَيِّ الْقَيُّومُ﴾^(٤).

قَالَ مُجَاهِدٌ^(٥)، وَالرَّبِيعُ^(٦)، وَالزَّجَّاجُ^(٧): «الْقَيُّومُ»: الْقَائِمُ بِتَدْبِيرِ عِبَادِهِ، فِيمَا

(١) فِي (هـ): فَجَرَى.

(٢) فِي (هـ): صُورَةُ. الصَّادُ الْمَهْمَلَةُ.

(٣) النَّاسِ: ٢.

(٤) الْبَقَرَةُ: ٢٥٥.

(٥) جَامِعُ الْيَانِ: ٣: ٦، الدَّرُ الْمَشُورُ: ٢: ١٥.

(٦) جَامِعُ الْيَانِ: ٣: ٦، الدَّرُ الْمَشُورُ: ٢: ١٥.

(٧) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ: ١: ٣٣٣.

يُضْرُّهُمْ، وَيَنْفَعُهُمْ، كَقَوْلِهِ^(١): ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾^(٢)، وَقَوْلِهِ: ﴿قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾^(٣).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿اللطيفُ الخبيرُ﴾^(٤).
اللطافة: من صفات الجوهر، لأنه الجزء المنفرد^(٥)، والرقيق، وأنه بخلاف
الكثيف.

والمعنى الصحيح فيه: إنه لطيف بالتدبير، والصنع.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾^(٦).
سمى نفسه «وكيلاً»، مع أنه مالك الأشياء، لأنه لما كانت منافعُه لغيره،
لاستحالة المنافع عليه، والمضارَّ، صَحَّتِ الصِّفَةُ لَهُ، من هذه الجهة.

(١) في (هـ) و(ج): لقوله. مع حرف الجر (اللام).

(٢) آل عمران: ١٨.

(٣) الرعد: ٣٥.

(٤) الأنعام: ١٠٣.

(٥) في (أ) المنفرد. بالناء المثناة من فوق بين الميم والفاء.

(٦) هود: ١٢.

قوله - سُبحَانَهُ -: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾^(١).

و«الغالب»، الذي يعلمو غيره، لمنعه بنفسه، ما يصيرُ إليه في قبضته.

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ كُلِّ شَيْءٍ﴾، بمعنى: أَنَّهُ غَالِبٌ عَلَيْهِ لَدُخُولِهِ فِي مَقْدُورِهِ،
ولا يُمكنُهُ الخُرُوجُ مِنْهُ.

قوله - سُبحَانَهُ -: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(٢).

«الأعلى»، معناه: القادرُ الَّذِي لا قادرٌ أقدرُ مِنْهُ. وصفةُ «الأعلى» منقولةٌ

إلى معنى «الأقْدَرُ»، حتَّى لو بطلَ معنى علوِّ المكان، لم يبطلْ أَن يُفهمَ تحقيقتها^(٣).
إذ هيَ غَيْرُ متضمنةٍ بغيرها. ولم يُنقلْ صفةُ «الأرفع»، وإنَّا نعرفُ في رفعةِ المكان.

وأما قولُ فرعونَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾^(٤)، فإنه كَذِبٌ في دعواه.

قوله - سُبحَانَهُ -: ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ﴾^(٥).

(١) يوسف: ٢١.

(٢) الأعلى: ١.

(٣) في (١): تحقيقاً.

(٤) النازعات: ٢٤.

(٥) التوبة: ٣٢.

الإباء، هو المنع، لا الكراهية.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾^(١).

هو الذي يقصّر مقدار ما يكون من غيره، عما يكون منه. وهو على ضربين: أحدهما: عظيم الشخص، [و] الآخر: عظيم الشأن.

ومعناه - في صفة الله -: إنَّ كلَّ شيءٍ سواه، مقصّر عن صفته بأنَّه قادرٌ فيما يصحُّ أن يكون مقدوراً، وعالمٌ بحيث لا يخفى عليه شيءٌ. وغنيٌّ بنفسه عن كلِّ شيءٍ، لا تجوزُ^(٢) عليه الحاجة.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٣).

لفظة «إله»^(٤)، اسمُ جنسٍ، مثلُ قولنا: بيتٌ.

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (هـ) و(ح).

(٣) في (ش) و(ك) و(أ) و(ح): يجوز، بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٤) الإخلاص: ١.

(٥) في (أ): إنه. بالنون.

ولفظه «الله»، اسمٌ غالبٌ له - تعالى - مثل «البيت» للكعبة.
والحقيقة - فيها - أنه من يستحقُّ العبادة، لكونه قادراً على خلقٍ من يُنعمُ
عليه، فيستحقُّ عليه العبادة.

وقوله: ﴿وَيَذَرُكَ أَهْلُكَ﴾^(١)، مجازٌ. وإنَّما قالَ ذلكَ، لأنَّ الكُفَّارَ كانوا
يعبدونها^(٢). وهم إن أخطأوا في العبادة، فما أخطأوا في اللفظِ.

فيقال: إنَّه - تعالى - إلهٌ فيما لم يزل، ولا يزال، وإلهُ الجِبادِ، والعُقلاءِ.
ولا يجوزُ أن يكونَ - تعالى - إلهاً للأعراضِ^(٣)، ولا للجوهرِ الواحدِ،
لاستحالةِ أن ينعمَ عليها ما يستحقُّ به العبادة، وإنَّما هو إلهُ الأجسامِ: الحيوانِ
/ ٤٨ / منها، والجِبادِ.

قوله - سبحانه -: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ﴾^(٤).
معناه: إن تنصروا دينه بالدُّعاءِ إليه. وأضافه إلى نفسه، تعظيماً، كما قالَ:
﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾^(٥).

(١) الأعراف: ١٢٧.

(٢) في (ل): يعبدون.

(٣) في (هـ): الأعراض. من دون حرف الجر (اللام).

(٤) محمد: ٧.

(٥) البقرة: ٢٤٥. الحديد: ١١.

وقيل: معنى «تَنْصُرُوا»: تَدْفَعُوا عَنْ نَبِيِّهِ [— صلى الله عليه وآله —] ^(١)
«يَنْصُرُكُمْ» ^(٢). أي: يدفع عنكم أعداءكم - في الدِّينِ - عَاجِلًا، وَعَذَابَ النَّارِ،
آجِلًا ^(٣).

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ ^(٤).

مع أَنَّهُ لَا يُعْتَدُ بِنَصْرِ [غَيْرِ] ^(٥) الله، مَعَ نُصْرَتِهِ، فمعناه ^(٦): إِنَّهُ إِنْ اعْتُدَّ
بِنَصْرَةِ غَيْرِ الله، فَنُصْرَةُ الله، خَيْرٌ مِنْهَا، لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُغْلَبَ، وَغَيْرُهُ يَجُوزُ أَنْ
يُغْلَبَ. وَإِنْ نَصَرَ، فَالثِّقَةُ بِنُصْرَةِ ^(٧) الله تَحْصُلُ ^(٨)، وَلَا تَحْصُلُ ^(٩) الثِّقَةُ بِنَصْرَةِ غَيْرِهِ.

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٢) محمد: ٧.

(٣) (آجلاً) ساقطة من (أ).

(٤) آل عمران: ١٥٠.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٦) العبارة: «فمعناه... لأنه» ساقطة من (أ).

(٧) في (ك) و(ح): بنصر. من دون التاء المتحركة.

(٨) في (ش): يحصل. بياض المضارعة المثناة من تحت.

(٩) في (ش): يحصل. بياض المضارعة المثناة من تحت.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^(١).

وقد ينصر المؤمنون بعضهم بعضاً، وبعضُ المشركين بعضاً؟

قلنا: إنَّ نصرَ بعضِ المؤمنين بعضاً من عندِ الله، لأنَّه بمَعُونَتِهِ، وحُسْنِ

توفيقِهِ. وأمَّا نصرُ المشركين بعضهم ببعضٍ^(٢)، فلا يُعتدُّ بِهِ، لأنَّه يَحْذِلَانِ الله من

حيثُ أنَّ عاقِبَتَهُ إلى شَرٍّ مَالٍ مِنَ الْعِقَابِ الدَّائِمِ.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾^(٣).

أي: بالمَعُونَةِ الَّتِي تُوجِبُ الْغَلَبَةَ، لأنَّ الله - تعالى - يقدِّرُ على إعطائِهِم ما

يغلبُونَ بِهِ كُلَّ مَنْ نَازَعَهُمْ، وَيَقْلَعُونَ كُلَّ مَنْ نَاوَاهُمْ.

ومن كَانَ اللهُ نَاصِرَهُ^(٤) بِالْحُجَّةِ، لم يَغْلِبْهُ أَحَدٌ، وإذا غَلِبَ بِالْحَرْبِ، فَلْيُضْرَبْ

مِنَ الْمُحَنَةِ^(٥)، وَشِدَّةِ التَّكْلِيفِ. ولو هَزَمَ قَوْمٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، لَجَازَ أَنْ يَقَالَ: هُمُ

الْمَنْصُورُونَ^(٦). أي: بِالْحُجَّةِ.

(١) آل عمران: ١٢٦. الأنفال: ١٠.

(٢) في (أ): بعض. من دون حرف الجرّ (الباء).

(٣) آل عمران: ١٦٠.

(٤) في (ك): ناصره. بالضاد المعجمة.

(٥) في (أ): المحبة، بالباء الموحدة من تحت.

(٦) في (ك): المنصرون.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١).

لم يقل: الله نور. ولو كان نوراً - في الحقيقة - لم يكن - للإضافة - معنى. لأن ما كان نوراً في الحقيقة، فهو نور لأي^(٢) شيء كان.

ولو أراد على معنى الضياء، لوجب ألا يكون في شيء من السماوات، والأرض ظلمة بحال، لأنه دائم لا يزول. ولوجب^(٣) أن يكون الاستضاء^(٤) به دون الشمس.

وبين أنه خالق النور، فقال: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾^(٥)، فكيف يكون نوراً مع كون النور مخلوقاً.

وقال في آخرها: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٦)، فلو أراد - بذلك - الضياء، لما كان له معنى.

وجعل لنوره مثلاً، وهو المصباح في ضعفه، وكيف يكون نوراً، والأرض والسما في ضوئها.

(١) النور: ٣٥.

(٢) في (أ): لا شيء.

(٣) في (ش): وأوجب.

(٤) في (ك): الاستضاء. بالطاء المعجمة ومن دون التاء المتحركة.

(٥) الأنعام: ١.

(٦) النور: ٣٥.

ولو كَانَ نُورًا، لَوَجِبَ أَنْ يَكُونَ ذَا أَجْزَاءٍ كَثِيرَةٍ، لِأَنَّ النُّورَ، هُوَ الْمَضِيءُ،
وَالْمَضِيءُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِأَنْ يَنْفَصَلَ مِنْهُ أَجْزَاءٌ، يُضِيءُ غَيْرَهُ بِتِلْكَ الْأَجْزَاءِ.

ولو كَانَ نُورًا، لَمْ يَخُلْ مِنْ أَنْ تَحْجُبَهُ الظُّلْمَةُ، وَالْحِجَابُ، أَوْ لَا يَحْجُبُهُ شَيْءٌ.
فَإِنْ لَمْ يَحْجُبْهُ شَيْءٌ، وَجِبَ^(١) أَنْ تَكُونَ السَّمَاوَاتُ، وَالْأَرْضُ فِي جَمِيعِ الْأَوَاقَاتِ،
مُضِيئَةً. وَإِنْ حَجَبَهُ حِجَابٌ، أَوْ مَنَعَهُ مَانِعٌ، كَانَ كَسَائِرِ الْأَنْوَارِ.

ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ تَحْقِيقُ قَوْلِ الثَّنَوِيَّةِ^(٢) فِي زَعْمِهِمْ بِالْأَصْلِيِّ: النُّورُ،
وَالظُّلْمَةُ.

إِبْنُ عَبَّاسٍ^(٣)، وَالزَّجَّاجُ^(٤): «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»: مَدَبُّ
أُمُورِهِمَا.

السُّدِّيُّ^(٥): «بَنُورِهِ أَضَاءَتِ السَّمَاءُ، وَالْأَرْضُ».

الصُّحَّاكُ^(٦): «يُتَكَوَّنُ الْأَشْيَاءُ».

(١) فِي (ح): فَيَجِبُ.

(٢) الْمَلَلُ وَالنُّحْلُ: ١: ٦١٨.

(٣) جَامِعُ الْبَيَانِ: ١٨: ١٣٥. أَيْضًا: جَمْعُ الْبَيَانِ: ٤: ١٤٢. بِاخْتِلَافِ اللَّفْظِ. الدَّرُ الْمُنْتَوَرُ: ٦: ١٩٦.

(٤) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابِهِ: ٤: ٤٣.

(٥) فِي جَامِعِ الْبَيَانِ: ١٨: ١٣٥. وَرَدَ هَذَا الْقَوْلُ بِلَا نَسْبَةٍ إِلَى أَحَدٍ.

(٦) فِي جَمْعِ الْبَيَانِ: ٤: ١٤٢. نَسَبَ إِلَى الصُّحَّاكِ قَوْلَهُ: «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» بِالشَّمْسِ،

وَالْقَمَرِ، وَالنُّجُومِ.

ويقال: الله واحدٌ في سمائه، وأرضه، ويسمى الفرد: نوراً.
قال الرضا^(١) - عليه السلام - هادٍ لأهل السماء، وهادٍ لأهل الأرض.



(١) الكافي: ١: ١١٥. التوحيد: ١٥٥. وفي الاحتجاج: ٢: ٢٥١ معزواً إلى علي بن محمد الهادي (عليه السلام) باختلاف يسير في اللفظ.

فصل [-٤٥-]

[في الرؤية]

قوله - تعالى -: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾^(١).

تمدَّح - سبحانه -^(٢) بالإجماع، وبما يقتضيه سياق الآية - بنفي إدراك الأبصار الذي هو رؤيتها^(٣).

وهذا التمدُّح راجعٌ إلى ذاته، لأنَّ الإدراك، ليسَ بمعنى، فيتمدَّحُ بالألَّا يفعلُهُ على سبيلِ التَّفْصِيلِ^(٤)، وكلُّ ما تمَدَّحَ بنفيه - على هذا الوجه - لا يكونُ إثباتُهُ إلَّا نقصاً، وموجباً ذمّاً. وهو يتعالى عما يوجبُ الذَّمَّ، والنَّقْصَ. ألا ترى أنَّه - تعالى - لما تمَدَّحَ بنفي الصَّاحِبَةِ، والوليدِ، والسَّنَةِ، والنَّوْمِ في قوله: ﴿مَا اخْتَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾^(٥)، ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾^(٦)، لم يجرِ إثباتُ شيءٍ من ذلك

(١) الأنعام: ١٠٣.

(٢) سبحانه) سقطت من (ح).

(٣) في (هـ): رَبَّيْهَا.

(٤) في (أ): التفصيل. بالصاد المهملة.

(٥) الجن: ٣.

(٦) البقرة: ٢٥٥.

في حالٍ من الأحوال، لاقتضائه^(١) الذَّم، والنَّقْص، كذلك - هاهنا - يوضح ذلك أن قبل الآية: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ذَلِكَ اللهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لا تُدْرِكُهُ الْبَصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ^(٢).

فتمدَح - سبحانه - بما تَضَمَّتْهُ هذه الآيات من صفاته على حدٍّ واحدٍ، لا يختلف فيه الحال، / ٤٩ / وكل ما كان نفيه مدحاً، فلا يكون إثباته إلا دماً عند أهل اللسان.

الرُّضَا^(٣) - عليه السلام - : لا تُدْرِكُهُ أوهامُ القلوب، فكيف تُدْرِكُهُ أبصارُ العيون.

الصَّادِق^(٤) - عليه السلام - : أي: إحاطة الوهم. ألا ترى إلى قوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٥). يقال: فلانٌ بصيرٌ بالذَّراهم، والثَّياب، والجوارح، والأشعار.

(١) في (ك): لاقتضائه. بالنون الموحدة من فوق بعد الألف.

(٢) الأنعام: ١٠١ - ١٠٣.

(٣) أمالي الصدوق: ٣٦٧. مجمع البيان: ٢: ٣٤٤. بلفظ مختلف قليلاً.

(٤) الكافي: ١: ٩٨. الاحتجاج: ٢: ٧٧. التوحيد: ١١٢.

(٥) الأنعام: ١٠٤.

أبو جعفر^(١) الثاني - عليه السلام -: أوهامُ القلوبِ أدقُّ من أبصارِ العيونِ.
 أنتَ قد تُدرِكُ بوهَمِكَ البلدانَ التي لم تدخلها، ولا تُدرِكها^(٢) بِبَصَرِكَ. فأوهامُ
 القلوبِ لا تُدرِكُ، فكيف تُدرِكُ الأبصارُ.
 الصَّاحِبُ^(٣):

فَقَالَتْ: فَقُلْ لِي: أِبَا الْبَصَارِ تُدْرِكُهَا؟ فَقُلْتُ: جَلَّ عَنِ الْبَصَارِ بِالْمَقْلِ
 وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ^(٤) - عَلَيْهِ السَّلَامُ -^(٥) قَالَ: يَا مَنْ يَرَى، وَلَا يُرَى،
 وَهُوَ بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى.

وَكَتَبَ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ^(٦) الثَّالِثِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَسْأَلُهُ عَنِ
 الرُّؤْيَا؟ فَكَتَبَ جَوَابَهُ:

لَيْسَ تَجُوزُ الرُّؤْيَا مَا لَمْ يَكُنْ^(٧) بَيْنَ الرَّائِي، وَالْمُرْتَبِي هَوَاءً^(٨)، يَنْفِذُهُ الْبَصَرُ،

(١) الكافي: ١: ٩٩ التوحيد: ١١٣. الاحتجاج: ٢: ٢٣٨. أمالي الصدوق: ٣٦٧ وأبو جعفر الثاني
 هو الإمام محمد الجواد - عليه السلام -.

(٢) في (هـ): تُدرِكُ.

(٣) ديوان الصاحب بن عباد: ٤٠ وفيه: جَلَّ عَنِ الْإِدْرَاكِ.

(٤) التوحيد: ٤٥ في جملة خطبة له (ص).

(٥) في (ح): صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

(٦) الكافي: ١: ٩٧، التوحيد: ١٠٩. الاحتجاج: ٢: ٢٥١ وأبو الحسن الثالث هو الإمام علي بن
 محمد الهادي - عليه السلام -.

(٧) في (ش): تَكُنْ، بِنَاءِ الْمُضَارَعَةِ الْمُتَنَاءَةِ مِنْ فَوْقِ.

(٨) في (ش): هُوَ هَوَاءٌ.

فمتى انقطعَ الهواء، وعَدِمَ الضياءُ، لم تصحَّ الرؤيةُ. وفي وجوبِ اتِّصالِ الضياءِ بينَ الرَّائي، والمرئي، هواءٌ ينفذهُ البصرُ، واللهُ تعالى عنِ الأشباهِ، فثبتَ أنَّه لا يجوزُ عليه - سبحانه - الرؤيةُ بالأبصارِ.

وقيلَ للرُّضا^(١) - عليه السلام - : إنَّ رجلاً رأى ربَّهُ في منامِهِ، فما يكونُ ذلكَ؟

فقال: ذاكَ الرَّجُلُ، رجُلٌ لا دينَ لَهُ، إنَّ اللهَ - عزَّ وجلَّ - لا يُرى في اليقظةِ، ولا في المنامِ، ولا في الدُّنيا، ولا في الآخرةِ.

أبو سعيد الواعظِ في «رجالِ الصُّوفيةِ»^(٢): قال أمير المؤمنين - عليه السلام - : سلوني^(٣) قبلَ أن تفقدوني. فقالَ [لهُ]^(٤) ذعلبُ^(٥): هل رأيتَ ربَّكَ؟

فقالَ - عليه السلام - : ما كنتُ أعبدُ ربًّا لم أرهُ!

قال: كيفَ رأيتهُ؟

قال: لم ترهُ العيونُ بمشاهدةِ العيانِ، ولكنَّ رَأتهُ القلوبُ بحقائقِ الإيمانِ.

(١) أمالي الصدوق: ٥٤٦.

(٢) كتاب «رجال الصوفية» لأبي سعيد الواعظ من الكتب المفقودة، وهذه الرواية وردت في مصادر عديدة أخرى، أنظر التوحيد: ٣٠٤ فما بعدها، وأنظر ما يأتي في هامش الرواية.

(٣) في (ش): إسألوني.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (هـ) و (ك).

(٥) في (ش): ذعلب. وفي (هـ): ذعيل. وفي (أ): دعلب.

لَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ.

فصاح ذعلب^(١)، وخرّ مغشياً عليه^(٢).

الصَّادِقُ^(٣) - عليه السلام - وقد سأله أعرابيٌّ: هل رأيت ربَّكَ حينَ عبدته؟

فقال - عليه السلام - لم أكن أعبدُ ربًّا لم أره!

فقال: كيف رأيتَه؟

قال: لم تره الأبصارُ بمشاهدة العيانِ، بل رأته القلوبُ بحقائق الإيمانِ،

لَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ، معروفٌ بالآياتِ، والدَّلالاتِ، منعوتٌ

بالعلاماتِ، لا يجوزُ في قضيتِه، هو الله، لا إله إلا هو.

فقال الأعرابيُّ: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَمْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٤). [شعر]^(٥):

(١) في (ش): ذغلب. وفي (هـ): ذعلب. وفي (أ): دغلب.

(٢) هذه الرواية في الاحتجاج: ١: ٣١٢ دون ذكر اسم السائل (ذغلب). وهي في أمالي المرتضى: ١:

١٥٠ منسوبة إلى الباقر (عليه السلام) وفي أمالي الصدوق: ٣٠٥ منسوبة إلى أمير المؤمنين (عليه

السلام) والسائل فيها ذغلب. وفي الإرشاد: ١٣٣: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه

السلام) فَقَالَ لَهُ...

(٣) الكافي: ١: ٩٧. التوحيد: ١٠٨ عن الباقر (عليه السلام) باختلاف يسير في اللفظ أمالي

الصدوق: ٢٤٦ - ٢٤٧. الإرشاد: ١٣٣ بزيادة في اللفظ عن أمير المؤمنين (عليه السلام).

الاحتجاج: ٢: ٧٦ - ٧٧.

(٤) الأنعام: ١٢٤.

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ).

قالوا: نرى مَعْبُودَنَا وَجَارُوا
 إِذْ قَالَ^(١): «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ»
 لَا يُبْصِرُ الْإِنْسَانُ مَا يَرَاهُ
 إِلَّا إِذَا حُجِرَ أَذَاهُ وَأَزَاهُ
 يَرَاهُ إِذْ رَأَاهُ فِي الْمَكَانِ
 يَقْدِرُ أَنْ يَشِيرَ بِالْبَنَانِ^(٢)
 الصَّاحِبُ^(٣):

لَوْ كَانَ عَشُوساً بَعِينِي نَظِيرِ
 لَكَانَ مَلْمُوساً بِكَفِّي زَائِرِ



(١) في (ك): قالوا.

(٢) لم أقف على اسم قائل الأبيات ولا مظنة أخذها.

(٣) أخل به ديوانه بتحقيق آل ياسين.

فصل [-٤٦-]

[في الرؤية]

قوله - تعالى -: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾^(١).

فقوله: «وُجُوهُ»، لا يخلو^(٢) إمَّا أَنْ يُرَادَ بِهِ: الوجهُ، أو العينُ، أو الجملةُ.

فالأوَّلُ، لا يجوزُ، لأنَّ الوجهَ لا يَرى، ولا يَنْظُرُ^(٣)، ولا يكونُ رَأْيًا على الحقيقةِ. فلا يصحُّ حملُهُ على أيِّ وجهٍ، صرفت الآيةُ إليه، يدلُّ عليه أنَّه لا يجوزُ أن يقولَ: رَأَاهُ وجهي.

ولا يجوزُ الثاني، لأنَّ العينَ، لا توصفُ بالنَّصَارَةِ التي هي الإِشْرَاقُ، ولأنَّ العينَ - في الحقيقةِ - ليستُ بناظرةً، لأنَّ النَّاطِرَ، والرَّائِيَ، إِنَّمَا هُوَ الجَمْلَةُ، إذ العينُ آلَةٌ، يُرَى^(٤) بها.

فلم يبقَ إلَّا أَنْ المرادَ بِهِ، الجملةُ. ويبيِّن ذلك قوله - في نظيره -: ﴿وَوُجُوهُ

(١) القيامة: ٢٢، ٢٣.

(٢) في (ك): ينج.

(٣) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ج): ينتظر.

(٤) في (هـ): ترى. بناء المضارعة المثناة من فوق.

يَوْمَئِذٍ بِإِمْرَةٍ تَظُنُّ^(١)، والظَّنُّ إِنَّمَا يَرْجِعُ إِلَى الْجُمْلَةِ، وَلَا يَصَحُّ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ، حَقِيقَةُ الْوَجْهِ، مِنْ حَيْثُ وُصِفَ بِالنَّضَارَةِ^(٢)، وَالْبُسُورِ^(٣). إِذْ ذَلِكَ جَاءَ صِفَةُ الْوَجْهِ، وَالْجُمْلَةُ، تَوْصِفُ بِذَلِكَ، يَقَالُ: فَلَانٌ عَبُوسٌ كَالْحَيْحِ، فَهُوَ^(٤) بَسْرٌ^(٥)، وَبَسِيرٌ^(٦)، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ.

وقوله: «يَوْمَئِذٍ»، وَالْخَصْمُ لَا يُثَبِّتُ ذَلِكَ إِلَّا فِي الْجَنَّةِ، لِأَنَّهُ مِنَ الْفَضَائِلِ^(٧)، الَّتِي يَخْتَصُّ^(٨) بِهَا الْمُؤْمِنُ. وَهَذَا هُنَا فِي صِفَةِ الْقِيَامَةِ.

وقوله: «نَازِرَةٌ»، النَّظَرُ: التَّأَمُّلُ، وَهُوَ لَا زَمٌّ: «أَنْظُرْ كَيْفَ صَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ»^(٩)، «أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ»^(١٠). وَقَدْ يَتَعَدَّى هَذَا بِالْجَارِ، نَحْوُ: «أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ»^(١١)، «أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي

(١) القيامة: ٢٤، ٢٥.

(٢) في (ش): بالنظارة. بالطاء المعجمة.

(٣) في (أ): البشور، بالشين المعجمة.

(٤) في (ح): وهو. مع الواو.

(٥) في (ك) و(أ) و(ح): بشر بالشين المعجمة.

(٦) في (أ) و(ح): بشير. بالشين المعجمة.

(٧) في (ش): الفضال. و(أ): الفضل.

(٨) في (ك): تختص، بالناء المثناة من فوق.

(٩) الإسراء: ٤٨، الفرقان: ٩.

(١٠) الإسراء: ٢١.

(١١) الغاشية: ١٧.

مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ^(١).

والانتظار: ﴿غَيْرِ نَاطِرِينَ إِنَاءَهُ^(٢)﴾، ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ^(٣)﴾، حَسَن^(٤):

وجوء يوم بدرٍ ناظراتٌ إلى الرحمن يسأني بالفلاح
الكميث^(٥):

وُسُعتْ ينظرونَ إلى بلالٍ كما نظر الظباء حياءَ الفَهم
البعيث^(٦):

وجوء بهاليلِ الحجازِ على الندى إلى مالكٍ ركنِ المعارفِ ناظره^(٧)
والمهلة^(٨): ﴿فَتَنْظُرُهُ إِلَى مَيْسَرَةٍ^(٩)﴾، ﴿فَنَاطِرَةٌ / ٥٠ / بِمَ يَرْجِعُ

(١) الأعراف: ١٨٥.

(٢) الأحزاب: ٥٣.

(٣) ص: ١٥.

(٤) لم نقف عليه في ديوانه بطبعاته المتعددة. وهو في التفسير الكبير: ٣٠: ٢٢٧ من دون عزو، وشطره الثاني: إلى الرحمن تنتظر الخلاصا. وفي الأساس لعقائد الأكياس: ٨٠: يأتي بالخلاص ومن دون عزو.

(٥) أخل به مجموع شعره المنشور من قبل داود سلوم.

(٦) أخل به مجموع شعره بجمع وتحقيق ناصر حلاوي.

(٧) في (ك): الحجار. بالراء المهمله. وفي (ك) و(هـ): ملك.

(٨) في (ك): المهمله.

(٩) البقرة: ٢٨٠.

الْمُرْسَلُونَ^(١)، ﴿أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ^(٢)﴾، ﴿أَنْظِرُونَا نَقْتَسِسْ مِنْ نُورِكُمْ^(٣)﴾.

[أبَاهُنَا فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا] وأنظرنا نخبرك اليقين^(٤)

والرحمة: انظر لي نظر الله إليك. وفلان ينظر لفلان. وهو حسن النظر له.

﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٥)﴾.

والإهلاك: نظر الدهر إلى بني فلان. قال الشاعر^(٦):

[فِي قُرُومٍ سَادَةٍ مِنْ قَوْمِهِ] نَظَرَ الدَّهْرُ إِلَيْهِمْ فَاثْبَهَلَ^(٧)

والتحديق نحو الشيء، طلباً للرؤية، لأنهم يثبتون النظر دون الرؤية.

قولهم: نظرت إلى الهلال، فلم أراه. وما زلت أنظر إليه، حتى رأيته، وانظر حتى

تري. ولو لا أنني كنت أنظر إليه، لَمَا رأيته. ونظرت إليه، فوجدته جالسا.

(١) النمل: ٣٥.

(٢) الأعراف: ١٤.

(٣) الحديد: ١٣.

(٤) قائله الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم التغلبي. انظر: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات:

٣٨٧، شرح القصائد السبع المشهورات: ق ٦٢٨: ٢ شرح القصائد العشر: ٣٣١ ومنها صدر

البيت.

(٥) آل عمران: ٧٧.

(٦) هو ليث بن ربيعة العامري. انظر شرح ديوانه: ١٩٧. ومنه صدر البيت.

(٧) في النسخ جميعها: فَاثْمَحَلُوا.

ولا يُقال: نظرتُ إلى زيد متعرباً. كما يُقال: رأيتُهُ متعرباً. والله - تعالى -
رائي^(١)، ولا يُقال: ناظرٌ. لأنَّ النَّظَرَ، تَقْلِيْبُ الحَدِيقَةِ الصَّحِيْحَةِ نَحْوَ المَرْتِي،
لَطْلَبِ الرُّؤْيَةِ.

ونظرتُ إليه نظرَ راضٍ، ونظرَ غضبانٍ، ونظراً شزراً. ونظرَ بمؤخرِ عينِهِ.
وقد أحدى إليه النَّظَرَ. ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ﴾^(٢). شاعر^(٣):

نظروا إليك بأعينٍ مَحْمَرَةٍ نظرَ التُّيُوسِ إلى شِفَارِ الجَاوِرِ
غيرُهُ^(٤):

ونظرةٌ ذي شَجِنٍ وامِيقٍ إذا ما الرِّكَائِبُ جَاوَزْنَ مَيْلَا
و«النَّظَرُ» يتعدَّى بـ «إلى»، و«الرُّؤْيَةُ»، وأمثَالُهَا بِنَفْسِهَا، يُقال: نظرتُ
إليه، ورأيتُهُ^(٥).

قال الله - تعالى -: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(٦).

(١) في (ش) و(ك) و(هـ): رأى. وفي (ح): راو. بتنوين العوض.

(٢) محمَّد: ٢٠.

(٣) أمالي الصدوق: ٨٦ بلا عزو. شرح الأصول الخمسة: ٢٤٣. بلا عزو وفيه: بأعينٍ مزورة.

الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ١٢٧ في جملة أبيات معزوة إلى عليٍّ بن عبد الله بن عباس.

(٤) المفصَّلَات: ٥٦، معزواً إلى بشامة بن الغدير. وفي التفسير الكبير: ٢٠: ٢٢٧ من دون عزو.

(٥) في (هـ): فرأيتَهُ.

(٦) الأعراف: ١٩٨.

وَالْقَوْلُ بِذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى مَنَاقِضِهِ قَوْلُهُ: ﴿لَا تُذَرِكُمُ الْأَبْصَارُ﴾^(١)، إِذْ ذَاكَ عَمُومٌ، لَا تَخْصِيصَ فِيهِ، وَلِأَنَّهُ عَمَدَحَ بِهِ، كَمَا عَمَدَحَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ يُذَرِكُ الْأَبْصَارُ﴾^(٢).

فَهُوَ - إِذَنْ - جَارٍ - فِي عُمُومِ الْأَوْقَاتِ - تَجَرُّاءُ، لِأَنَّ زَوَالَ مَا يُوجِبُ الْمَدَحَ، نَقْصٌ.

وَلَا يَجُوزُ: إِلَى رَبِّهَا نَازِرَةٌ لَهَا، لِأَنَّ التَّخْصِيصَ، لَا يَقَعُ إِلَّا بِمَا يَسْتَشْبِهُ الْأَمْرُ فِيهِ، فَكَيْفَ بِهَا لَا يَقْتَضِيهِ؟ وَنَمَطُ هَذِهِ الْآيَةِ، وَمَا يَتَعَقَّبُهُ، لَا يُنْبِئُ عَنْهُ، وَيُطِيلُهُ، لِأَنَّهُ قَالَ فِي نَقِيضِهِ: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ الْآيَةُ^(٣).

فَلَمَّا أَوْجَبَ الْكَفَّارَ خَوْفَ الْعِقَابِ، دُونَ الْمَنْعِ مِنَ الرَّؤْيَةِ، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ مَا أَوْجَبَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ انْتِظَارُ الثَّوَابِ، دُونَ الرَّؤْيَةِ، لِيَتَشَاكَلَ الْمَعْنَيَانِ، لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرُونَنِي، وَالْكَافِرِينَ أَعْذُبُهُمْ، لَمْ يَكُنْ مُتَشَاكِلًا فِي الْمَعْنَى، بَلْ كَانَ مَعْيَا عِنْدَ الْبُلْغَاءِ.

وَقَالَ الصَّاحِبُ^(٤) بَنُ عَبَّادٍ^(٥): «نَازِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا». أَيُ: نَعْمَةٌ رَبِّهَا،

(١) الأنعام: ١٠٣.

(٢) الأنعام: ١٠٣.

(٣) القيامة: ٢٤.

(٤) المحيط في اللغة (مادة - إلى).

(٥) في (هـ): عبادة.

لأنَّ «الآلاء»، والنَّعْم، وفي واحدها، أربع لغات، يقال: «آلى»، مثل: «قفا»،
و«آلى»، مثل: «معا»، و«إلى»، مثل «رَمي» و«آلى»، مثل: «حَسبي»^(١) قال
الأعشى^(٢):

أَبْصُرْ لَا يَرْهَبُ الْمَرْأَلُ وَلَا يَقْطَعُ رَحْمًا وَلَا يَنْجُونُ إِلَّا

وجاء في التفسير عن ابن عباس^(٣)، والحسن^(٤)، وعمر، ومجاهد^(٥)،
وقتادة، والأعمش^(٦)، وابن جريج، وأبي صالح^(٧)، والضحاك^(٨)، والكلبي،
وابن المسيب، وابن جبير^(٩): «وجوه يومئذ ناظرة»، يعني: مشرقة تنتظر^(١٠) ثواب

(١) في (ش) و(ك): جسي. وفي (هـ): مطموسة. وفي (أ): حبي.

(٢) ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس): ٢٣٥.

(٣) مجمع البيان: ٥: ٣٩٧.

(٤) جامع البيان: ٢٩: ١٩٢. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٣٩٧-٣٩٨.

(٥) جامع البيان: ٢٩: ١٩٢. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٣٩٧، ٣٩٨. الدر المنثور: ٨: ٣٦٠. رسائل

الجاحظ الكلامية (رسالة الرد على المشبهة): ٢٣٢ الجامع لأحكام القرآن: ١٩: ١٠٩.

(٦) جامع البيان: ٢٩: ١٩٣.

(٧) جامع البيان: ٢٩: ١٩٣. الدر المنثور: ٨: ٣٦٠. رسائل الجاحظ الكلامية (رسالة الرد على

المشبهة): ٢٣٢.

(٨) مجمع البيان: ٥: ٣٩٨.

(٩) مجمع البيان: ٥: ٣٩٨.

(١٠) في (ك) و(أ): ينتظر: يباء المضارعة المثناة من تحت.

رَبِّهَا. وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنِ النَّبِيِّ^(١) - عَلَيْهِ السَّلَامُ -.

وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ^(٢) - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ، كَمَا يَنْظُرُونَ فِي الدُّنْيَا.



(١) الاحتجاج: ٢: ١٩١ مروياً بلفظه عن الرضا (عليه السلام) وكذلك في أسالي الصدوق: ٣٦٧

والتوحيد: ١١٦ وفي مجمع البيان: ٥: ٣٩٨ وهو المروي عن علي (عليه السلام).

(٢) الاحتجاج: ٢: ٢١٥.

فصل [-٤٧-]

[في الرؤية]

قوله - تعالى -: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾^(١).

ليس في مسألة الشيء^(٢) [دلالة]^(٣) على صحّة وقوعه، ولا جوازه، لأنّ السائل، يسأل عن الجائز، والمحال، مع العلم، وفقد العلم، لأغراض مختلفة.

ثمّ أنّه سأل لقومه، بعد ما أجابهم. فلم يردعوا، فاختر السبعين الذين حضروا الميقات، ليكون سؤاله بمخصّر منهم، قوله: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنْ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾^(٥)، وقوله: ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ

(١) الأعراف: ١٤٣.

(٢) في (ش): النبي. وفي (ح): النبي.

(٣) ما بين المعقوفين مطبوعة في (ش).

(٤) النساء: ١٥٣.

(٥) البقرة: ٥٥.

رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَلِيَّائِي أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا^(١).

إضافة ذلك إلى السفهاء، يدلُّ على أنَّه كانَ بسببهم، فإنَّهم^(٢) سألوهُ ما لا يجوزُ عليه، وقال: «أَرِنِي أَنْظُرُ إِلَيْكَ». والنَّظَرُ غَيْرُ الرَّؤْيَةِ.

ويقال: إِنَّ موسى إِنَّمَا سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ [نَفْسَهُ]^(٣) ضرورةً بإظهار بعضِ أعلامِ الآخرةِ التي نُضْطَرُّ إلى المعرفة، ويستغني^(٤) عَنِ الاستدلالِ. فتزولُ عنه الدَّواعي، والشُّكوكُ، والشُّبهاتُ، كما سَأَلَ إبراهيمُ أَنْ يُرِيَهُ كَيْفَ يُحْيِي المَوْتَى.

٥١ / والسُّؤالُ، وإن وقع بلفظِ الرَّؤْيَةِ، فإنَّ الرَّؤْيَةَ تُفِيدُ العِلْمَ، كما تُفِيدُ الإدراكَ بالبصرِ، فقال له: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾^(٥) أي: لن تَعْلَمَنِي على هذا الوجهِ الَّذِي التَّمَسَّتَ^(٦) مِنِّي، وأنَّه أجابهُ^(٧) اللهُ - تعالى - بأنَّه لا يراه - بلفظِ مُحْكَمٍ ظاهرٍ جليٍّ، لا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ، عامٌّ لا تخصيصَ فيه.

(١) الأعراف: ١٥٥.

(٢) في (ك) و(هـ) و(أ): ولئهم. مع الواو.

(٣) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش).

(٤) في (ح): تستغني. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٥) الأعراف: ١٤٣.

(٦) في (أ): التَّمَسَّ.

(٧) في (ك): إجابة بالناء المتحركة المنقوطة.

﴿لَنْ تَرَانِي﴾ معناه: لا تراه أبداً. لَأَنَّ «لَنْ» للتأيد، قوله: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾^(١)، وقوله: ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾^(٢).

ومعلوم أنه إذا لم يره موسى - عليه السلام - فلا مَطْمَعَ لغيره.

والآية بالنفي، أولى من الإثبات، وإِنَّهُ عَلَّقَ رُؤْيَاهُ بما يستحيل كَوْنُهُ. والشَّيْءُ إذا عَلَّقَ كَوْنُهُ بما يستحيل حصوله، اسْتَحَالَ، كقوله في الكَفَرَةِ: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾^(٣).

فكذلك لما عَلَّقَ رُؤْيَاهُ بما يستحيل كَوْنُهُ - وهو استقراء الجبل في حال الدَّكَّةِ - إذ محال سكون الشَّيْءِ في حال تحريكه^(٤)، وذلك يُوجِبُ استحالة رُؤْيَاهُ، فلما اندكَّ الجبل عند سُؤالِهِ ذلك، كان فيه غاية الإنكار، إذ كان ذلك عما أُوْعِدَ بآئِهِ يكادُ أَنْ يَخْذُلَ عِنْدَ رَعْمِهِمْ: أَنَّ اللَّهَ وَلَدًا، قوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَّقَطْنَ مِنْهُ﴾^(٥).

وَيَبَيِّنُ أَنَّ الْقَوْلَ بِالرُّؤْيَا يُضَاهِي الْقَوْلَ بِاتِّخَاذِ الْوَلَدِ، بل يزيد^(٦) عليه، إذ

(١) البقرة: ٩٥.

(٢) الحج: ٧٣.

(٣) الأعراف: ٤٠.

(٤) في (هـ): تحريكه.

(٥) مريم: ٨٨ - ٩٠.

(٦) في (هـ): تزيد. بناء المضارعة التثنية من فوق.

قال - في التَّحَاذُّ^(١) الْوَلَدِ -: «تَكَادُ»، [و] «^(٢) فِي الرُّؤْيَةِ^(٣)» «حَصَلَ»، فَكَمْ^(٤) - بَيْنَ
الْأَمْرَيْنِ - فَرَقًا^(٥)؟

قال أبو علي^(٦): وَلَمْ يُنْزَلْ عَلَيْهِمُ الصَّاعِقَةُ، إِلَّا بَعْدَ السُّؤَالِ، وَفِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ
عَلَى أَنَّ أَصْلَ كُلِّ سَبَبٍ^(٧) تَجْوِيزُ الرُّؤْيَةِ عَلَى اللَّهِ - تَعَالَى -.

وَيُعَبَّرُ بِ«رَأَى» عَنْ خَمْسَةِ مَعَانٍ:

بِمَعْنَى «أَبْصَرَ»: رَأَيْتُ زَيْدًا قَائِمًا.

وَبِمَعْنَى «عَلِمَ»: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ؟»^(٨).

وَبِمَعْنَى «ظَنَّ»: «إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا»^(٩).

وَبِمَعْنَى «إِعْتَقَدَ»، [شِعْرًا]^(١٠):

(١) في (أ): إِيْمَاد. بِالْجِيمِ الْمُعْجَمَةِ مِنْ تَحْتِ بَعْدِهَا دَالٌ مُهْمَلَةٌ بَيْنَهُمَا أَلِفٌ.

(٢) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَتَيْنِ سَاقِطَةٌ مِنْ (ش).

(٣) فِي (ح): وَبِالرُّؤْيَةِ.

(٤) فِي (هـ): فَكَانَ.

(٥) فِي (هـ): فَرَقَ. مِنْ دُونَ تَنْوِينِ النَّصَبِ.

(٦) هُوَ أَبُو عَلِيٍّ الطَّبْرَسِيُّ: بِمَجْمَعِ الْبَيَانِ: ٢: ٤٧٥.

(٧) فِي (ح): سَبَبٌ. وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٨) الْفِيلُ: ١.

(٩) الْمَعَارِجُ: ٦.

(١٠) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَتَيْنِ زِيَادَةٌ مِنْ (هـ).

وَأَنَا لَقَوْمٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَارَاتُهُ عَامِرٌ وَسَلُولٌ^(١)
 وبمعنى «الرأي»، تقول^(٢): رأيتُ هذا الرَّأيَ. وهذا رأيُ أبي حنيفة.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾^(٣).

التَّجَلَّى: هُوَ إظهارُ الشيء، ومنه: جَلَّتِ الماشِطَةُ العُرُوسَ جَلُوءًا.

وقد فُسِّرَ قوله: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لَوُفَّتِهَا﴾^(٤). أي: لَا يُعَرِّفُكُمْ وَفَتْهَا سِوَاهُ.

وَتَجَلَّى، وَجَلَّى، بمعنى واحدٍ، كما يقال: تَصَدَّقَ، وَصَدَّقَ، وَتَحَدَّثَ وَحَدَّثَ.

وَالنَّظَرُ إِلَى الشَّيْءِ، تقول^(٥): تَجَلَّى فلانٌ لفلانٍ. إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ. وَتَجَلَّى البازي

لِلصَّيْدِ. إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ، نَاطِرًا^(٦) إِلَيْهِ.

فَالأَوَّلُ غَيْرُ جَائِزٍ عَلَى اللَّهِ - تعالى - لِأَنَّ الظُّهُورَ، وَالْكُمُونَ، تَغْيِيرٌ، وَهُوَ

(١) نسبت القصيدة التي منها هذا البيت إلى السَّمَوَالِ. أنظر ديوان السَّمَوَالِ صنعة أبي عبد الله

نفظويه: ١٢. ونسبت إلى الحارثي. أنظر: الحارثي: حياته وشعره: ٨٨. ونسبت إلى غيرهما.

(٢) في (ش) و(هـ) و(أ): يقول. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٣) الأعراف: ١٤٣.

(٤) الأعراف: ١٨٧.

(٥) في (ش) و(ك) و(أ): يقول. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٦) في (هـ): ناظر. من دون تنوين النصب.

من صفات المحدث. ولو أراد - تعالى - ذاته، لم يكن لذلك معنى، لأن المتجلى^(١)، يكون إما: بمقابله، أو ظهور. فلو أريد به «المقابله» فصار الجبل دكاً، وجب أن يستقر له مكان في العرش، وغيره، بل يصير دكاً.

وإن أراد «ظهر» لكان لا يصح، لأنه تعلق^(٢) نفى الرؤية بالآلة يستقر الجبل. والمعلوم أنه لا يستقر، بأن ينكشف له، ويرى، لأن ذلك في حكم أن يجعل الشرط في ألا يرى ما يوجب أن يرى. وذلك متناقض.

ويحتمل أنه لما أظهر الله - تعالى - للجبل من آيات الآخرة، صار الجبل دكاً، إذ قد بينّا أن ظهوره، ظهور آياته، كما قال الحسن^(٣): «تجلى ربه»: بداهة نور العرش.

وفي رواية: تجلى الله علماً من أعلام يوم القيامة، فافتلح الجبل.

ويحتمل أن يكون في الكلام تقديم، وتأخير، فيكون معناه: فلما تجلى موسى للجبل. أي: فلما رفع رأسه ناظراً إليه، جعله ربه دكاً. وذلك إنّه قال: ﴿انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ﴾^(٤).

(١) في (ح): التجلي.

(٢) في (هـ) و(ح): علق. بصيغة الماضي.

(٣) قول الحسن هذا نُسب في مجمع البيان: ٢: ٤٧٥ إلى ابن عباس، ونُسب إلى الحسن قوله: لما ظهر وحي ربه للجبل.

(٤) الأعراف: ١٤٣.

ونظيره: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾^(١). وتقديره: أَلَمْ تَرَ إِلَى الظِّلِّ
كَيْفَ مَدَّهُ رَبُّكَ؟



فصل [٤٨ -]

[في الرؤية]

قوله - تعالى - ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ﴾^(١)، ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾^(٢)، ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾^(٣).

التَّعَلَّقُ بظواهرها، لا يَصُحُّ، لأنَّ اللَّقَاءَ - عندهم - أَفْضَلُ ثَوَابِ اللَّهِ. واللهُ - تعالى - حَدَّرَهُمْ مِنْ لِقَائِهِ، بَعْدَ الْأَمْرِ بِاتَّقَائِهِ، وَهُمْ مَتَى مَا اتَّقَوْهُ، لَقُّوهُ بِزَعْمِهِمْ، وَمَتَى مَا لَمْ يَتَّقَوْهُ، لَمْ يَلْقَوْهُ. فَالْتَّوَعَّدُ - بِذَلِكَ - لَا يَصُحُّ عَنْدهم، لِأَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِ الثَّوَابِ. وَلَوْ كَانَ اللَّقَاءُ الرَّؤْيَى، لَرَأَاهُ الْمُؤْمِنُونَ، وَالْكَافِرُونَ^(٤)، لِأَنَّهُ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ.

وعندهم: أَنَّهُ مُسْتَحَقٌّ لِلثَّوَابِ، فَإِذَا لَمْ يَجْزِ أَنْ^(٥) يَعْلَمَ أَحَدٌ أَنَّهُ يَرَاهُ، صَحَّ^(٦)

(١) البقرة: ٢٢٣.

(٢) الانشقاق: ٦.

(٣) الكهف: ١١٠.

(٤) في (ش) و(ك) و(أ): الكافر. بصيغة المفرد.

(٥) في (ش): وَيَأْنُ.

(٦) في (أ): يصح. بصيغة المضارع.

/ ٥٢ / أَنَّ الْمُلَاقَاةَ، غَيْرُ الرُّؤْيَةِ.

و«الْمُلَاقَاةُ»، «مُفَاعَلَةٌ» مِنَ اللَّقَاءِ، وَأَصْلُهُ لَاسْتِقْبَالٌ^(١) الشَّيْئِينَ، أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ. يُقَالُ: ذَارِي تَلْقَاءَ دَارِهِ. وَيُسْتَعْمَلُ^(٢) فِي الرُّؤْيَةِ لَاسْتِقْبَالِ الرَّائِي السَّرْمِيِّ. وَالظَّاهِرُ يَقْتَضِي أَنَّهُمْ يَسْتَقْبِلُونَ اللَّهَ، وَاللَّهُ يُسْتَقْبَلُهُمْ، وَلَوْ تَرَكَوا الظَّاهِرَ، سَقَطَ تَعَلُّقُهُمْ.

وإن^(٣) كَانَتِ الْمُلَاقَاةُ اسْتِقْبَالَ أَحَدِ الشَّيْئِينَ لِلْآخَرِ، فَلَا مَعْنَى لِلتَّوَعُّدِ بِهِ، لِأَنَّهُمَا لَا يُوجِبَانِ تَحْذِيرًا، وَلَا تَخْوِيفًا.

وظاهر اللفظ، يُوجِبُ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ يَلْقَوْنَهُ فِي الْوَقْتِ، لِأَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقَوْهُ.

وَلَمْ يَقُلْ: سَيَلْقَوْنَهُ فِي الْآخِرَةِ. وَمَتَى قُلْتَ: فَلَانٌ يُلَاقِي فَلَانًا. فَإِنَّهُ يَجِبُ لِلْحَالِ.

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْوَقْتِ - كَذَلِكَ - سَقَطَ التَّعَلُّقُ. وَلَا يُرَدُّ إِلَى الْاسْتِقْبَالِ، لِأَنَّهُ عُدُولٌ عَنِ الظَّاهِرِ. وَاللِّقَاءُ جَاوِزٌ فِي الرُّؤْيَةِ، لِأَنَّهُ يُسْتَعْمَلُ فِي مِمَارَسَةِ الشَّيْءِ، وَإِنْ لَمْ تَصُحَّ الرُّؤْيَةُ عَلَيْهِ. يُقَالُ: لَقِيتُ مِنْهُ سَرًّا، وَبَرَحًا. وَلَقِيتُ مِنْهُ الْأَمْرَيْنِ. ﴿لَقَدْ

(١) فِي (ش): الْاسْتِقْبَالُ. مِنْ دُونَ حَرْفِ الْجَزْرِ (الْلَامِ).

(٢) فِي (ش): تَسْتَعْمَلُ. بِنَاءِ الْمُضَارَعَةِ الْمُنْتَهَا مِنْ فَوْقِ.

(٣) فِي (ل) وَ(ج): وَإِذَا.

لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا^(١)، ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾^(٢).

[شِعْرًا]^(٣):

فَمَنْ يَلْقَى خَيْرًا بِمَجْدِ اللَّهِ أَمْرُهُ يَلْقَى كَمَا لَا قَى مُجِيرٌ أَمْ صَائِرٌ^(٤)

وعلى سبيل التَّوَعُّدِ: يَجِبُ أَنْ تَلْقَى الْأَمِيرَ. ﴿فَدُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾^(٥)، ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾^(٦)، ﴿يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ﴾^(٧)، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّهُمْ مُلَاقُواهُ﴾^(٨).

وإذا كَانَ مَجَازًا، لم يَجِزْ رَدُّهُ إِلَيْهَا، إِلَّا بِدَلِيلٍ، وَمَتَى مُنِعَ الْجَزِيُّ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَجَبَ رَدُّ الْمَعْنَى إِلَى مَا يَصُحُّ الْجَزِيُّ عَلَيْهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾^(٩)، ﴿فَأَتَى

(١) الكهف: ٦٢.

(٢) آل عمران: ١٤٣.

(٣) ما بين المعرفتين زيادة من (هـ).

(٤) الفضليات: ٢٤٧ معزواً إلى المرقش الأصغر. متشابه القرآن: ١: ٢٧٥ بلا عزو. أمالي المرتضى:

٢: ٢٤٦ وشطره الثاني فيه: «وَمَنْ يَغُولَا يَعْدَمُ عَلَى الْغَيِّ لَأَسْمَأُ». التبيان في تفسير القرآن: ١:

٢٧٥، ٤: ٣٦٣، ٥: ٤٧٨، ٦: ٣٣٦ بلا عزو.

(٥) السجدة: ١٤.

(٦) الفرقان: ٢١.

(٧) البقرة: ٢٤٩.

(٨) البقرة: ٢٢٣.

(٩) يوسف: ٨٢.

اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ^(١)، يُوكِّدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَاعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾^(٢).

معناه: يوم يلقون جزاءه، لأن المنافقين، لا يرون الله، عند أحد من أهل الصلاة.

وكذلك قَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾^(٣) إلى آخر الآية.

معناه: إِذْ وُقِفُوا عَلَى جَزَاءِ رَبِّهِمْ، لأن الكفار، لا يرون الله، عند أحد من الأمة^(٤).

وتستحيل^(٥) الرؤية، لِـمُوجِبِ كَوْنِ المرئي جسمًا كميًّا، بِأَكْثَفِ مِنْ شُعَاعِ الْعَيْنِ فِي مُحَاذَاةِ^(٦) مَخْصُوصَةٍ، مُتَوَسِّطًا فِي الْقُرْبِ، وَالْبُعْدِ، مِنَ الرَّائِي.

فلما استحال عليه ما به تُصَحُّ الرؤية^(٧)، استحالت^(٨) الرؤية عليه، فوجبَ صَرْفُ مَا يُنْفَى عَنْهُ مِنَ الْأَلْفَاظِ إِلَى غَيْرِهِ.

(١) النحل: ٢٦.

(٢) التوبة: ٧٧.

(٣) الأنعام: ٣٠.

(٤) في (أ): الآية.

(٥) في (ش) و(أ): يستحيل، بقاء المضارعة المثناة من تحت.

(٦) في (هـ): محاذاته.

(٧) في (هـ): الرواية.

(٨) في (ش): استحالة. بصيغة المصدر.

وقد فسرهُ الله - تعالى - بها لا إشكال فيه: أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ، يَلْقَوْنَهُ. ثُمَّ بَيَّنَّ كَيْفِيَّةَ اللَّقَاءِ، مِنْ سُرُورٍ، أَوْ بُؤْسٍ.



قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾^(١).

أي: خَسِرَ هؤلاء الكُفَّارُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ، مِنَ الثَّوَابِ، وَالْعِقَابِ، وَجَمَلَ لِقَاءَهُمْ - لَذَلِكَ - لِقَاءَهُ - تعالى - حِجَازًا. كَمَا يَقُولُ الْمُسْلِمُونَ - لِمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ -: لَقَدْ لَقِيَ اللَّهَ، وَصَارَ إِلَيْهِ. يَعْنُونَ^(٢): لِقَاءَ مَا يَسْتَحِقُّهُ^(٣) مِنَ اللَّهِ، كَمَا قَالَ: ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمْنُونَ الْوَيْتَ مِنَ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾^(٤)، وَالْمَوْتُ لَا يُشَاهَدُ. أي: [فقد]^(٥) رَأَيْتُمْ أَسْبَابَهُ، وَأَنتُمْ تَنْظُرُونَ.



(١) الأنعام: ٣١.

(٢) في (هـ): يعنون.

(٣) العبارة في (ح): يعنون لَقِيَ مَا يَسْتَحِقُّ مِنَ اللَّهِ.

(٤) آل عمران: ١٤٣.

(٥) ما بين المقوفتين زيادة من (ح).

فصل [- ٤٩ -]

[في الرؤية]

قوله - تعالى -: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾^(١).

الظاهر أنه لا دلالة على ما قالوه^(٢)، لأن الزيادة، لا تُعقَل بمعنى الرؤية. فإذن لا يجوز أن يُخاطَبَ اللهُ عبادة بما ليس في لغتهم، إلا مع البيان لذلك. وإنما يصح ذلك في الشرع من حيث لم يكن - لِمَا أَمَرَ^(٣) به في أصل اللغة - إسم موضوع، وليس كذلك الرؤية. ولا بيان هاهنا.

وأما^(٤) هل الآية على حديث^(٥) مروي عن أبي بكر^(٦)، فاستأذه^(٧) غير

(١) يونس: ٢٦.

(٢) في (أ): قالوا.

(٣) في (هـ): أقر.

(٤) في (ج): فأما مع الغاء.

(٥) وهو ما رواه أبو بكر عن النبي (ص): «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته».

(٦) في (هـ): بكرة.

(٧) في (ك): فاستأذه.

مَرْضِيٍّ ثُمَّ أَنْ رَدَّ ذَلِكَ إِلَى مَخْصُوصٍ، جَائِزٌ، مَا لَمْ تَرُدَّهُ^(١) اللَّغَةُ^(٢)، وَالْأَصُولُ.
فَاللُّغَةُ تَنْفِي ذَلِكَ، لِأَنَّ الزِّيَادَةَ عَلَى الشَّيْءِ، لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ جِنْسِ ذَلِكَ الشَّيْءِ،
أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ: لَهُ، عَشْرَةُ دِرَاهِمٍ، وَزِيَادَةٌ. ثُمَّ تَكُونُ الزِّيَادَةُ ثَوْبًا.
وإنَّ الزِّيَادَةَ عَلَى الشَّيْءِ^(٣)، لَا تَكُونُ أَفْضَلَ مِنَ الشَّيْءِ الْمَذْكُورِ، بَلْ تَكُونُ دُونَهُ.
فَلَمَّا كَانَتْ رُؤْيَاهُ أَفْضَلَ مِنْ جَمِيعِ الثَّوَابِ، وَمِنْ الْجَنَّةِ، لَمْ يَجْزَ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُّ
بِلَفْظِ^(٤) «الزِّيَادَةِ» الرُّؤْيَا.

وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى﴾^(٥)، مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ أَسَاءُوا
السُّوْأَى﴾^(٦). فَمَعْنَى «الْحُسْنَى»: الثَّوَابُ. وَمَعْنَى «السُّوْأَى»: الْعِقَابُ. وَمَعْنَى
الآيَةِ، مَفْسَّرٌ فِي الْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعَ، وَهُوَ أَنَّهُ يَعْنِي بِهِ: أَنَّ لِلْمُحْسِنِ جَزَاءَ إِحْسَانِهِ،
وَزِيَادَةً تَحْصُلُ لَهُ، لَا يَسْتَحِقُّهَا بِفِعْلِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ
أَمْثَالِهَا﴾^(٧)، ﴿لِيُؤْتِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٨).

(١) فِي (ش) وَ(ك) وَ(هـ) وَ(أ): يَرُدُّهُ. بَيَّانُ الْمُضَارَعَةِ الْمُتَنَاءِ مِنْ تَحْتِ.

(٢) فِي (ش): اللَّعْنَةُ.

(٣) فِي (هـ) شَيْءٌ. مِنْ دُونِ (أَل).

(٤) فِي (أ): بِلَفْظَةٍ، بِالتَّاءِ الْمُتَحَرِّكَةِ الْمُتَنَاءِ.

(٥) يُونُسُ: ٢٦.

(٦) الرُّومُ: ١٠.

(٧) الْأَنْعَامُ: ١٦٠.

(٨) فَاطِرُ: ٣٠.

فَبَيَّنَ أَنَّ الزِّيَادَةَ «مِنْ فَضْلِهِ»، وَلَمْ يَقُلْ: مِنْ رُؤْيِيهِ.

وَلَا مَعْدِلَ عَمَّا بَيَّنَّهُ اللَّهُ، وَقَدْ فَسَّرَهُ / ٥٣ / الْمَفْسَّرُونَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(١)،
وَالْحَسَنُ^(٢)، وَمَجَاهِدُ^(٣)، وَقَتَادَةُ^(٤): «الْحُسْنَى»: الثَّوَابُ الْمَسْتَحَقُّ، وَ«الزِّيَادَةُ»:
التَّفَضُّلُ عَلَى قَدْرِ الْمَسْتَحَقِّ عَلَى طَاعَتِهِمْ^(٥) مِنْ الثَّوَابِ، وَهِيَ الْمِضَاعَفَةُ الْمَذْكُورَةُ
فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾.

وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ، وَالْكَلْبِيُّ نَحْوَ ذَلِكَ.

وَقِيلَ: مَا يَأْتِيهِمْ^(٦) فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ مُجَدِّدًا.

الْبَاقِرُ^(٧) - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: الزِّيَادَةُ، هِيَ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ مِنَ النِّعَمِ فِي الدُّنْيَا،
لَا يُحَاسِبُهُمْ بِهِ فِي الْآخِرَةِ.

(١) جَامِعُ الْبَيَانِ: ١١: ١٠٧. أَيْضًا: جَمْعُ الْبَيَانِ: ٣: ١٠٤. الدَّرُ الْمَشْتُور: ٤: ٣٥٩. التفسير الكبير: ٧٨: ١٧.

(٢) جَامِعُ الْبَيَانِ: ١١: ١٠٨. أَيْضًا: جَمْعُ الْبَيَانِ: ٣: ١٠٤. الدَّرُ الْمَشْتُور: ٤: ٣٦٠. التفسير الكبير: ٧٨: ١٧.

(٣) جَمْعُ الْبَيَانِ: ٣: ١٠٤. وَفِي جَامِعِ الْبَيَانِ عَنْ مَجَاهِدٍ: ١١: ١٠٨: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى﴾: مثلهما حسنى، «وزيادة»: مغفرة ورضوان. وكذا في الدر المشتور: ٤: ٣٦٠.

(٤) جَامِعُ الْبَيَانِ: ١١: ١٠٨. أَيْضًا: جَمْعُ الْبَيَانِ: ٣: ١٠٤.

(٥) فِي (أ): طَاعَتِهِمْ، بِصِغَةِ الْمَفْرَدِ.

(٦) فِي (هـ): مَا تَأْتِيهِمْ.

(٧) جَمْعُ الْبَيَانِ: ٣: ١٠٤. تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١: ٣١١.

أُمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ^(١) - عليه السلام - : الزَّيَادَةُ غُرْفَةٌ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ^(٢) وَاحِدَةٍ، هَا أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾^(٣).

ليس في الآية^(٤) ذِكْرُ هؤلاء محجوبين، إثباتٌ لكونهم غيرَ محجوبين، لأنَّ اللفظَ لا يدلُّ عليه، ولا يُنسَبُ عنه. والمتروكُ ذِكْرُهُ لا يدلُّ على أنه بخلافِ المذكورِ، بل يكونُ موقوفاً على الدَّليلِ. على أنَّ ما ذَكَرَ أَنَّهُمْ محجوبُونَ عنه في يومِ الْقِيَامَةِ.

وعندَ القومِ لا يراه أحدٌ في ذلك الوقتِ، بل الكلُّ محجوبونَ. ولو كان منعاً عن الرُّؤية لَنَاقَضَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾^(٥)، فَهَذِهِ تُخْبِرُ عَنْ وُقُوفِهِمْ عَلَيْهِ^(٦)، وَتِلْكَ تُخْبِرُ عَنْ كَوْنِهِمْ غَيْرَ محجوبينَ عنه.

(١) مجمع البيان: ٣: ١٠٤، وعن علي (عليه السلام) في أمالي الشيخ الطوسي: ١: ٢٥: الحسنى هي الجنة، والزيادة هي الدنيا. وفي الدر المنثور: ٤: ٣٥٨ ما يطابق رواية كتابنا هذا، وكذا في التفسير الكبير: ١٧: ٧٨. والجامع لأحكام القرآن: ٨: ٣٣٠ وفيه: لها أربعة آلاف باب.

(٢) في (هـ): لُؤْلُؤٌ.

(٣) المطففين: ١٥.

(٤) (الآية) سقطت من (ح).

(٥) الأنعام: ٣٠.

(٦) في (ش): عليك.

ويأتي لفظ «الحجاب»، فيما هو أبلغ من الرؤية، فيقال: فلان محجوب عن الإرث، إذا كان [هناك]^(١) مَنْ - لأجله - لا يستحق الإرث. وفلان محجوب عن ماله. أي: ممنوع من التوصل إليه.

وعلى هذا تؤول الآية، على أن الاستدلال بالآية، مبني على دليل الخطاب، وهو باطل.



(١) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

فصل [- ٥٠ -]

[في الرؤية]

قوله - تعالى -: ﴿ مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾^(١).

تَعَلَّقَهُمْ - بذلك - فاسِدٌ، لَأَنَّ التَّدْلِيَّ فِي أَوَّلِ^(٢) الْآيَةِ، إِنَّمَا هُوَ النُّزُولُ، لَا الصُّعُودُ. يُقَالُ: أَذْلَيْتُ الدَّلْوَ. وَتَدَلَّى الشَّيْءُ. وَتَدَلَّيْتُ مِنَ السَّطْحِ.

قَوْلُهُ: ﴿ وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً ﴾^(٣). أَي: نُزُولًا. لِيُعْلَمَ أَنَّ «تَدَلَّى»^(٤) بِمَعْنَى: النُّزُولِ^(٥). وَلَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، لَمْ يَصُحَّ قَوْلُهُ: ﴿ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾^(٦). وَالْأَوَّلُ لَيْسَ بِنَزْلَةٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾، يُوجِبُ أَنَّهُ رَأَاهُ مَرَّتَيْنِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مَذْهَبَهُمْ.

(١) النجم: ١١.

(٢) فِي (ل): الْأَوَّلُ.

(٣) النجم: ١٣.

(٤) النجم: ٨.

(٥) فِي (ح): نَزَلَ.

(٦) النجم: ١٣.

وقوله: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ﴾^(١)، ولو كان - كما زعموا - لقَالَ: رأى رَبَّهُ.

وقد فُسِّرَ الْمُخَالِفُونَ^(٢) قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾^(٣): أَنَّهُ فِي الدُّنْيَا. وعندنا: أَنَّهُ فِي الدُّنْيَا، وَالْعُقْبَى.

فعل قول الجميع، لا يجوز أن يراه أحد في الدنيا. فكيف يُفسَّرُ آيَةٌ^(٤) بما يُبطلُ هذه الآية. وَنَمَطُ الْآيَةِ يُبطلُ قَوْلَهُمْ، كما قال: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾^(٥). فَتَبَيَّنَ أَنَّهُ وَخِيٌّ. وَالْمُوجِي إِلَيْهِ، إِنَّمَا هُوَ جَبْرِيلُ. وَبَيَّنَّ أَنَّهُ ﴿شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ﴾ أَي: عَقْلٍ. ﴿فَاسْتَوَى﴾^(٦)، أَي: عَقْل. ﴿وَهُوَ بِالْأُفْقِ الْأَعْلَى﴾^(٧). يعني: بِالسَّمَاءِ الْعُلْيَا، ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَلَلَّى﴾^(٨).

أَي: نَزَلَ، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^(٩)، أَي: كَانَ جَبْرِيلُ مِنْ مُحَمَّدٍ عَلَى هَذَا الْمَقْدَارِ.

(١) النجم: ١٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٧: ٥٤ - ٥٥.

(٣) الأنعام: ١٠٣.

(٤) في (١): أَنَّهُ.

(٥) النجم: ٣.

(٦) النجم: ٦.

(٧) النجم: ٧.

(٨) النجم: ٨.

(٩) النجم: ٩.

﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾^(١). يعني: جبريلُ إلى النبيِّ - عليه السلام - .
 ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾^(٢). لم يكن - فيما رأى - شبهةً، يَرْتَابُ بِهَا، بل كَانَتْ
 رُؤْيَاً صحيحةً. وهذه^(٣) كُلُّهَا من صفاتِ الأجسامِ.
 ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَلَقَدْ رَأَىٰ نَزْلَةَ أُخْرَىٰ ﴾. يعني بها: ﴿ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴾^(٤).
 وَرَعَوْا أَنَّ السِّدْرَةَ فِي الْجَنَّةِ، فيجبُ أن يكون «رأه» في الجنة. [فتارةً
 يقولون: رآه على العرشِ وتارةً رآه في الجنة على أَنَّهُ لم يَقُلْ: في الجنة] ^(٥) ولكن^(٦)
 قَالَ: «عِنْدَهَا». ومعنى ذَلِكَ كقولِهِ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا ﴾^(٧).
 ثُمَّ قَالَ: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾^(٨). أي: لم يَزَعْ في رُؤْيِيهِ، ولم يَكُنْ فِيهِ
 غُحُطًا.
 ثُمَّ قَالَ: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾^(٩)، فَبَيَّنَ أَنَّهُ رَأَى «الْكُبْرَى»

(١) النجم: ١٠.

(٢) النجم: ١١.

(٣) في (هـ): هذا.

(٤) النجم: ١٤.

(٥) ما بين المعقوفين سقطت من (ش) و(ك) و(هـ) و(أ).

(٦) في (ج): لكنه.

(٧) النساء: ١٠.

(٨) النجم: ١٧.

(٩) النجم: ١٨.

مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَيْسَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَخِيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾
الآية^(١).

فَبَيَّنَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُكَلِّمَ أَحَدًا^(٢)، إِلَّا عَلَى هَذِهِ الْوُجُوهِ الثَّلَاثَةِ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ
يُكَلِّمَهُمْ مُحَاطَةً، وَمُشَافَهَةً.

[و] ^(٣) رَوَى التِّرْمِذِيُّ^(٤) فِي صَحِيحِهِ: قَالَ مَسْرُوقٌ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ،
فَقُلْتُ: هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ؟

فَقَالَتْ: لَقَدْ تَكَلَّمْتُ بِشَيْءٍ، فَقَفَّ^(٥) لَهُ شَعْرِي.

فَقُلْتُ: زُوَيْدًا، ثُمَّ قَرَأْتُ: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾.

فَقَالَتْ: أَيْنَ يَذْهَبُ بِكَ^(٦)؟ إِنَّمَا هُوَ جَبْرِيلُ. ثُمَّ قَالَتْ - بَعْدَ كَلَامٍ -: لَكِنَّهُ
رَأَى جَبْرِيلَ. لَمْ يَرَهُ فِي صُورَتِهِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُتَهَيِّ، وَمَرَّةً فِي

(١) الشورى: ٥١.

(٢) في (ش): أحد.

(٣) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش) و(ح).

(٤) لم نقف عليه في صحيح الترمذي بطبعاته المختلفة. وقد ورد في مصادر أخرى، أنظر: عيون
أخبار الرضا: ١: ٢٢٦ - ٢٢٧. مجمع البيان: ٥: ١٧٥. الأسماء والصفات: ٤٣٥.

(٥) قَفَّ الشَّعْرُ: قام من الغزع. «المعجم الوسيط» - قَفَّفَ.

(٦) في (أ): يذهبك.

أَجْيَادٍ^(١)، لَهُ سِتْمَاةٌ جَنَاحٍ، قَدْ سَدَّ الْأَفَقَ^(٢).

أَبُو ذَرٍّ: سَيْلٌ^(٣) رَسُولُ^(٤) اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ -: أَرَأَيْتَ رَبَّنَا؟

فَقَالَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: أَتُورُّ أَتَى^(٥) أَرَاهُ؟

ابْنُ عَبَّاسٍ^(٦): ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾. قَالَ: رَأَاهُ بِقَلْبِهِ.

وَرَوَى الْمُقْسِرُونَ - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٧)، وَابْنِ مَسْعُودٍ^(٨)، وَالْحَسَنِ^(٩)،

وَعَائِشَةَ^(١٠)، وَمَشْرُوقٍ^(١١) / ٥٤ / وَعَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، وَمَعْمَرٍ^(١٢)، وَهَشَامُ بْنُ

(١) في (أ): أَجْيَادُهُ.

(٢) في (أ): الْأَفَقَى.

(٣) في (هـ): سَأَلَ: بصيغة المبني للمعلوم.

(٤) صحيح مسلم: ١: ١١١ بلفظ: «نُورٌ أَتَى أَرَاهُ؟». صحيح الترمذي: ١٢: ١٧٢ بلفظ: «نُوراً أَتَى

أَرَاهُ؟». شرح الأصول الخمسة: ٢٦٩، بلفظ: «نُورٌ هُوَ أَتَى أَرَاهُ؟». الجامع لأحكام القرآن: ١٧:

٩٣، بلفظ: «نُورٌ أَتَى أَرَاهُ؟».

(٥) ورد في النسخ جميعها: «أَنُورُ أَنْ أَرَاهُ؟».

(٦) جامع البيان: ٢٧: ٤٨. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ١٧٤، ١٧٦. الدر المنثور: ٧: ٦٤٦. الجامع

لأحكام القرآن: ٧: ٥٦/١٧: ٩٢.

(٧) جامع البيان: ٢٧: ٤٨. الجامع لأحكام القرآن: ٧: ٥٥.

(٨) جامع البيان: ٢٧: ٤٦. الجامع لأحكام القرآن: ٧: ٥٥.

(٩) جامع البيان: ٢٧: ٤٤، ٤٧. الجامع لأحكام القرآن: ١٧: ٩٢.

(١٠) جامع البيان: ٢٧: ٤٦. الجامع لأحكام القرآن: ٧: ٥٥.

(١١) جامع البيان: ٢٧: ٤٦. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ١٧٥.

(١٢) جامع البيان: ٢٧: ٤٩.

عُرْوَةً - نحو مَا قُلْنَاهُ مِنَ الْوُجُوهِ.

قال الجُبَّائِي^(١) - في قوله: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْغُلَامَةَ أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾^(٢) :-
الْكُفَّارُ مُجَسَّمَةٌ، فَلِلَّذَلِكَ جَوَزُوا الرُّؤْيَا عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ الْيَهُودُ، حَيْثُ قَالَتْ: ﴿لَنْ
نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾^(٣).

وقد تكونُ الرُّؤْيَا فِي النَّوْمِ، وَالرُّؤْيَا بِالْقَلْبِ، فإِذَا قَالَ: «جَهْرَةً»، لَمْ تَكُنْ
إِلَّا رُؤْيَا الْعَيْنِ عَلَى التَّحْقِيقِ.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ
جَهْرَةً﴾^(٤).

استدلَّ الْبَلَخِي بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ الرُّؤْيَا لَا تَجُوزُ^(٥) عَلَى اللَّهِ - تَعَالَى -
لَا أَنَّهُا^(٦) إِنْكَارٌ تَضَمَّنَ أَمْرَيْنِ:

(١) مجمع البيان: ٤: ١٦٦.

(٢) الفرقان: ٢١.

(٣) البقرة: ٥٥.

(٤) البقرة: ٥٥.

(٥) في (أ): يجوز. بياض المضارعة المثناة من تحت.

(٦) في (ك) و(ح): لائئة.

رَدَّهُمْ عَلَى نَبِيِّهِمْ. وَتَجْوِزَهُمُ الرُّؤْيَا عَلَى رَبِّهِمْ.

وَيُبَيِّنُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾^(١)، فدلَّ ذلك على
أنَّ المراد، إنكار الأمرين.



فصل [- ٥١ -]

[في التوحيد]

قوله - تعالى - : ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١).

أي: تعلمون أنَّ الأنداد، التي تعبدونها مِنَ الأصنام، وغيرها، لا تُضرُّ، ولا تنفعُ، ولا تسمعُ، ولا تبصرُ.

والمشركون لا يعتقدون أنَّ الأصنام، خَلَقَتِ السَّماءُ^(٢)، والأَرْضُ مِنْ دُونِ الله. فالوصفُ هُنا - هاهنا - بالعلم، إِنَّمَا هُوَ لتأكيدِ الحُجَّةِ عليهم، ليكونوا أَضيقَ عُذراً.

ويقال: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. أي: تَعْقِلُونَ أَنَّ مَنْ كان بهذه الصِّفَةِ، فقد استوفى شُرُوطَ التَّكْلِيفِ، وَصَاقَ عُذْرُهُ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ النَّظَرِ، وإصابةِ الحَقِّ، كما قال: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٣).

(١) البقرة: ٢٢.

(٢) في (ج): السموات.

(٣) الزَّعْد: ١٩.

وقال مجاهد^(١): المراد - بذلك - اليهود، والنصارى خاصة. ومعنى ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أي: إنكم تعلمون في التوراة والإنجيل أنه إله واحد.

شريح^(٢) بن هاني: إن أعزايًا، قام يوم الحَمَلِ إلى أمير المؤمنين - عليه السلام - فسأله عن التوحيد، فقال الناس: أما تراه في تقسيم القلب؟ فقال - عليه السلام -: دَعُوهُ، فَإِنَّ الَّذِي يُرِيدُ الْأَعْرَابِيُّ، هُوَ الَّذِي تُرِيدُهُ مِنَ الْقَوْمِ. ثُمَّ قَالَ:

يا أعزاي، إِنَّ الْكَلَامَ فِي: أَنَّ اللَّهَ - تعالى - واحدٌ، على أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: فَوَجْهَانِ مِنْهَا، لَا يَجُوزَانِ عَلَى اللَّهِ - تعالى -.. وَوَجْهَانِ يَنْبُتَانِ فِيهِ. فَأَمَّا اللَّذَانِ، لَا يَجُوزَانِ عَلَيْهِ:

فَقَوْلُ الْقَائِلِ: وَاحِدٌ. يَقْصُدُ بِهِ بَابَ الْأَعْدَادِ، فَهَذَا مَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ، لِأَنَّ مَا لَا ثَانِي لَهُ، لَا يَدْخُلُ فِي بَابِ الْأَعْدَادِ. أَمَا تَرَى أَنَّهُ كَفَرَ مَنْ قَالَ: ﴿ثَالِثٌ ثَلَاثَةٌ؟﴾ وَقَوْلُ الْقَائِلِ: هُوَ وَاحِدٌ^(٣) مِنَ النَّاسِ. يُرِيدُ بِهِ النَّوعَ مِنَ الْجِنْسِ. فَهَذَا مَا لَا يَجُوزُ، لِأَنَّهُ تَشْبِيهٌ. وَجَلَّ رَبُّنَا عَنْ ذَلِكَ. وَأَمَّا الْوَجْهَانِ اللَّذَانِ يَنْبُتَانِ فِيهِ: فَقَوْلُ الْقَائِلِ: هُوَ وَاحِدٌ، لَيْسَ لَهُ فِي الْأَشْيَاءِ شِبْهَةٌ. كَذَلِكَ رَبُّنَا.

(١) جامع البيان: ١: ٦٤. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٦٠. الدر المنثور: ١: ٨٨-٨٩.

(٢) التوحيد: ٨٣-٨٤. معاني الأخبار: ٥-٦.

(٣) في (١): أَوَّحِد.

وقول القائل: إِنَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - أَحَدِي الْمَعْنَى. يَعْنِي بِهِ: أَنَّهُ لَا يَنْقَسِمُ فِي
وُجُودٍ، وَلَا عَقْلٍ، وَلَا وَهْمٍ، كَذَلِكَ رَبُّنَا.

وقال مُتَكَلِّمٌ: قَوْلُنَا: إِنَّهُ وَاحِدٌ، عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ:

الْأَوَّلُ: وَاحِدٌ، لَيْسَ بِذِي أَتْعَاضٍ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْإِنْقِسَامُ.

وَالثَّانِي: وَاحِدٌ فِي اسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ.

وَالثَّالِثُ: وَاحِدٌ، لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ.

وَالرَّابِعُ: فِي الصِّفَاتِ النَّفْسِيَّةِ.

وقال أمير المؤمنين^(١) - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: وَكُلُّ مَعْدُودٍ بِنَفْسِهِ مَخْلُوقٌ، وَكُلُّ
قَائِمٍ بِسِوَاهُ، مَعْلُوقٌ.



قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾^(٢).

أَي: الْمُتَفَرِّدُ بِالتَّذْبِيرِ، فِي السَّمَاوَاتِ، وَفِي الْأَرْضِ، لَا أَنْ حَلَّ^(٣) فِيهِمَا، أَوْ فِي
شَيْءٍ مِنْهُمَا، لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: هُوَ زَيْدٌ فِي الْبَيْتِ، وَالدَّارِ. إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي

(١) نهج البلاغة، بشرح محمد عبده: ٢: ١١٩، وفيه: «كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَخْلُوقٌ».

(٢) الأنعام: ٣.

(٣) فِي (هـ) وَ(أ): أَحَلَّ.

الكلام ما يدلُّ على المراد به التدبير، كَقَوْلِ الْقَائِلِ: فلانُ الحليفةُ في الشَّرْقِ^(١)، والغَرْبِ. لأنَّ المعنى - في ذلك - أَنَّهُ المَدْبَرُ فيها.

ويجوزُ أَنْ يكونَ خَبَرًا بعدَ خَيْرٍ، كَأَنَّهُ قَالَ: هُوَ اللهُ، وَهُوَ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ.

وقال أبو علي^(٢): إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَهُوَ اللهُ﴾، قد تَمَّ^(٣) الكلامُ، وقَوْلُهُ: ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾، مُتَعَلِّقٌ بقَوْلِهِ: ﴿يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾^(٤) في السَّمَوَاتِ، وَفِي الْأَرْضِ. لأنَّ الخَلْقَ إِنَّمَا يكونونَ ملائكةً، فهمُ فِي السَّمَاءِ، أو الْإِنْسَ^(٥)، وَالْجِنَّ، فهمُ فِي الْأَرْضِ. فهو^(٦) - تعالى^(٧) - عالمٌ بِجَمِيعِ ذَلِكَ، لَا تَخْفَى^(٨) عَلَيْهِ خَافِيَةٌ. وَيَقْوِيهِ^(٩) قَوْلُهُ: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُكْسِبُونَ﴾^(١٠).

(١) في (أ): المشرق.

(٢) هو أبو علي الطوسي: مجمع البيان: ٢: ٢٧٣.

(٣) في (ش): قد بيم.

(٤) الأنعام: ٣.

(٥) في (ح): أو إنسا أو جنّا.

(٦) (فهو) ساقطة من (أ). وفي (ح): وهو. مع الواو.

(٧) في (أ): وتعالى.

(٨) في (ش) و(ك): يخفى. ببناء المضارعة المثناة من تحت.

(٩) في (ك): تقويه. ببناء المضارعة المثناة من فوق.

(١٠) الأنعام: ٣.

وقال هشام بن الحكم للمؤيد^(١): أهما^(٢) في القوة سواء؟ قال: نعم. قال:
فجوهرهما واحد؟

قال المؤيد - لنفسه^(٣): - إن قلت: إن جوهرهما، واحد، عادَ إلى نعتٍ واحد،
وإن قلت: مختلف^(٤)، اختلفا / ٥٥ / - أيضاً - في الهم، والإرادات، ولم يتفقا في
الخلق؟

فقال هشام: كيف لا تُسلم؟

قال: هيهات.

وقال أبو الهذيل^(٥) لصالِح بن عبد القدوس: على أي شيء تعزم
يا صالح؟

قال: استخيرُ الله، وأقول بالاثنتين!

قال: فأيهما استخرت، لا أم لك؟

شاعر^(٦):

(١) في (أ) و(ح): المؤيد. بالبدال المهملة.

(٢) العبارة: «أهما... المؤيد» ساقطة من (أ).

(٣) في (ح): بنفسه. مع حرف الجر (الباء).

(٤) في (أ): مخلف.

(٥) فرق وطبقات المعتزلة: ٥٧ - ٥٨. أمالي المرتضى: ١: ١٤٤.

(٦) في (هـ): شعر.

لَوْ كَانَ لِلْخَيْرِ سِوَاهُ رَبٍّ تَبَيَّنَتِ الْمَلِكُ وَجَاءَ الْحَرْبُ
لَوْ كَانَ فِي الْخَلْقِ لَهُ نَظِيرٌ لَقِيلَ هَذَا عَاجِزٌ حَقِيرٌ^(١)

قَوْلُهُ - مُبَيَّنَاتُهُ -: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾^(٢). قَالَ
الدَّيْصَانِيُّ^(٣) هُشَامُ بْنُ الْحَكَمِ: إِنَّ فِي الْقُرْآنِ - هَذِهِ الْآيَةُ - قُوَّةٌ لَنَا. فَكُتِبَ هُشَامُ إِلَى
الصَّادِقِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَجَابَهُ: -

قُلْ^(٤) لَهُ: مَا اسْمُكَ فِي الْكُوفَةِ؟ فَإِنَّهُ^(٥) يَقُولُ: فَلَانٌ. فَقُلْ: مَا اسْمُكَ
بِالْبَصْرَةِ؟ فَإِنَّهُ يَقُولُ: فَلَانٌ. فَقُلْ لَهُ: كَذَلِكَ رَبُّنَا: ﴿فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ
إِلَهٌ، وَفِي الْبَحَارِ إِلَهٌ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ، إِلَهٌ.

قَالَ: فَآتَيْتُهُ^(٦)، فَأَخْبَرْتُهُ^(٧)، فَقَالَ: هَذَا نُقِلَ مِنَ الْحِجَازِ.

الْفَضْلُ^(٨) بَنَ شَاذَانَ: قَالَ تَنْوِيٍّ لِلرُّضَا - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: إِنِّي أَقُولُ: إِنَّ

(١) لم نقف على قائله ولا مورد أخذه.

(٢) الزخرف: ٨٤.

(٣) الكافي: ١: ١٢٨ - ١٢٩. التوحيد: ١٣٣.

(٤) (قل) ساقطة من (أ).

(٥) في (ح): فسيقول.

(٦) في (ك): فانتبه.

(٧) في (ك) و(هـ): وأخبرته: مع (واو) العطف.

(٨) التوحيد: ٢٧.

صَانَعِ الْعَالَمِ، إِثْنَانٍ، فَمَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ؟

فَقَالَ - عَلَيْهِ السَّلَام - ^(١): قَوْلُكَ إِثْنَانٍ، دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ، لِأَنَّكَ لَمْ تَدَّعِ الثَّانِي إِلَّا بَعْدَ إِثْبَاتِكَ الْوَاحِدِ، فَالْوَاحِدُ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ مُخْتَلَفٌ فِيهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ ^(٢).

دُخُولُ «مِنْ» فِيهِ، يَدُلُّ عَلَى عَمُومِ النَّفْيِ لِكُلِّ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ. وَلَوْ قَالَ: مَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ. لَمْ يُغْزِ ذَلِكَ. وَإِنَّمَا أَفَادَتْ «مِنْ» هَذَا الْمَعْنَى، لِأَنَّ أَصْلَهَا لابتداءٍ ^(٣) الغاية. فَدَلَّتْ عَلَى اسْتِغْرَاقِ النَّفْيِ لابتداءٍ الغاية إِلَى انْتِهَائِهَا.

وَقَالَ ثَنَوِي ^(٤) لَهُشَامُ بْنُ الْحَكَمِ: أَنَا أَقُولُ بِالِاثْنَيْنِ.

فَقَالَ: - حَفِظَكَ اللَّهُ - يَقْدَرُ أَحَدُهُمَا يَفْعَلُ شَيْئاً، لَا يَسْتَعِينُ بِصَاحِبِهِ عَلَيْهِ؟
قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَمَا تَرْجُو مِنْ اثْنَيْنِ: وَاحِدٌ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ؟ أَبُو الْخَيْرِ ^(٥) فَاذْ شَاه:

(١) (عليه السلام) سقطت من (ح).

(٢) ص: ٦٥.

(٣) في (ش): الابتداء. من دون حرف الجر (اللام). وفي (ح): الابتداء في الغاية.

(٤) العقد الفريد: ٢: ١٩٧.

(٥) في (ش) و(ح): أَبُو الْحَسَنِ فَاذْ شَاه. وفي (ح) - أَيْضاً -: فَازْ شَاه بِالزَّايِ الْمُعْجَمَةِ.

تَبَارَكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْفَرْدُ مِنْ أَنْ يُرَى ضِدُّ^(١) لَهُ أَوْ نَدُّ^(٢)

قوله - سبحانه -: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٣).

معناه: ليس مثله شيء على وجه من الوجوه. وتكون «الكاف» زيادة.

تقديره: ليس مثل الله، شيء من الموجودات، والمعلومات. قَالَ أَوْسُ^(٤):

وَقَتْلِي كَمِثْلِي جَدْوَعِ النَّخِيلِ يَفْشَاهُمْ سَبِيلُ مُنْهَمَرٍ^(٥)

وقال المرتضى^(٦): «الكاف»، ليست زائدة، وإنما نفى أَنْ يَكُونَ لِمِثْلِهِ مِثْلٌ،

فإذا ثبت ذلك، عُلِمَ أَنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ لَهُ مِثْلٌ، لَكَانَ لَهُ أَمْثَالٌ، وَكَانَ^(٧)

لِمِثْلِهِ مِثْلٌ، لِأَنَّ الْمَوْجُودَاتِ عَلَى ضَرَبَيْنِ: مَا لَا مِثْلَ لَهُ كَالْقَدَرَةِ. وَمَا لَهُ مِثْلٌ

كَالسَّوَادِ، وَالْبَيَاضِ، وَأَكْثَرِ الْأَجْنَاسِ، فَلَهُ - أَيْضاً - أَمْثَالٌ. وَلَيْسَ فِي الْمَوْجُودَاتِ

مَا لَهُ مِثْلٌ وَاحِدٌ فَحَسْبُ، فَعُلِمَ أَنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ أَصلاً مِنْ حَيْثُ لَا مِثْلَ لِمِثْلِهِ.

(١) فِي (ح): نَدُّ لَهُ أَوْ ضِدُّ.

(٢) لَمْ تَقَفْ عَلَى مَوْرَدِ أَخْذِهِ.

(٣) الشُّورَى: ١١.

(٤) دِيوَانِ أَوْسِ بْنِ حَجْرٍ: ٣٠.

(٥) فِي (ش): مِنْهُمْ. وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٦) التَّبْيَانُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ: ٩: ١٤٧.

(٧) الْعِبَارَةُ: «وَكَانَ... مِثْلٌ» سَاقِطَةٌ مِنْ (أ).

ويقال: أي: ليس كهو^(١) شيء. فأدخل السَّوْءَ توكيداً، كقوله: ﴿مَثَلُ
الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾^(٢). أي: مثل الجنة. لقوله: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ﴾^(٣).
وقالوا: «الكاف» زيادةً معنى وذلك أَنَّ التَّشْبِيهَ يَقَعُ بـ «مِثْل» وبـ «الكاف». فأراد الله - تعالى - أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّهُ مَنْزَعٌ عَنِ التَّشْبِيهِ أَنَّهُ كشيء، أو مثل شيء.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ
إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٤).

معنى ذلك: أَنَّهُ لَوْ صَحَّ إِلهَانِ، أَوْ آلِهَةٌ، لَصَحَّ - بينهما - التَّنَاعُ، فَكَانَ يُؤَدِّي
ذَلِكَ إِذَا أَرَادَ أَحَدُهُمَا فِعْلاً، وَأَرَادَ الْآخَرُ ضِدَّهُ، إِمَّا أَنْ يَقَعَ مَرَادُهُمَا، فَيُؤَدِّي إِلَى
اجْتِمَاعِ الضَّدَيْنِ، أَوْ لَا يَقَعَ مَرَادُهُمَا، فَيَنْتَقِضُ كَوْنُهُمَا قَادِرِينَ. أَوْ يَقَعَ مَرَادُ
أَحَدِهِمَا، فَيُؤَدِّي إِلَى كَوْنِ الْآخَرِ غَيْرَ قَادِرٍ. وَكُلُّ ذَلِكَ فَاسِدٌ.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٥).

(١) في (ش) و (أ): هو. مع اللام. وفي (ك) و (ح): له. وفي (هـ): هو.

(٢) محمد: ١٥.

(٣) عميد: ١٥.

(٤) الأنبياء: ٢١، ٢٢.

(٥) الإخلاص: ١.

سأل أبو هاشم^(١) الجعفريُّ أبا جعفرٍ الثَّاني - عليه السلام - عن معنى «الأحد»؟

قال: المُجْمَعُ عليه بالوحدانية، أما سمعته يقول: ﴿وَلَشِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٢)، ثم يقولون - بعد ذلك - له شريكٌ وصاحبةٌ؟

أبو الطفيل^(٣) الكِنَافِيُّ: سألتُ رسولَ الله - صَلَّى الله عليه وآله - عن أدنى التَّوْحِيدِ.

فقال - عليه السلام -: إِنَّ اللهَ لَا يُشَبِّهُ شَيْئاً، وَلَا يُشَبِّهُهُ شَيْءٌ، وَكُلُّ مَا وَقَعَ فِي الرُّوْهِمِ، فَهُوَ بِخِلَافِهِ.

ابن مسعود: سألتُهُ - عليه السلام - عَنِ التَّوْحِيدِ، فقال:
[التَّوْحِيدُ]^(٤) ظَاهِرُهُ فِي بَاطِنِهِ، وَبَاطِنُهُ فِي ظَاهِرِهِ. فَظَاهِرُهُ مَوْصُوفٌ لَا يُرَى، وَبَاطِنُهُ مَوْجُودٌ لَا يَخْفَى. لَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ. ظَاهِرٌ غَيْرٌ مَحْدُودٍ، وَبَاطِنٌ غَيْرٌ مَفْقُودٍ.

(١) الكافي: ١: ١١٨. التوحيد: ٨٣. معاني الأخبار: ٥ وفيه باختلاف يسير في اللفظ. الاحتجاج:

٢٣٨: ٢. وأبو جعفر الثاني هو الإمام محمد الجواد (عليه السلام).

(٢) لقمان: ٢٥، الزمر: ٣٨.

(٣) الكافي: ١: ٨٢. التوحيد: ٨٠. وفيه: عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام). الإرشاد: ٣١٧

وفيه أيضاً: عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام). وكذا في كنز الفوائد: ١٩٩.

(٤) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش).

وَسُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ^(١) - عَلَيْهِ السَّلَام - عَنْهُ؛ فَقَالَ: التَّوْحِيدُ أَلَّا تَتَوَهَّمَهُ،
وَالْعَدْلُ أَلَّا تَنْهَمَهُ.

وَسُئِلَ الصَّادِقُ^(٢) - عَلَيْهِ السَّلَام - عَنْهُ؛ فَقَالَ^(٣): هُوَ / ٥٦ / أَلَّا تُجَوِّزَ^(٤)
عَلَى رَبِّكَ، مَا جَازَ عَلَيْكَ، وَالْعَدْلُ أَلَّا تَنْسِبَ إِلَى خَالِقِكَ مَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ.

وَسُئِلَ الصَّادِقُ^(٥) - عَلَيْهِ السَّلَام - عَنْهُ؛ فَقَالَ: كُلُّ مَا أَحَاطَ بِهِ وَهْمُكَ،
وَجَذَبَهُ تَفَكُّرُكَ، أَوْ أَصَبَتْهُ بِالْحَوَاسِ، فَاللهُ - جَلَّ جَلَالُهُ - بِخِلَافِ ذَلِكَ.



(١) نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ٤: ١٠٨.

(٢) التوحيد: ٩٦. معاني الأخبار: ١١.

(٣) (فقال) ساقطة من (ك) و(هـ) و(أ).

(٤) في (أ): يجوز. ياء المضارعة المثناة من تحت.

(٥) أمالي الصدوق: ٣٦٩.

فصل [-٥٢-]

[في التوحيد]

قوله - تعالى -: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾^(١).

قولهم: إنَّ اللهَ واحدٌ ثلاثة، أشياءٌ مناقضة، لأنَّ الواحدَ ما^(٢)، لا بعضَ له، وثلاثة، ما له بعض. فكأنَّهم قالوا: لا بعضَ له، وله بعض. ويُنزَّلُ منزلةَ قولِ القائل في الشيء الواحد: إنَّه موجودٌ، معدومٌ، قديمٌ، محدثٌ.

وكلُّ ما سِوى الله، فهو غيرٌ واحدٍ، لأنَّه إمَّا أن يكونَ بالصفة، والتركيب، كالعديد، والجمع. أو بالصفة، والصُّورة كالجوهر، والعَرَض^(٣)، [أو بالتولُّد، كالأصل، والفرع، أو بالمكان. كالعَرَضِ، والطُّول]^(٤)، أو بالوهم^(٥) كالعقل، والنَّفْسِ، أو بالاعتدال، كالطَّبع، والموت، أو في مقابلة شيء، كالجَنَلِ، والشَّبهِ،

(١) المائدة: ٧٣.

(٢) في (ش) و(ك) و(ل) و(ح): مَنَّا.

(٣) في (ح): الغرض. بالغين المعجمة.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٥) في (ش). بالهم.

أو بالعنصر^(١) كالهيوئى، والعنصر، أو بالعدد كالمكان، أو بالمُدَد كالزَّمان، أو بالحدِّ، كالصُّورة، أو لقبولِ شيءٍ كالحاصِيَّة، أو للوهم كالمشكوك، أو للوجود، والعدم، كالضُّدِّ، أو^(٢) للوقف.

والواحد - على الحقيقة - هو الله - تعالى - وكلُّ مخلوق بنفسه، إنسان: جسمٌ، وروحٌ. ومن اثنين: من ذكرٍ، وأنثى. وباتنين: بالطَّعام، والشراب. وفي اثنين: في اللَّيْلِ، والنَّهار. وبين اثنين: بين السَّماء، والأرض. [و]^(٣) مع اثنين: مع الشَّمس، والقمر.

ولا تخلو من اثنين: [من]^(٤) الحركة، والسُّكون. وكذلك: مِنَ الغنى، والفقر، والصَّحَّة، والمرضى، والنُّور، والظُّلْمَة، والبرِّ، والبحر.

والله - تعالى - واحدٌ وحدانيٌّ، ليس معه ثاني^(٥).

ومرَّ الحسنُ بن عليٍّ - عليهما السَّلامُ - على قاضٍ، يقول: سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي!

(١) في (ش) و(ك): بالعنصر.

(٢) في (ش) و(ك) و(ح): وللوقف. مع الواو.

(٣) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش).

(٤) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش) و(أ).

(٥) في (ح): ثاني. بتوين الموضع.

[فقال] ^(١): دَعَوَى ^(٢) لَأُنْبِئَهُ! ثُمَّ قَالَ لَهُ: شَعَرَاتُ رَأْسِكَ شَفَعٌ، أَمْ وَتَرٌ؟

فَتَحَيَّرَ الرَّجُلُ. فَسُئِلَ الْحَسَنُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: شَفَعٌ.

لِقَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ ^(٣). وَالتَّرُّ ^(٤): هُوَ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...﴾ آيَةُ ^(٥) الْكَرْسِيِّ، رَدُّ

عَلَى جَمِيعِ الْكُفْرِ.

فَإِنَّ اللَّهَ، رَدُّ عَلَى الذَّهَرِيَّةِ ^(٦)، لِأَنَّ فِيهِ إِثْبَاتًا ^(٧)، وَإِنَّهُمْ قَالُوا بِالنَّفْيِ أَصْلًا.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ^(٨): رَدُّ عَلَى التَّنَوِّيَّةِ ^(٩)، لِأَنَّهُمْ قَالُوا: اللَّهُ خَالِقُ الْخَيْرِ،

وَابْلِيسُ خَالِقُ الشَّرِّ، وَهُوَ شَرِيكُ اللَّهِ.

(١) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش) و(ك) و(أ).

(٢) في (ح): دَعَوَى.

(٣) الذَّارِيَات: ٤٩.

(٤) في (ش) و(ك) و(أ): الْفَرْدُ.

(٥) البقرة: ٢٥٥.

(٦) الملل والنحل: ٢: ١٢٢٩.

(٧) في (ش) و(ك) و(أ): إِثْبَات. من دون تنوين النصب.

(٨) البقرة: ٢٥٥.

(٩) الملل والنحل: ٦٢٤.

﴿الْحَيُّ﴾^(١)، ردُّ على من عبدَ صنماً، أو وثناً.

﴿الْقَيُّومُ﴾^(٢)، ردُّ على أصحابِ الطبائع، حيثُ قالوا بالكُفُومِ والظُّهُورِ.

﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾^(٣)، ردُّ على من قالَ بالهَيْبَةِ عُزَيْرٍ، وعيسى. وردُّ

على جهم، فإنه قال: إِنَّهُ عالمٌ بعلمِ مُحَدَّثٍ، فيجوزُ عليه السَّهْوُ.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٤)، ردُّ على الْمُفَوَّضَةِ^(٥) أَنَّهُ خَلَقَ

العالمَ، وفَوَّضَ أمرَهُ إلى شخصٍ مُحَدَّثٍ. وعلى من قالَ ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾^(٦).

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ﴾^(٧)، ردُّ على مَنْ نَفَى الشَّفَاعَةَ.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾^(٨)، ردُّ على الجَهْرِيَّةِ^(٩)، حيثُ قالوا:

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

(٣) البقرة: ٢٥٥.

(٤) البقرة: ٢٥٥.

(٥) الملل والنحل: ١: ١٣٥-١٣٦.

(٦) آل عمران: ١٨١.

(٧) البقرة: ٢٥٥.

(٨) البقرة: ٢٥٥.

(٩) الملل والنحل: ١: ١٤٢.

إِنَّهُ ^(١)عَالِمٌ بِعِلْمِهِ، وَقَادِرٌ بِقُدْرَتِهِ.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ ^(٢): رَدُّ عَلَى الْكَهَنَةِ، وَالْمَنْجُمِينَ،

فِيهَا يَعْتَقِدُونَهُ فِي الْكَوَاكِبِ.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ^(٣): رَدُّ عَلَى الْفَلَاسِفَةِ حَيْثُ قَالُوا:

الْعَالَمُ ^(٤)، أَرْضٌ، وَأَفْلَاكٌ فَقَطْ.

﴿وَلَا يُؤَدُّهُ حِفْظُهُمَا﴾ ^(٥): رَدُّ عَلَى الْيَهُودِ فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّ اللَّهَ أَعْيَا بِخَلْقِ أَوْلِيهِمْ،

فَاسْتَرَاحَ يَوْمَ السَّبْتِ.

﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ^(٦): رَدُّ عَلَى الثَّنَوِيَّةِ، لِثُبُوتِ التَّوْحِيدِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ ^(٧)، فَيَكُونُ

مَرْبُوبًا. ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ ^(٨)، فَيَكُونُ عَاجِزًا، مُحْتَاجًا إِلَى غَيْرِهِ.

(١) فِي (ك): إِنَّ اللَّهَ.

(٢) الْبَقَرَةُ: ٢٥٥.

(٣) الْبَقَرَةُ: ٢٥٥.

(٤) فِي (أ): الْعِلْمُ.

(٥) الْبَقَرَةُ: ٢٥٥.

(٦) الْبَقَرَةُ: ٢٥٥.

(٧) الْإِسْرَاءُ: ١١١.

(٨) الْإِسْرَاءُ: ١١١.

لُيعِينُهُ^(١). ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلَّةِ﴾^(٢) أي: لم يكن له حليف، حالفه، لينصره على من يُنَاوِئُهُ، لأن ذلك صفة ضعيف^(٣) عاجز.

وهذه الآية، ردّ على اليهود، والنصارى، حيث قالوا: اِتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا. وَعَلَى مُشْرِكِي الْعَرَبِ، حَيْثُ قَالُوا: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا^(٤) شَرِيكَ لَكَ إِلَّا شَرِيكَ هُوَ لَكَ تَمْلِكُهُ، وَمَا مَلَكَ. وَعَلَى الصَّائِبِينَ وَالْمَجُوسِ، حَيْثُ قَالُوا: لَوْلَا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ، لَذَلَّ اللَّهُ - تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا -.

و«الحمد» في الآية، لَيْسَ هُوَ عَلَى أَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا حَمْدٌ عَلَى أَعْمَالِهِ الْمَحْمُودَةِ، وَوُجَّهَ إِلَى مِنْ هَذِهِ صِفَتُهُ^(٥)، لَا مِنْ أَجْلِ أَنْ ذَلِكَ صِفَتُهُ، كَمَا تَقُولُ: أَنَا أَشْكُرُ فُلَانًا الطَّوِيلَ / ٥٧ / الْجَمِيلَ. لَيْسَ إِنَّكَ تَشْكُرُهُ عَلَى جَمَالِهِ، وَطَوْلِهِ، بَلْ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فَعْلِهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(٦)، وقوله: ﴿قُلْ

(١) في (هـ) و(أ): يعينه. من دون (لام) التعليل.

(٢) الإسراء: ١١١.

(٣) في (ش): ضعف.

(٤) في (أ): ولا. مع الواو.

(٥) في (أ): صفة. من دون إضافته إلى الضمير (الهاء).

(٦) الأعراف: ١٨٠.

ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿١﴾.

إنَّما أمرُهُ بِذَلِكَ، لِأَنَّ مُشْرِكِي قَوْمِهِ، لَمَّا سَمِعُوا النَّبِيَّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَدْعُو رَبَّهُ - تَارَةً - بِأَنَّهُ اللَّهُ، وَتَارَةً بِأَنَّهُ الرَّحْمَنُ، ظَنُّوا أَنَّ^(١) [لَهُ]^(٢) إِهْلِينَ. حَتَّى قَالَ بَعْضُهُم: الرَّحْمَنُ، رَجُلٌ بِالْيَمَامَةِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ، إِحْتِجَاجاً لِنَبِيِّهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِذَلِكَ، وَأَنَّهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَإِنْ اِخْتَلَفَتْ أَسْمَاؤُهُ، وَصِفَاتُهُ.

وَقَالَ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ لَابْنِ عَبَّاسٍ: تُفْتِي فِي النَّمْلَةِ، وَالْقَمَلَةِ. صِفْ لَنَا إِهْلَكَ الَّذِي تَعْبُدُهُ.

فَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ -^(٣): يَا نَافِعُ. مَنْ وَضَعَ دِينَهُ عَلَى الْقِيَاسِ، لَمْ يَزَلْ - الدَّهْرَ - فِي الْارْتِمَاسِ، مَائِلاً عَنِ الْمُنْهَاجِ، ظَاعِناً^(٤) فِي الْاِعْوِجَاجِ، ضَالّاً عَنِ السَّبِيلِ، قَائِلاً غَيْرَ الْجَمِيلِ.

يَا ابْنَ الْأَزْرَقِ. أَصِفْ إِلَهِي بِمَا وَصَفَ [بِهِ]^(٥) نَفْسُهُ، وَاعْرِفْهُ بِمَا عَرَفَ بِهِ^(٦)

(١) الإسراء: ١١٠.

(٢) فِي (ش) وَ (ك) وَ (ل): أَنَّهُ.

(٣) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَتَيْنِ زِيَادَةٌ مِنْ (هـ). وَبِهَا يَسْتَقِيمُ الْكَلَامُ مَعْنَى وَإِعْرَاباً.

(٤) (السَّلام) سَاقِطَةٌ مِنْ (هـ).

(٥) فِي (ح): طَائِغِيّاً.

(٦) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَتَيْنِ زِيَادَةٌ مِنْ (ح).

(٧) فِي (ك) وَ (ح): بِهِ هُوَ.

نفسه. لا يدرك بالحواس، ولا يُقاس بالناس، فهو قريب غير ملتصق، وبعيد غير منفصل، يوحد، ولا يبعث. معروف بالآيات، موصوف بالعلامات. لا إله إلا هو الكبير المتعال^(١).



(١) التوحيد: ٨٠ عن الحسين بن علي (عليه السلام).

فصل [٥٣]

[في التوحيد]

قوله - تعالى ^(١) :- ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ ^(٢) ۚ

الْمَعْنِيُّونَ ^(٣) - بذلك - طائفتان :

أحدهما : كفارُ العرب ، فإِنَّهُمْ قالوا : الملائكةُ بناتُ الله .

والأخرى : النَّصارى ، الَّذِينَ قالوا : ﴿ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ^(٤) ۚ

فَكَذَّبَ الْفَرِيقَيْنِ ، فَقَالَ فِي الْعَرَبِ : ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَّبُّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمْ

الْبَنُونَ ... ۚ ۝ الْآيَاتُ ^(٥) ۚ

وقال قتادة ^(٦) ، والسُّدِّيُّ ^(٧) : كانت قريشُ تقولُ : الملائكةُ بناتُ الله ، فنزلتِ

(١) في (ج) : سبحانه .

(٢) يونس : ٦٨ .

(٣) في (ش) : المعنوي .

(٤) التوبة : ٣٠ .

(٥) الآيات : ١٤٩ - ١٥٣ من سورة الصافات .

(٦) جامع البيان : ٢٣ : ١٠٦ . الدر المنثور : ٧ : ١٣٣ .

(٧) جامع البيان : ٢٣ : ١٠٦ .

الآية على وجه التقرير: أن يقول: كيف يكونُ لربِّكَ البناتُ - يا مُحَمَّدُ - ولهم البنونَ معَ قوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾^(١)، وقوله: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾^(٢)؟ ومنِ اصْطَفَى الْأَدُونَ عَلَى الْأَفْضَلِ - معَ القدرة - كَانَ نَاقِصًا. وَمِنْ أَيْنَ عَلِمُوا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ إِنَاثٌ؟ أَشْهَدُوا خَلَقَ اللَّهُ لَهُمْ، فَرَأَوْهُمْ إِنَاثًا؟

إِلَّا أَنَّهُمْ - مِنْ إِنْكَيهِمْ - لَيَقُولُونَ: وَلَدُ اللَّهِ. إِنَّمَا يَتَّخِذُ الْوَلَدَ، مَنْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَدْ وَلَدَ. وَذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ. وَلِذَلِكَ اسْتَهْزَى بِمَنْ قَالَ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ، فَقِيلَ: مَنْ أُمَّهُنَّ؟ وَأَمَّا جَوَابُ النَّصَارَى، فَقَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ^(٣).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾^(٤).

لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ - تعالى -^(٥) التَّبَنِّي، لِأَنَّ التَّبَنِّيَّ، إِقَامَةُ الْمُتَّخِذِ لِوَلَدٍ غَيْرِهِ، مَقَامَ

(١) النحل: ٥٨.

(٢) الصافات: ١٥٣.

(٣) انظر الفصل الرابع من الباب الأول بترقيمتنا.

(٤) الأنبياء: ٢٦.

(٥) (تعالى) سقطت من (ح).

ولديه، لو كَانَ لَهُ.

فإذا استحَالَ أَنْ يَكُونَ لَهُ - تعالى - وَلَدٌ^(١) عَلَى الْحَقِيقَةِ، إِسْتِحَالٌ أَنْ يَقُومَ وَلَدٌ^(٢) غَيْرُهُ، مَقَامَ وَلَدِهِ.

فَلِذَلِكَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُشَبَّهَ بِخَلْقِهِ عَلَى وَجْهِ الْمَجَازِ، لَمَّا لَمْ يَكُنْ مُشَبَّهًا بِهِ عَلَى^(٣) الْحَقِيقَةِ.

وَحَقِيقَةُ الْوَلَدِ، مَنْ وَلَدَ^(٤) عَلَى فِرَاشِهِ، أَوْ خُلِقَ مِنْ مَائِهِ، وَلِذَلِكَ لَا يَقَالُ: تَبَنَّى الشَّابُّ شَيْخًا. وَلَا: تَبَنَّى الْإِنْسَانُ بَهِيمَةً.

وَلَمَّا إِسْتِحَالٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ، صَارَ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ مُسْتَحِيلَةً فِيهِ.

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقَالَ: إِتَّخَذَهُ وَلَدًا. إِذَا اخْتَصَّهُ بِضَرْبٍ مِنَ الْمَحَبَّةِ، لِأَنَّ [فِي]^(٥) ذَلِكَ، إِخْرَاجَ الشَّيْءِ عَنْ حَقِيقَتِهِ، كَمَا أَنَّ تَسْمِيَةَ مَا لَيْسَ بِطَوِيلٍ: عَرِيقُصَّ، عَمِيقٌ جَسْمًا، إِخْرَاجٌ لَهُ عَنْ حَقِيقَتِهِ.

(١) فِي (هـ): وَلَدًا. بَتْنُوَيْنِ النَّصَبِ.

(٢) فِي (هـ): وَلَدًا. بَتْنُوَيْنِ النَّصَبِ.

(٣) فِي (ح): عَلَى وَجْهِ الْحَقِيقَةِ.

(٤) فِي (ل): وَلَدَهُ.

(٥) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ سَاقِطَةٌ مِنْ (ش).

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾^(١).

أَمَّا الْحَلَّةُ، فَقَدْ جازَتْ عَلَيْهِ - تعالى - لِأَحَدٍ شَيْئَيْنِ:

أحدهما: أَنَّ الْحَلَّةَ، إِخْلَاصُ الْمَوَدَّةِ الَّتِي تُوجِبُ الْإِخْتِصَاصَ، بِتَخْلُّلِ الْأَسْرَارِ^(٢). فَلَمَّا جازَ أَنْ يُطْلِعَ اللَّهُ - تعالى -^(٣) إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامَ - عَلَى أُمُورٍ، لَا يُطْلِعُ عَلَيْهَا غَيْرُهُ، تَشْرِيفًا لَهُ، اتَّخَذَهُ خَلِيلًا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ.

وَالثَّانِي: إِنَّ الْحَلَّةَ - بِالْفَتْحِ - هِيَ الْحَاجَّةُ. قَالَ زُهَيْرٌ^(٤):

وَإِنْ أَنَا خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْغِيَةٍ [يَقُولُ لَا غَائِبَ مَالِي وَلَا حَرْمٍ]

وَأَنَّا إِخْتَصَّ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٥) - بِذَلِكَ، لِانْقِطَاعِهِ عَنِ الْخَلْقِ، وَتَوَكُّلِهِ عَلَى الْخَالِقِ.



(١) النساء: ١٢٥.

(٢) فِي (ش): الْأَسْرَارُ. بِالشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ.

(٣) (تعالى) ساقطة من (هـ).

(٤) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى. صنعة أبي العباس ثعلب: ١٥٣. ومنه تمام البيت. وفيه: يَوْمَ مَسْغِيَةٍ.

(٥) (عليه السلام) سقطت من (ح).

فصل [٥٤-]

[في الإيمان والإسلام]

قوله - تعالى - ^(١): ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ^(٢).

الإيمان هو التصديق بالقلب، ولا اعتبار بما يجري على اللسان. وهو ^(٣) - في وضع اللغة - التصديق. وليس باسم لأفعال الجوارح. يقال: فلان يؤمن بكذا. وقال الله - تعالى -: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ ^(٤)، وقال: ﴿يُؤْمِنُونَ ٥٨ / بِالْحِجَابِ وَالطَّاغُوتِ﴾ ^(٥)، وقال: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ ^(٦)، أي: بمصدقني ^(٧) الحق. وقال: ﴿مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ

(١) في (ح): سبحانه.

(٢) الحجرات: ١٤.

(٣) في (ل): فهو. مع الفاء.

(٤) البقرة: ٥٥.

(٥) النساء: ٥١.

(٦) يوسف: ١٧.

(٧) في (ش) و(ك) و(هـ) و(ل): بمصدق في الحق.

الحساب^(١)، وقال: ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^(٢)، وقال: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَتَّبِعُكَ لِنُشْهَدَ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ﴾^(٣)، كَذَّبَهُمُ اللَّهُ مَعَ إِظْهَارِ الشَّهَادَةِ. وقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾^(٤)، وقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٥)، أَخْبَرَ أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ^(٦). وإن لم يهاجروا. وقال: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾^(٧)، يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَكُونُ مُؤْمِنًا، وإن لم يعملِ الصَّالِحَاتِ. وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(٨)، فَرَّقَ بَيْنَ الْإِيمَانِ، وَالْأَعْمَالِ. وقال: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا...﴾^(٩) إلى قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾^(١٠)، فَسَمَّاهُمْ^(١١) - فِي حَالِ الْبَغْيِ وَالْمَعْصِيَةِ - أَخَوَةً لِلْمُؤْمِنِينَ.

(١) غافر: ٢٧.

(٢) النحل: ١٠٦.

(٣) المنافقون: ١.

(٤) الأنعام: ٨٢.

(٥) الأنفال: ٧٢.

(٦) في (هـ): يؤمنون. بصيغة المضارع المسند إلى واو الجماعة.

(٧) طه: ٧٥.

(٨) يونس: ٩. وفي أكثر من موضع من القرآن الكريم.

(٩) الحجرات: ٩.

(١٠) الحجرات: ١٠.

(١١) في (هـ): فَسَوَّاهُمْ.

وقال: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى السَّمَوتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾^(١)،
 حكى عنهم كراهة الحق، والجِدَال فيه بعد وُضُوحه، مع تسميتهم بالإيمان.
 وقال: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾^(٢)، العمل لا يُطْلَق
 إلا على أفعال الجوارح، لأنهم لا يقولون: عَمِلْتُ بِقَلْبِي. وإنما يَقُولون: عَمِلْتُ
 بيدي، أو بِرِجْلِي. ثم إن هذا، مجازٌ يُحْمَلُ على الصُّرُورَةِ، وكلامنا مع الإطلاق.
 قَالَ سَعِيدُ^(٣) بَنُ جُبَيْرٍ: جَاءَ بَنُو أُسَيْدٍ إِلَى النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَام - فِي سَنَةِ
 جَذْبَةٍ^(٤)، وَأَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ، يَطْلُبُونَ الْحَيَّرَ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - بِذَلِكَ، لِيَكُونَ
 مُعْجِزَةً لَهُ، فَقَالَ: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾^(٥)، أَي: خَضَعْنَا.
 وَالْإِسْلَامُ^(٦)، هُوَ الْإِسْتِسْلَامُ. أَنَسُ: قَالَ النَّبِيُّ^(٧) - عَلَيْهِ السَّلَام -: الْإِسْلَامُ

(١) الأنفال: الأيتان ٥ - ٦.

(٢) البقرة: ٦٢.

(٣) جامع البيان: ٢٦: ١٤٢ باختلاف في اللفظ. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ١٣٨ وفي أسباب النزول للواحدي: ٢٦٥ - ٢٦٦. دون عزو الرواية إلى أحد.

(٤) في (ش) و(ك) و(أ): جَذْبَةٌ. بالذال المعجمة. والسنة الجَذْبَةُ: التي يُجْتَبَسُ بها المطر.

(٥) الحجرات: ١٤.

(٦) في (أ): الْإِسْلَامُ. من دون الواو.

(٧) الكافي: ٢: ٢٤، عن الصادق (عليه السلام) بلفظٍ مختلف. الإرشاد: ٣١٤ بلفظه عن الصادق

(عليه السلام). إعلام الوری: ٢٧٥ عن الصادق (عليه السلام) بلفظه. الاحتجاج: ٢: ١٢٥.

التوحيد: ٢٢٣ عن الصادق (عليه السلام) بلفظه.

قَبْلَ الْإِيمَانِ، وَعَلَيْهِ يَتَوَارَثُونَ، وَيَتَنَاجَوْنَ. وَالْإِيمَانُ عَلَيْهِ يُثَابُونَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١)، وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾^(٢)، وقوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٣)، يدلُّ على أنَّ الإسلامَ، هُوَ الإيمانُ، على الحقيقة، ومتى عَرِيَ عنه، كان مجازاً.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾^(٥).

إِنَّمَا أَرَادَ مَنْ أَظْهَرَ الْإِيمَانَ فَقَطْ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^(٦). قَالَ

(١) الذاريات: الآيتان ٣٥-٣٦.

(٢) آل عمران: ٨٥.

(٣) آل عمران: ١٩.

(٤) الممتحنة: ١٠.

(٥) النساء: ٩٢.

(٦) يوسف: ١٠٦.

ابن عباس^(١)، ومجاهد^(٢)، وقسادة^(٣): وما يؤمن أكثرهم بالله في إقراره: بأنه الخالق، إلا وهو مشرك بعبادة الأوثان. تقديره: أنهم ما يصدقون بعبادة الله، إلا وهم يشركون الأوثان معه في العبادة.

وقال الرَّمَانِي: لا تنافي بين أن يؤمنوا بالله من وجوه، ويكفروا به من وجوه آخر، كما قال: ﴿أَقْتَرُمُونِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾^(٤). وأنكره البلخي^(٥)، وقال: إنما هو في المنافقين: يؤمنون في الظاهر، ويشركون في الباطن. والمعنى الصحيح: أنه لا يؤمن أكثرهم، إلا واشرك في توجيده وعذله.



(١) جامع البيان: ١٣: ٧٧. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٢٧٦. التفسير الكبير: ١٨: ٢٢٤.

(٢) جامع البيان: ١٣: ٧٧. الجامع لأحكام القرآن: ٧: ٢٧٢.

(٣) جامع البيان: ١٣: ٧٧.

(٤) البقرة: ٨٥.

(٥) مجمع البيان: ٣: ٢٦٧.

فصل [- ٥٥ -]

[في الإيمان]

قد استدلت المعتزلة على أن الطاعات من الإيمان، بآيات:

منها قوله - تعالى -: ﴿مَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ عَظِيمًا لِيُصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾^(١). ولفظه «ذلك»، عبارة عن الواحد، فكيف يكون عبارة عن جميع ما تقدّم.

ثم أن لفظه «ذلك»، كناية^(٢) عن التذكير^(٣)، والعبادات - التي تقدّم ذكرها - إنها يُشار إليها بلفظة «تلك»، وينبغي أن تكون^(٤) عدّة الشهور في قوله: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾^(٥). من الدين.

ومنها قوله - سبحانه -: ﴿يَسِّرْ لِلْكَافِرِينَ لِيُضِلُّوا وَيَسِّرْ لِلْمُؤْمِنِينَ لِيُتَقَدَّرَ لَهُمُ الْوَيْسَارُ﴾^(٦). لا يدلّ

(١) البيّنة: ٥.

(٢) في (أ): كتابة.

(٣) في (أ): التذكيرة.

(٤) في (هـ): يكون.

(٥) التوبة: ٣٦.

(٦) الحجرات: ١١.

على بُطْلانِ حُكْمِ الْإِيمَانِ، وارتفاعِ التَّسْمِيَةِ بِهِ. وقد قال - تعالى -: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾^(١)، ومعلوم أن التَّفَرُّقَ لَمَّا حَدَّثَتْ بَعْدَ الْبَيِّنَةِ، لم تُبْطِلْ حُكْمَ الْبَيِّنَةِ، بل كانت ثابتةً / ٥٩ / على ما كانت عليه، وإِنَّمَا أَرَادَ - تعالى - بعدِ تَحْيِيءِ الْبَيِّنَةِ.

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الاسْتِدْلَالَ، مَبْنِيٌّ عَلَى الْقَوْلِ بِالْعُمُومِ، وَنَحْنُ نَخَالِفُ فِيهِ، وَإِذَا جَازَ أَنْ يَكُونَ لَفْظُ الْفُسُوقِ، مَخْصُوصًا، جَازَ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى حُكْمِ الْفُسُوقِ.

ومنها قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾^(٢). أَرَادَ بِهِ التَّصْدِيقَ الَّذِي لَا يَعْرِفُ الْقَوْمُ - فِي الْإِيمَانِ - سِوَاهُ. وَالْقُرْآنُ غَيْرُ نَاطِقٍ بِأَنَّ الْإِيمَانَ، الْمُرَادُ بِهِ الصَّلَاةُ، وَلَا مُعَوَّلٌ - فِي مِثْلِ ذَلِكَ - عَلَى أَخْبَارِ آخَادٍ.

ومنها قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾^(٣)، لَا يَقْتَضِي نَفْيَ اسْمِ الْإِيمَانِ عَمَّنْ لَمْ يَكُنْ بِالصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةِ فِيهَا، وَإِنَّمَا يَقْتَضِي التَّفْضِيلَ، وَالتَّعْظِيمَ، فَكَأَنَّهُ - تعالى - قَالَ^(٤): إِنَّمَا أَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ، وَخِيَارُهُمْ مَنْ فَعَلَ كَذَا، وَكَذَا. كَمَا يَقُولُ^(٥): الرَّجُلُ مَنْ يَضْبِطُ نَفْسَهُ

(١) الْبَيِّنَةُ: ٦.

(٢) الْبَقَرَةُ: ١٤٣.

(٣) الْأَنْعَالُ: ٢.

(٤) (قَالَ) سَاقِطَةٌ مِنْ (هـ).

(٥) فِي (هـ) وَ(أ): يَقُولُ.

عِنْدَ الْغَضَبِ. وَإِنْ كَانَ مَنْ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ لَا يَخْرُجُ^(١) مِنْ أَنْ يَكُونَ رَجُلًا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾^(٢).

كَانَ ذَلِكَ إِيَّانُ إِبْرَاهِيمَ، لَا يَسْتَحِقُّ بِهِ الثَّوَابَ، كَمَا لَا يَسْتَحِقُّ بِالْإِيمَانِ الضَّرُورِيُّ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ: ﴿قَلَّمَ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾^(٣).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْدِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾^(٤).

إِنَّمَا لَا يَقْبَلُ مَعْدِرَتَهُمْ، لِأَنَّهُمْ مُلْجَؤُونَ فِي تِلْكَ الْحَالِ.
﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾. أَي: لَا يَقْبَلُ عَتَبَهُمْ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ الْإِعْتَابَ^(٥).



(١) فِي (أ): تَخْرُجُ. بِنَاءُ الْمَضَارَعَةِ الْمُتَنَاءِ مِنْ فَوْقِ بَعْدِهَا جِيَمٌ مَعْجَمَةٌ مِنْ تَحْتِ.

(٢) يُونُسَ: ٩٠.

(٣) غَافِرٌ: ٥٨.

(٤) الرُّومُ: ٥٧.

(٥) أَعْتَبَهُ: أَرْضَاهُ بَعْدَ الْعِتَابِ. وَفِي الْمَثَلِ: «مَا مُسِيءٌ مَنْ أَعْتَبَ»، «الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ - عَتَبَ».

فصل [- ٥٦ -]

[في الإيمان]

وقد تَعَلَّقَتِ الْخَوَارِجُ فِي تَكْفِيرِ كُلِّ عَاصٍ، بِآيَاتٍ:

منها قوله - تعالى - : ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١).

لفظة «مَنْ»، تَعْمُ^(٢)، وَتُخَصُّ^(٣). وَإِنَّمَا يُعْلَمُ أَحَدُهُمَا بِدَلِيلٍ.

ومنهما قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾^(٤).

هذه^(٥) الآية إِنَّمَا يُسْتَفَادُ - بِظَاهِرِهَا - أَنَّ النَّارَ الْمُتَلَطِّئَةَ^(٦)، الْمُوصَوِّفَةَ فِي الْآيَةِ،

(١) المائدة: ٤٤.

(٢) فِي (ش) وَ(ك) وَ(هـ) وَ(أ): يعم. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٣) فِي (أ): يَخْتَصُّ. وَفِي (ش) وَ(ك) وَ(هـ): يَخَصُّ. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٤) الليل: الآيات ١٤ - ١٦.

(٥) فِي (هـ): وهذه. مع الواو.

(٦) فِي (أ): المتلطئة.

لَا يَضْلَاهَا إِلَّا مَنْ كَذَّبَ، وَتَوَلَّى، فَلْيَدُلُّوا^(١) - بعد ذلك - على أنه لا نارَ لله يسوى هذه النارِ الموصوفة.

ومنها قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾^(٢)، لا يدلُّ على أنَّ هناك وُجُوهَ أقوامٍ، ليست بهذه الصِّفَةِ بل بصفةٍ أخرى: إمَّا أنَّ [لا] ^(٣) يكون عليها غَبَرَةٌ، بل سِمْةٌ أخرى. أو بأن يكون عليها غَبَرَةٌ ولا تَلَحُّقُهَا قَتَرَةٌ.

ولو دلَّ ذلك على ما قالوه، لَوَجَبَ أَنْ يَدُلَّ قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾^(٤)، على أنَّ كُلَّ مَنْ لَا يَبْيَضُّ وَجْهَهُ من المؤمنين، يجبُ أن يكون مُرْتَدًّا، لَأَنَّهُ - تعالى - قال هُمْ: ﴿كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾^(٥). والخوارِجُ لا تقول ذلك، لأنَّ من المعلومِ^(٦)، أنَّ - هاهنا - كُفَّاراً^(٧)، من الأضلي، ليسوا بِمُرتدِّينَ عن الإسلام.

ومنها قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾. ليست من ألفاظِ العمومِ عند أحدٍ، فغيرُ مُمتنعٍ أن يكونَ اللهُ - تعالى - أرادَ بعضَها، أو أرادَ

(١) في (ش): فليستدلُّوا.

(٢) عبس: ٤٠.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش) و(ك) و(أ).

(٤) آل عمران: ١٠٦.

(٥) آل عمران: ١٠٦.

(٦) في (أ): العلم.

(٧) في (ها): كُفَّار. من دون توين النصب.

سَوَادًا مَخْصُوصًا، يَلْحَقُ [هذه] ^(١) الوجوه، وإن لم يكن لاحتقاقها.

ومنها قوله - سبحانه ^(٢) -: ﴿وَلِإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ ^(٣). لا يمتنع من أن تكون مُحِيطَةٌ بغيرهم أيضاً.

ومنها قوله - سبحانه ^(٤) -: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ ^(٥). لو اقتضى نفسي المجازاة عمن ليس بكفور، لاقتضى أن يكون المؤمن غير مجازى بإيائه وطاعته.

ويمكن أن يُحْمَلَ ^(٦) الجزاء على الاصطلاح في الدنيا، لأن الله - تعالى - أجرى العادة، أن يُعَاقَبَ - بهذا ^(٧) الضرب من الجزاء ^(٨) - الكفار، دون غيرهم، كما قال: ﴿فَأَعْرِضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ الآية ^(٩).

ومنها قوله - سبحانه ^(١٠) -: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ ^(١١). والمؤمن

(١) ما بين المعرفتين ساقطة من (ش).

(٢) في (ح): تعالى.

(٣) التوبة: ٤٩.

(٤) سبأ: ١٧.

(٥) في (ش): يحمله. مع الضمير (الهاء).

(٦) في (ش): يؤيد.

(٧) في النسخ جميعها: جزاء. من دون (ال). وجعلناها مع (ال) لما يتطلبه المعنى.

(٨) سبأ: ١٦.

(٩) التوبة: ٦٦.

- عندنا - لا يجوز أن يكفر، لأنه يؤدي إلى اجتماع استحقاق الثواب الدائم، والعقاب الدائم معاً، ليُطْلانِ التَّحَابُطِ. والإجماع يَمْنَعُ^(١) من ذلك.

فالوجه فيه: لا تعتذروا المعاذير الكاذبة، فإنكم - بما فعلتموه - قد كفرتم، بعد أن كنتم مظهرين الإيمان الذي يُحْكَمُ - لِمَنْ أَظْهَرَهُ - أَنَّهُ مُؤْمِنٌ.

ومنها قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا﴾^(٢). المراد به: مَنْ أَظْهَرَ الْإِيمَانَ. وليس كُلُّ مَنْ أَظْهَرَ الْإِيمَانَ، يَكُونُ مُؤْمِنًا عَلَى الْحَقِيقَةِ فِي بَاطِنِهِ عِنْدَ اللَّهِ - تعالى - لِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ مَا أَظْهَرَهُ نِفَاقًا، [أو]^(٣) واقِعًا عَنْ تَقْلِيدٍ. وَالثَّوَابُ إِنَّمَا يُسْتَحَقُّ بِالْإِيمَانِ الْحَقِيقِيِّ. أو^(٤) يَكُونُ بِحُكْمِ الظَّاهِرِ، كما قال: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ / ٦٠ / إِلَى الْكُفَّارِ﴾^(٥)، وكما قال: ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾^(٦).

ومنها قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا﴾^(٧).

(١) في (ش): يمتنع.

(٢) النساء: ١٣٧.

(٣) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش) و(هـ) و(أ).

(٤) في (هـ): ويكون. مع الواو.

(٥) الممتحنة: ١٠.

(٦) النساء: ٩٢.

(٧) آل عمران: ٩٠.

قال الحسن^(١)، وقتادة^(٢)، وعطاء^(٣): نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ، كَفَرُوا^(٤) بِعِيسَى،
وَالْإِنْجِيلِ، ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا بِمُحَمَّدٍ [صلى الله عليه وآله]^(٥) وَالْقُرْآنِ.
وقال أبو العالية^(٦): نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى، كَفَرُوا^(٧) بِمُحَمَّدٍ [صلى
الله عليه وآله]^(٨) بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ بِنِعْمَتِهِ، وَصِفَتِهِ، ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا بِإِقَامَتِهِمْ عَلَى
كُفْرِهِمْ.

ومنها قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٩).
أي: الَّذِينَ آمَنُوا بِاللِّسَانِ ظَاهِرًا، آمِنُوا بِالْجَنَانِ بَاطِنًا.
قال مجاهد^(١٠)، وابن زيد^(١١): يعني - بذلك - أَهْلَ التَّفَاقِي. إِنَّهُمْ آمَنُوا، ثُمَّ

(١) أسباب النزول للواحدى: ٧٥. الدر المنثور: ٢: ٢٥٨.

(٢) جامع البيان: ٥: ١٢٧. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٤٧٢. أيضاً: أسباب النزول للواحدى: ٧٥.

(٣) مجمع البيان: ١: ٤٧٢. أيضاً: أسباب النزول: ٧٥.

(٤) في (أ): كَفَرُوا.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ح).

(٦) جامع البيان: ٥: ٣٢٧. أسباب النزول للواحدى: ٧٥. وفي مجمع البيان: ١: ٤٧٢ هذا القول

منسوب إلى الحسن وفي الدر المنثور: ٢: ٢٥٨ نسبه إلى أبي العالية.

(٧) في (أ): كَفَرُوا.

(٨) ما بين المعقوفين زيادة من (ح).

(٩) النساء: ١٣٦.

(١٠) الدر المنثور: ٢: ٧١٧.

(١١) الدر المنثور: ٢: ٧١٧.

إِرتَدُوا، ثُمَّ آمَنُوا، ثُمَّ إِرْتَدُوا، ثُمَّ إِزْدَادُوا كُفْرًا عَلَى كُفْرِهِمْ.

وَقَالَ قَتَادَةُ^(١): عَنَى - بِذَلِكَ - الَّذِينَ آمَنُوا بِمُوسَى، ثُمَّ كَفَرُوا بِهِ، بِأَنْ
عَبَدُوا الْعَجَلَ ثُمَّ آمَنُوا، يَعْنِي النَّصَارَى، آمَنُوا بِعِيسَى، ثُمَّ كَفَرُوا بِهِ، ثُمَّ إِزْدَادُوا
كُفْرًا بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ -.

وَالأَوَّلُ، أَقْوَى. وَيَكُونُ خُطَابًا لِلْمُنَافِقِينَ.

وَقَالَ الْجَبَائِيُّ^(٢)، وَالبَلْخِيُّ، وَالزَّجَّاجُ^(٣): الْخُطَابُ لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ، أَمْرُهُمْ
اللَّهُ - تَعَالَى - بِأَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، بِأَنْ يَسْتَدِيمُوا الْإِيمَانَ، وَلَا يَتَّقِلُوا عَنْهُ،
لَأَنَّ الْإِيمَانَ، الَّذِي هُوَ التَّصَدِيقُ، لَا يَبْقَى، وَإِنَّا يَسْتَمِرُّ بِأَنْ يُجَدِّدَهُ الْإِنْسَانُ حَالًا
بَعْدَ حَالٍ. وَهَذَا وَجْهٌ جَيِّدٌ.

وَمِنْهَا قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَزْنَدُوا عَلَى أَذْيَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَاهُمْ
الْهُدَى﴾^(٤). لَيْسَ فِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنَ عَلَى الْحَقِيقَةِ - يَجُوزُ أَنْ يَكْفَرَ، لِأَنَّهُ
لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ: مَنْ رَجَعَ عَنْ إِظْهَارِ الْإِيمَانِ، بَعْدَ وَضُوحِ الْأَمْرِ فِيهِ،
وَقِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ بِالصَّحَّةِ.

وَمِنْهَا قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ

(١) مجمع البيان: ٢: ١٢٥. الدر المنثور: ٢: ٧١٦.

(٢) مجمع البيان: ٢: ١٢٥.

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ٢: ١٢٩ - ١٣٠.

(٤) محمد: ٢٥.

فِيهَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا
وَأَحْسَنُوا^(١).

الإيمانُ الأوَّلُ، هو التَّصديقُ. والإيمانُ الثَّاني، هو الاطمئنانُ إلى الصَّوابِ
بفعله، مع الثَّقةِ به^(٢).

ومنها قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٣)، وفي
موضع: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾^(٤).

المرادُ بالأوَّلِ: أَنَّهُ يَذْكُرُ ثَوَابَهُ، وإِنْعَامَهُ، فيسكنُ إليه. وبالثَّاني^(٥): يَذْكُرُ
عِقَابَهُ، وانتقامَهُ، فيخافُهُ، وَيَجِلُّ قَلْبُهُ.



(١) المائدة: ٩٣.

(٢) في (ش): الثَّقة. بدلاً من (الثقة به).

(٣) الرُّعد: ٢٨.

(٤) الأنفال: ٢.

(٥) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): الثَّاني. يسقط (الباء).

فهرس الجزء الأول

٧	مقدمة في المؤلف والكتاب
٤٥	دواعي تأليف الكتاب
٤٦	أقوال العلماء في معنى المحكم والمتشابه
٤٨	فائدة معرفة المحكم والمتشابه

[١]

باب ما يتعلق بأبواب التوحيد

٥٣	أولية خلق السموات والأرض
٥٤	عظمة خلق السموات والأرض
٥٥	خلق السماء بلا عمد
٥٧	أولية خلق العرش
٥٧	الاحتجاج بخلق السموات والأرض
٥٨	نقض قول الرماني أن السموات غير الأفلاك

فصل [١]

في بعض الظواهر الكونية

- معنى المشارق والمغارب ٥٩
- في عدة أيام خلق السموات والأرض ٦٠
- الأرض كروية مسطوحة ٦١
- الاحتجاج بخلق الإبل ٦٢
- خلق الإنسان من تراب ٦٢

فصل [٢]

في خلق الإنسان

- مراحل خلق الإنسان من تراب ٦٤
- خلق الإنسان من نفس واحدة ٦٤
- خلق الإنسان من سلالة من طين ٦٧
- معنى قوله ﴿خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ ٦٧
- معنى قوله ﴿بَنَى آدَمَ﴾ ٦٩
- معنى قوله ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ ٦٩
- معنى ميثاق النبين ٧١
- معنى ميثاق بني إسرائيل ٧٢
- الله لم يستخرج الذرية من ظهر آدم ٧٢

فصل [٣]

في خلق حواء وفي معنى القلب وفي أمور أخرى

- ٧٣ خلق آدم وحواء
- ٧٤ عدم جواز أن يكون لإنسان واحد قلبان
- ٧٥ التألف بين القلوب
- ٧٦ معنى ضيق الصدر
- ٧٧ من معاني (أو)
- ٧٩ (الهاء) في قوله (سلكناه) كناية عن القرآن
- ٨٠ عل العلم والعقل والقلب
- ٨١ التخيل بمعنى الرؤية
- ٨٢ معنى السبات
- ٨٣ معنى قوله ﴿بَلَّغْتَ الْقُلُوبَ الْحَنَاجِرَ﴾
- ٨٤ معنى قوله ﴿الَّذِي يَنْتَعِقُ بِهَا لَا يَسْمَعُ﴾

فصل [٤]

في الملائكة

- ٨٧ إنزال الملك في صورة رجل
- ٨٨ ظهور الملائكة لمريم معجزة
- ٨٩ جواز تصوّر الملائكة بصورة البشر
- ٨٩ معنى وصف الملائكة بالغلظة والشدة
- ٩٠ الملائكة رسل الله وهم لا يعصونه

- الرسل من الناس أيضاً ٩١
- معنى ردّ الملائكة على الله بالسؤال ٩٢
- معنى ﴿سُبْحَانَكَ﴾ ٩٢
- الملائكة لا يخفى عليها شيء مما يفعل البشر ٩٣
- معنى ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ ٩٣
- معنى ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾ ٩٤
- بعض أوصاف الملائكة ٩٤
- علة تأخير ذكر جبرائيل وميكال ٩٥
- ملك الموت ليس واحداً بل هو جنس ٩٦
- هاروت وماروت ٩٧

فصل [٥]

في الجنّ والشيطان

- إبليس من الملائكة ٩٩
- إبليس كان كافراً ٩٩
- احتجاج إبليس على الله ١٠٢
- عداوة إبليس لبني آدم ١٠٣
- عجبه إبليس إلى بني آدم من كل جهة ١٠٣
- حرص إبليس على إغواء بني آدم ١٠٤
- ليس لإبليس سلطان على بني آدم ١٠٥
- معنى استعاذة الإنس بالجن ١٠٦

- ١٠٧ معنى الوسوسة
- ١٠٨ تزوين الشيطان الأعمال
- ١٠٩ ظهور الشيطان في صورة سراقه
- ١١٠ معنى ﴿هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾
- ١١٠ معنى نزغ الشيطان
- ١١١ الأمر من الشيطان
- ١١٢ علم إبليس
- ١١٣ معنى ضعف كيد الشيطان
- ١١٤ الصَّرْع ليس من الشيطان
- ١١٤ سلطان الشيطان بالإغواء
- ١١٥ معنى إعادة مريم من الشيطان
- ١١٦ الجن يروننا ولا نراهم
- ١١٦ تسخير سليمان الجن
- ١١٧ إهلاك الجن
- ١١٧ وجه استمتاع الجن بالإنس
- ١١٨ الجن مؤمنون
- ١١٨ للجن أزواج

فصل [٦]

في تسبيح المخلوقات لله

- ١١٩ تسبيح الجهاد والحيوان

- ١٢١ نسبة القول إلى الحيوان
- ١٢٤ الصلاة للإنسان والتسبيح لكل شيء
- ١٢٤ معنى السجود ومَن يقع
- ١٢٥ إخراج النبات المختلف من التربة الواحدة
- ١٢٧ إجراء الفلك بالرياح
- ١٢٨ نسبة الله التسيير في البر والبحر إلى نفسه
- ١٢٩ المقصود بزيينة الأرض

فصل [٧]

في قدرة الله

- ١٣١ القادر على جعل الشجر الأخضر ناراً قادر على الإعادة
- ١٣٢ نار الشجر من قدرة الله
- ١٣٢ علة إظهار البرق وإنشاء السحاب
- ١٣٣ علة الجمع بين الميزان ورفع السماء وإنزال الكتاب
- ١٣٣ لِمُ خُصَّ الموزون دون المكيل بالذكر؟
- ١٣٤ معنى ﴿مُسْتَفَرٍّ وَمُسْتَوْدَعٍ﴾
- ١٣٤ معنى (اللباس)

فصل [٨]

في قدرة الله

- ١٣٥ الاختلاف في خلق الدواب

- الله خلق كل شيء من ماء ١٣٦
- معنى إرسال الرياح ١٣٧
- إهلاك عاد ١٣٧
- كف الله الرياح من الهبوب والنار من الإحراق ١٣٨
- معنى عرض الأمانة على السموات والأرض ١٣٨
- معنى بكاء السماء والأرض ١٤٠

فصل [٩]

في إثبات وجوده سبحانه

- بطلان قول نفاة الأعراض وقولهم ليس غير الأجسام ١٤٣
- الله يعلم ما لم يكن ١٤٦
- العرب تخبر عن حساسة الشيء بأنه لا شيء ١٤٧
- معنى ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ ١٤٨
- الموجود لا يوصف بالقدرة عليه أحد ١٤٩
- معنى خشوع الجبل ١٤٩
- معنى ﴿يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ ١٤٩
- معنى ﴿انْفِطَارِ السَّمَوَاتِ﴾ ١٥٠
- نسبة الأفعال إلى الله ١٥١

فصل [١٠]

في بطلان أقوال المنجمين

- ليس للكواكب تأثير في أقدار الناس ١٥٣

١٥٥	بطلان أقوال المنجمين
١٥٧	الإخبار بالغيب من المعجزات
١٥٧	الحوادث من الله وليس من الكواكب والنجوم
١٥٧	الكواكب زينة السماء
١٥٨	الشمس والقمر في فلك واحد
١٥٨	الكواكب لا تدبر أمراً
١٥٩	يقال: ضياء الشمس ونور القمر
١٥٩	النجوم ثلاثة أضرب
١٦٠	من معاني النجم

فصل [١١]

في صحة الطب وفي الرؤيا

١٦١	الطب صحيح وعلمه ثابت وطريقه الوحي
١٦٤	في الرؤيا

فصل [١٢]

في معنى العلم الذي أُوتي قارون وفي كنوزه

١٦٦	معنى العلم الذي أُوتي قارون
١٦٧	إيتاء قارون الكنوز

فصل [١٣]

في السحر والعين والحسد

١٦٩	ليس للسحر حقيقة
-----	-----------------------

- معنى «الْحَقَّاسُ» ١٧٠
- حقيقة العين والحسد ١٧٢

فصل [١٤]

في معنى اللّوح وأُمّ الكتاب

- في معنى (اللّوح) ١٧٤
- معنى (أُمّ) ١٧٥
- اللّوح لا يسمّى كتاباً ١٧٦
- اللّوح لا يسمّى أُمّاً ١٧٦

فصل [١٥]

في معنى الكرسي وفي الروح

- معنى الكرسي ١٧٩
- اختلاف الناس في الروح ١٨٠

فصل [١٦]

المعارف ليست ضرورية إلا معرفة الله

- المعارف ليست ضرورية ١٨٢
- معرفة الله ضرورية ١٨٣
- المعارف ليست ضرورية ١٨٤

فصل [١٧]

في الحثّ على النظر والتدبّر

- الحثّ على النظر لمعرفة الله ١٨٥
- الدعوة إلى النظر والتدبّر ١٨٦
- الدليل على حدوث العالم ١٨٨

فصل [١٨]

في كون العاقل مطالباً بالحجّة وفي ذمّ التقليد

- العاقل مطالب بالحجّة ١٩١
- إطاعة غير الله إشراك ١٩٢
- ذمّ التقليد ١٩٣

فصل [١٩]

في معرفة الله

- الطريق إلى معرفة الله ١٩٥
- صيغة (أفعل) لا تفيد التفصيل دائماً ١٩٩

فصل [٢٠]

في قدرة الله

- أوجه قدرة الله ٢٠١
- دلالة (كُنْ) من الله ٢٠٣

- لا يقدر على الحياة إلا الله ٢٠٥
- صيغة (أفضل) تنفيذ التفضيل ٢٠٥
- المدبر واحد هو الله ٢٠٦
- (خلق) بمعنى قدر أو أحدث ٢٠٨

فصل [٢١]

في علم الله

- لا يخفى على الله شيء ٢٠٩
- الله عالم بغير تعليم ٢١٠
- الله يعلم الأشياء كلها ٢١١
- الله عالم بذاته ٢١١
- الله يعلم جميع المعلومات ٢١٢
- إحاطة علم الله بكل شيء ٢١٢
- إحاطة علم الله بعملنا ٢١٢
- ذكر المفسدين على جهة التهديد ٢١٢
- دلالة (أعلم) ٢١٣

فصل [٢٢]

في علم الله

- علم الله حاصل قبل فعل العباد ٢١٦
- ما ظاهره الشك وما ظاهره اليقين ٢١٨

٢١٩	الشك للعباد دون الله
٢١٩	(عسى) من الله واجب
٢١٩	ليس الله ممن ينسى
٢٢٠	معنى النسيان من الله
٢٢٠	(نسي) من الله بمعنى: ترك
٢٢١	معنى الابتلاء
٢٢٢	التعجب لا يجوز على الله
٢٢٣	الرؤية بمعنى العلم
٢٢٣	الإحصاء بمعنى العلم
٢٢٤	التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل
٢٢٥	إثبات الأعمال في كتاب
٢٢٥	الله لا يغيبُ عنه شيء
٢٢٥	حُسْنُ خَلْقِ الله واستواؤه
٢٢٦	الله يعلم كل شيء
٢٢٧	من استعمال (الباء)
٢٢٨	علم الله لا يتبعَّض

فصل [٢٣]

من دلائل وجود الله

٢٣٠	من دلائل وجود الله
٢٣٢	الله غير محدود بزمان ولا مكان

فصل [٢٤]

في معنى ﴿سَمِعَ اللهُ﴾

- ٢٣٤ (سمع) في اللغة
- ٢٣٦ ردة الجواب في اللغة

فصل [٢٥]

في خلق القرآن

- ٢٣٩ في خلق القرآن

فصل [٢٦]

في كون القرآن محدثاً

- ٢٤٨ القرآن محدث
- ٢٤٩ القول من الله محدث
- ٢٤٩ الله هو محدث القرآن
- ٢٥٠ الأمر غير الخلق
- ٢٥١ في إنزال القرآن
- ٢٥٢ معنى ﴿مُتَشَابِهًا﴾

فصل [٢٧]

في معنى كون الله هو الغني

- ٢٥٣ الله غني

- ٢٥٤ فرض الله مجاز لا حقيقة
- ٢٥٦ إرادة الله محدثة
- ٢٥٦ مشيئة الله محدثة

فصل [٢٨]

في تنزيه الله عن الجسميّة

- ٢٥٧ معنى قرب الله
- ٢٥٨ معنى القرب من الله
- ٢٥٩ الله ليس جسماً
- ٢٦٠ الله يوصف بأنه شيء

فصل [٢٩]

في معنى العرش والاستواء

- ٢٦٣ معنى العرش
- ٢٦٥ من معاني الاستواء
- ٢٦٩ معنى استوائه إلى السماء
- ٢٦٩ معنى قوله ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾
- ٢٧٠ معنى قوله ﴿يَضَعُدُ الْكَلِمُ﴾
- ٢٧٠ معنى عروج الملائكة والروح
- ٢٧١ معنى ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾
- ٢٧١ معنى ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾

فصل [٣٠]

نفي وصف الله بالمكان

٢٧٣ (مقام) مصدر ولا يتعلّق بالمكان

فصل [٣١]

نفي المكانية عن الله

٢٧٦ من وجوه استعمال (عند)

٢٧٨ من وجوه استعمال (فوق)

٢٧٩ معنى ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾

٢٧٩ معنى ﴿وَقِفُّوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾

٢٨٠ معنى ﴿يُعَرِّضُونَ﴾

٢٨١ معنى ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

٢٨١ معنى ﴿تُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾

٢٨٢ من معاني (مع)

٢٨٢ من وجوه استعمال (بين)

٢٨٣ الرجوع لا يعني المكان

٢٨٥ المرجع مصدر أو موضع الرجوع

٢٨٥ معنى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

٢٨٦ معنى ﴿إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾

فصل [٣٢]

نفي المكانية عن الله

٢٨٩ (إلى) بمعنى (مع)

- معنى ﴿رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ ٢٩٠
- معنى (الحجب) ٢٩١
- الحجاب لا يعني المكانية ٢٩٢

فصل [٣٣]

نفي التجسيم عن الله

- من معاني (نفس) ٢٩٥
- النفس لا تعني الجسد ٢٩٧
- معنى ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ﴾ ٢٩٩
- عود الضمير في (لنفسه) ٢٩٩

فصل [٣٤]

نفي التجسيم عن الله

- من معاني (العين) ٣٠٠

فصل [٣٥]

نفي التجسيم عن الله

- معنى ﴿تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ ٣٠٣
- من معاني (وجه) ٣٠٣

فصل [٣٦]

نفي التجسيم عن الله

- من معاني (يد) ٣٠٧

- ٣١٠ إضافة (يد) إلى الله للتخصيص
- ٣١١ من معاني (يد)
- ٣١١ من معاني (يمين)

فصل [٣٧]

نفي التجسيم عن الله

- ٣١٥ معنى (قبضته)
- ٣١٦ معنى مَدَّ الظِّلَّ وقبضه
- ٣١٧ معنى ﴿ مَا يُفْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ ﴾
- ٣١٧ معنى القبض والبسط
- ٣١٨ لا يوصف الله بالقبض على الشيء

فصل [٣٨]

نفي التجسيم عن الله

- ٣١٩ من معاني (الجنب)
- ٣٢٠ معنى ﴿ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾
- ٣٢٠ من معاني (الساق)

فصل [٣٩]

نفي التجسيم عن الله

- ٣٢٣ معنى ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾

- معنى ﴿يَأْتِيهِمُ اللَّهُ﴾ ٣٢٤
- معنى ﴿أَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ﴾ ٣٢٤
- معنى ﴿نُسَارِعُ﴾ ٣٢٥
- معنى ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ﴾ ٣٢٥

فصل [٤٠]

في مسائل متفرقة

- نقل الشيء إلى غير جهته ٣٢٦
- من استعمال (مَسَّ) ٣٢٧
- المَسَّ على الله مجاز بقصد الترغيب ٣٢٧
- المنع ليس من صفات الله ٣٢٨

فصل [٤١]

في معنى الشاكر والجبار

- الشكر من الله بمعنى الجزاء ٣٢٩
- (الشكور) في صفات الله مجاز ٣٣٠
- (الجبار) صفة مدح لله وذم للخلق ٣٣٠

فصل [٤٢]

في مسائل متفرقة

- تقيح تزكية النفس من الأدمي وتحسن من الله ٣٣٢

- ٣٣٣ المَن من الله ليس إزراء
- ٣٣٤ (ترجون) بمعنى: تخافون
- ٣٣٥ معنى ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾

فصل [٤٣]

في مسائل متفرقة

- ٣٣٦ معنى ﴿لَا يَسْتَجِی﴾
- ٣٣٧ معنى ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ﴾
- ٣٣٧ معنى ﴿اذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾
- ٣٣٨ من معاني التلاوة
- ٣٣٩ معنى اللعنة
- ٣٤٠ وصف الله بالاستطاعة
- ٣٤٠ معنى ﴿غَضِبَ اللَّهُ﴾
- ٣٤٠ معنى ﴿آسَفُونَا﴾
- ٣٤١ علّة تسمية الهوى إلهاً
- ٣٤٢ معنى ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾

فصل [٤٤]

في مسائل متفرقة

- ٣٤٤ معنى ﴿شَأْن﴾
- ٣٤٥ معنى ﴿سَتَفْرُغُ لَكُمْ﴾

- ٣٤٥ الفرق بين (ملك) و(مالك)
- ٣٤٦ الله (ملك الناس)
- ٣٤٦ معنى ﴿الْقِيَوْمَ﴾
- ٣٤٧ معنى ﴿اللَّطِيفَ﴾
- ٣٤٧ معنى ﴿وَكَيْلَ﴾
- ٣٤٨ معنى ﴿اللَّهُ غَالِبٌ﴾
- ٣٤٨ معنى ﴿الْأَعْلَى﴾
- ٣٤٩ الإباء - من الله - المنع
- ٣٤٩ معنى ﴿الْعَظِيمَ﴾
- ٣٥٠ الإله يستحقَّ العبادة
- ٣٥٠ نصره الله بنصرة دينه
- ٣٥١ معنى ﴿هُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾
- ٣٥١ النصر من الله بمعونته وتوفيقه
- ٣٥١ نصر الله بالمعونة التي توجب الغلبة
- ٣٥٣ معنى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
- ٣٥٣ الله خالق النور
- ٣٥٣ المصباح مثل لنور الله

فصل [٤٥]

في الرؤية

- ٣٥٦ في إدراك الأبصار لله الذي هو رؤيتها

فصل [٤٦]

في الرؤية

- معنى ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ٣٦٢
 من معاني (نظر) واستعمالاته ٣٦٣

فصل [٤٧]

في الرؤية

- قوله ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ ليس في دلالة على صحة وقوع النظر ٣٧٠
 معنى ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ ٣٧٢
 معنى ﴿رَأَى﴾ ٣٧٣
 من معاني ﴿تَجَلَّى﴾ ٣٧٤

فصل [٤٨]

في الرؤية

- معنى ﴿لِقَاءَ اللَّهِ﴾ ٣٧٧
 استحالة رؤية الله ٣٨٠
 (لقاء الله) يعني ما وعد الله به ٣٨١

فصل [٤٩]

في الرؤية

- ﴿وزيادة﴾ لا تعني الرؤية ٣٨٢

- ٣٨٣ ﴿الزِّيَادَةُ﴾ هي زيادة في الثواب
- ٣٨٣ لا يستحقها الإنسان بفعله
- ٣٨٥ ﴿عَاجِبُونَ﴾ لا تدلّ على كون الحجب عن الرؤية

فصل [٥٠]

في الرؤية

- ٣٨٧ نفى رؤية النبي (صلى الله عليه وآله) الله
- ٣٨٩ معنى ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾
- ٣٩٠ الرؤية لا تجوز على الله

فصل [٥١]

في التوحيد

- ٣٩٤ الله واحد لا شريك له
- ٣٩٦ الله المتفرد بالتدبير
- ٣٩٧ الله واحد لا ثاني الله
- ٤٠٠ دخول (من) في النفي يدلّ على عمومته
- ٤٠١ زيادة (الكاف) في قوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾
- ٤٠٢ امتناع وجود إلهين عقلاً
- ٤٠٣ معنى ﴿أَحَدٌ﴾

فصل [٥٢]

في التوحيد

- ٤٠٥ بطلان دعوى مَنْ قال: ﴿اللهُ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ﴾

- ٤٠٧ معاني التوحيد في آية الكرسي
- ٤١٠ الله القوي العزيز
- ٤١١ الله واحد وإن تعددت أسماؤه

فصل [٥٣]

في التوحيد

- ٤١٣ رد على من قال: معنى ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾
- ٤١٤ لا يجوز على الله التبني
- ٤١٦ معنى قوله ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾

فصل [٥٤]

في الإيمان والإسلام

- ٤١٧ معنى الإيمان والإسلام
- ٤٢٠ الإسلام هو الإيمان على الحقيقة
- ٤٢٠ الإيمان والإشراك بالله

فصل [٥٥]

في الإيمان

- ٤٢٢ الطاعة من الإيمان
- ٤٢٣ الإيمان والفسق
- ٤٢٣ الإيمان هو التصديق

- ٤٢٣ فقدان بعض صفات الإيمان لا يقتضي نفي اسم الإيمان
- ٤٢٤ إيمان الإلجاء لا يستحق به الثواب
- ٤٢٤ الملجأ في إيمانه لا تقبل معذرتة ولا عتبه

فصل [٥٦]

في الإيمان

- ٤٢٥ تعلق الخوارج بآيات لتكفير كل عاصي
- ٤٢٦ المؤمن لا يجوز أن يكفر لأن ذلك يؤدي إلى التحايط
- ٤٢٨ معنى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا...﴾
- ٤٣١ الإيمان التصديق والإيمان الاطمئنان إلى الصواب
- ٤٣٣ الفهرس

